إلى القارئ

بعد ثلاثين سنة

بقلم : البشير بن سلامة

عندما يصدر هذا العدد الواحد بعد الثلاثمائة تكون اللجنة الثقافية القومية قد تهيأت للاحتفال بالذكرى الثلاثين لصدور مجلة « الفكر » باقامة مجلس فكري يتحاور فيه الاستاذ محمد مزالي مدير المجلة مع نخبة من الاساتذة في الرابع من أكتوبر 1985 ثم بالاستماع الى عدد كبير من احباء « الفكر » على مدى أربعة أيام من 7 الى 10 أكتوبر يتبارى فيها الشعراء بقصائدهم والكتاب بدراساتهم وكلماتهم للاشادة بهذا الحدث وتنزيله المنزلة اللائقة به .

ولقد أحببنا أن تكون بين يدي القراء ابتداء من غرة أكتوبر وثيقة تسجل أهم ما جادت به قرائح الشعراء والباحثين تسجيلا لهذا الحدث وابرازا لحصيلة مسيرة « الفكر » طيلة هذه السنوات الطويلة مقتصرين في هذا العدد على ما أمكن جمعه في انتظار ما سيشارك به احباء المجلة من اعمال أدبية في الجلسات التي ستعقد أثناء الاحتفال بهذه الذكرى .

وليس في نيتي في هذه الافتتاحية أن اعيد ما قيل طي صفحات هذا العدد ولا أن أكرر ما كنا قلناه في مناسبات عديدة عن « الفكر » ومسيرتها وثباتها وديمومتها بل انني أردت ان اجيب عن سؤالين ربما تبادرا الى ذهن القارىء وهما : لماذا الاحتفاء بهذه الذكرى ؟ ثم بمن سنحتفل ؟

لا يخفى أن كل متتبع للحركة الادبية والفكرية فى تونس منذ أكثر من خمسين سنة لاحظ أن السنة المعروفة فى ديارنا كانت تتمثل فى التنكر لكل قيمة والاعراض صفحا عن الاعتراف بفضل من خدموا الفكر والادب فى هذه الربوع وغاية ما كان يحدث هو الالتفات الى الكاتب أو الاديب عندما يغادر الدنيا فعند ذلك يهتم به الباحثون والنقاد ويوفونه حقه أو أكثر من حقه حتى أن الكثيرين من الدارسين أصبحوا لأسباب عديدة يطول شرحها يستغلون هذه الظاهرة وكونوا منها للمجتمع التونسى وللمثقفين خاصة عقدة سميناها « عقدة العرجون » رغم أن تونس المستقلة قد تجاوزت هذه السنة وأكرمت الكثيرين فى حياتهم من الادباء والفنانين وأجازتهم ووضعتهم فى منزلة لائقة .

لهذا فان الاحتفال بالذكرى الثلاثين لمجلة « الفكر » يندرج فى هذه السنة الجديدة التى عرفتها تونس بعد الاستقلال إذ هى لم تكتف باحياء ذكرى العدد العديد من الادباء والمفكرين والكتاب والفنانين الاموات الذين عرفتهم هذه الارض فى القديم والحديث بل هى تجاوزت ذلك الى تكريم الاحياء وذكر فضلهم على الادب والفن باستغلال جميع المناسبات لتكريس هذه السنة الجديدة .

فعندما تهتم وزارة الشؤون الثقافية بمرور ثلاثين سنة على صدور مجلة « الفكر » كما احتفلت بمجلة « قصص » فى السنة الماضية فان ذلك ليس يعني إلا حرصا على تغيير ما كان فى المجتمع التونسى من عادات لا تتماشى والشعور بالعزة الوطنية والموضوعية العلمية بل هى ممارسات تربي فى النفوس مركب النقص والشعور بالدون وشتى العقد المخلفة للاحباط والكبت.

والواقع أن مجلة « الفكر » وخاصة مؤسسها ومديرها الاستاذ محمد مزالى قد قاومت كل هذه الظواهر السلبية وتصدت لها بكل قوة رغم أن هناك بعض من لا يزال يربي فى نفوس الشباب هذه العقد بتعظيم مبالغ فيه لبعض الراحلين لضرب الحاضر والتنكر للقيم البارزة وذلك خدمة لاتجاهات لا تمت الى الادب ولا الفكر ولا الفن بسبب وتشجيعا لقيم مصطنعة منبتة تتغرغر بشعارات ونظريات وتوجهات ليس لها وشائج متينة بهذا المجتمع لا فى القديم ولا فى الحديث .

فالاحتفاء إذن بمرور ثلاثين سنة على صدور مجلة « الفكر » والاشادة باستمراريتها كما كان ذلك بالنسبة الى مجلة « قصص » فانما هو ليس مجرد احتفاء بل يندرج فى هذا العمل الدائب المكرس لغرس قيم جديدة فى النفوس وفى المجتمع التونسى وخاصة فى الاجيال الصاعدة لحثهم على الاعتزاز بالنفس والثقة بها واستقبال المستقبل بعزيمة فولاذية وروح خلاقة .

اما الاجابة عن السؤال الثانى بمن نحتفل ؟ فذاك أمر يطول أيضا شرحه ولكنى اقتصر على بعض الملاحظات فى شانه تاركا لمن سيحوصل كل ما يسجل فى هذه المناسبة من قصائد وكلمات الفرصة لاستخراج ما نحن بصدده .

والواقع ان أول من سيحتفل به أحباء « الفكر » وأصفياؤها ومريدوها هو الاستاذ محمد مزالى الغني عن كل تعريف الذى يشهد له القاصى والدانى بمآثره فى هذا الحقل والذى لم يعرفه المشرق العربى فقط ككاتب فذ وناقد ومفكر بل تشهد له بذلك المحافل الدولية وفى هذا الشان ساقتصر على تعريب ما جاء فى قاموس الفلاسفة الصادر عن المنشورات الجامعية بفرنسا .

ورد فى الجزء الثانى من هذا القاموس ما يلى : « إن ما قدمه محمد مزالى كان فصل الخطاب . لانه ، وهو المفكر ورجل الدولة والمسؤول الرياضى ، قد عمل على تثبيت وتمتين ذاتية المجتمع التونسى التاريخية والثقافية والسياسية . فمن خلال مجلة « الفكر » التى اسسها وهى فى سنتها السادسة والعشرين [الآن الواحدة والثلاثين] عرف مزالى كيف يحرك الحياة الفلسفية فى تونس ويوجد لأفكاره اذنا صاغية فى العالم العربى . وهكذا امكن لحكمة محمد مزالى ان تشع بفضل مجلة « الفكر » فى منطقة مصدومة ، مريضة ما ان تقاوت على نفسها بعد تصادمها مع الاستعمار حتى وجدت نفسها مواجهة لمشاكل خطيرة ناجمة عن وجود اسرائيل ومتاتية من الرجات البترولية المتوالية » (*) .

(*) Dictionnaire des Philosophes. Tome II. P.U.F. 1984

ثم إننا نحتفل أيضا بكل أولئك الذين وجدوا فى مجلة « الفكر » محطا لرحال افكارهم وآرائهم وموئلا لابداعهم لا غاية لهم من وراء ذلك غير إرضاء ضمائرهم والاستجابة الى هاجس الخلق فى نفوسهم ولا هدف غير إبلاغ صوتهم الى القراء فى تونس وخارجها ولا دافع لهم الا هذه الروابط التى تربطهم بصاحب المجلة وأسرتها .

ولا ننسى ايضا أنه لولا هؤلاء القراء الذين ينتظرون كل شهر العدد الجديد من المجلة منذ العقود فيجدون فيها ما يرضي تطلعهم ويشفي غليل نفوسهم العطشى الى الطريف من الافكار والاشعار والقصة لما أمكن « للفكر » أن تواصل رسالتها . فبهم أيضا نحتفل .

ثم إن الذى لا يمكن ان يغيب عن اذهاننا هو ان مجلة « الفكر » رغم الصعوبات الموضوعية التى عرفتها والعراقيل الناجمة عن رواسب العهود البالية لولا ما وجدته فى تونس المستقلة ودولتها الديمقراطية الفتية بحدب ورعاية من الرئيس الحبيب بورقيبه لولا ما وجدته من مناخ ملائم لحرية التفكير والتعبير وجو دافع على الخلق والابتكار لما امكن لها أن تشق طريقها بهذا العزم وهذه القوة .

فبهؤلاء كلهم نحتفل واليهم جميعا نقدم جزيل شكرنا ولم لا ؟ تهانينا بمناسبة هذا الحدث لأننا بهم سنتمكن من ان نخطو بعد فترة الثلاثين عاما خطوات أخرى ثابتة مليئة بالاعمال الجليلة المشرفة للوطن وللانسانية .

البشير بن سلامة

استجواب «الفكر»

مع الأستاذ محمد مزالي *

أجراه : الحبيب شبوب

س : فى غمرة الاحتفالات بالعيد الثلاثين لمجلة « الفكر » ما هو شعوركم ؟

ج : هو هذا الشعور الذى يمتلك نفس الوالد تجاه ولده . يشهد مولده ثم يتتبع خطاه سنة بعد سنة وهو يراه يكبر ويشتد عوده .

هو هذا الشعور الذى يجعل الوالد يحمد الله الذى هداه الى أقوم مسالك تربيته ليتخطى ولده هذه السنوات الثلاثين فاذا هو فى ريعان شبابه أصلب عودا أمام الاحداث وأقوى ما يكون على مواجهة المستقبل .

هو شعور من لم تثنه الغوائل التى ثنت عزائم الكثيرين ممن غامروا وبعثوا مجلات ثم اضطروا الى التأثر بمقتضيات التقطع فى الصدور أو الى الاضطرار الى ايقافها تسليما بالامر الواقع والانحناء أمام ضغوط الواقع وواقعية ضعاف النفوس .

وهو شعور من نجح فى ان يمكن أجيالا من الادباء التونسيين من التعريف بانتاجهم وحثهم على اثبات وجودهم فى الكتابة بالصمود أمام تنكر المتنكرين وسخرية الساخرين ونقمة وحسد الحاسدين . وهو شعور من ساهم فى اخراج الادب التونسى من الطوق الذى أحكم حوله وجعله لا يتخطى حدود تونس فأصبح بفضل مجلة (الفكر) معروفا لدى الاوساط الادبية العربية والاجنبية.

وهو شعور من كرس جهوده لخدمة قضايا تمس بكياننا العربى الاسلامى وتتعلق باحلال الحوار بيننا وبين سائر الثقافات والحضارات .

وهو شعور من يعتقد رغم كل هذا المجهود المسترسل طيلة ثلاثين سنة أنه لم يقطع الا شوطا قصيرا فى هذه الملحمة التى يخوضها التونسى باعتباره منتسبا الى الحضارة العربية ليثبت ذاته فى هذا العالم الزاخر بالمتناقضات والغارق فى خضم من الصراعات .

هو اذن شعور بالعطف والحدب وشعور بالنخوة والاعتزاز انه شعور أيضا براحة الضمير قياما بالواجب وخدمة للمبادىء وهو الى ذلك شعور بالتواضع امام جسامة العبء وما تنتظره الاجيال القادمة من متواصل الخدمات والجهود فى سبيل خدمة الثقافة والادب بهذه الديار .

س : بعد صدور مجلة « الفكر » مدة ثلث قرن هل حققت أهدافها ؟ واذا كانت لها غايات تطمح اليها فما هى ؟

ج : اذا كان من أهداف صاحب مجلة « الفكر » أن تصمد مجلة ثقافية ثلاثين سنة بدون انقطاع حسب توقيت مضبوط (أول كل شهر) وتضرب رقما قياسيا فى الاستمرارية ولم يصبها ما أصاب كل المجلات الثقافية من الانقطاع أو التقطع فى الصدور فهذا هدف من الاهداف حققته .

واذا كان من أهداف هذه المجلة أن تجمع حولها ثلة من الادباء من مختلف المشارب الادبية والفكرية فى اطار التسامح والتقدير المتبادل وأن تفتح مع ذلك لاجيال الشباب المتعاقبة فرص الكتابة على صفحاتها فتبرز بذلك صورة أمينة وحية للادب والفكر فى تونس فقد حققت هدفا من أهدافها .

واذا كان من أهداف المجلة أيضا أن تمكن الادب التونسى من تكسير الطوق الذى ضرب حوله وتنشره بين الناس فى الوطن العربى ويكون مرجعا للباحثين والدارسين فى العالم فقد حققت المجلة هدفا آخر من أهدافها .

واذا كان من أهداف مجلة « الفكر » أن تستقطب الاذهان وتلفت الانظار الى مشاكل تونس المستقلة : مشاكل اثبات الذات العربية الاسلامية ، مشاكل التطور والنمو ، مشاكل الحوار مع الثقافات الاخرى . من خلال الاهتمام بميادين عديدة تخص التربية والثقافة والعلوم من حيث هى أساس استكمال المناعة والقوة فان المجلة قد حققت هدفا من أهدافها .

ولعل الحديث يطول عما حققته هذه المجلة من أهداف رسمتها لنفسها بانتظام افتتاحياتها الا انه يمكن القول ان الطريق ما زالت طويلة وأن ما وصلت اليه انما هو انطلاق محمود فى سبيل غايات أخرى وأهمها الزيادة فى رواج المجلة فى الوطن العربى احكاما لمد الجسور بين الاقطار العربية وضمان التلاقح المجدى بين النخب العربية حتى تتكامل وتصل الى انتاج ما من شأنه أن يلفت انظار العالم بخصائصنا وابداعنا ويجعلنا نساهم فى الثقافة الانسانية برصيد مرموق يعترف به القاصى والدانى .

كما أنه من الغايات التى نطمح اليها هو أن نجعل من الثقافة ـ اذ الادب والفكر ليس الا وجها مشرقا منها ـ المحرك الاساسى لنهضة البلاد العربية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا . ذلك أن الخلاقين المثقفين فى صورتى الاخذ والعطاء اذا حزموا أمرهم واشاعوا فكرهم فى بيئات تتقلص منها الامية شيئا فشيئا قادرون على تغيير الاوضاع وترقية الاذهان والرفع من شأن الانسان .

س : برغم الظروف الصعبة والاوضاع المتناقضة التى يحياها العالم العربى كيف ترون للثقافة والفكر دورا أساسيا فى تقريب الشقة والقضاء على الحواجز التى ما تزال قائمة بين أبناء الضاد فى المغرب والمشرق ؟

ج : صحيح ان الحواجز ما تزال قائمة بين أبناء الضاد والاسباب عديدة وتتمثل خاصة فى التفاوت الحاصل بين تطور هذا البلد أو ذاك ودرجة نهضة هذا القطر أو ذلك وهو أمر يرجع الى أسباب تاريخية متصلة بعصور الانحطاط وعهود الاستعمار .

ثم ان اختلاف الانظمة السياسية العربية قد عمق هذه الحواجز فبدت صعبة التذليل ويجب الا نغفل عن التأثيرات الاجنبية سواء السياسية منها أو الايديلوجية التى حققت بعض أغراضها فى بث الفرقة وتعميق العزلة بين

الاشقاء وليس من سبيل الى الخروج من هذا المأزق الا بعمل سياسى مشهود يتمثل فى عقد قمة بين الرؤساء والملوك للاتفاق حول خطة ثقافية ترتكز أولا على توحيد المناهج التربوية وتوازيها فى الآن نفسه سياسة ثقافية موحدة تتجاوز المشاكل السياسية .

ويبدو هذا اليوم كانه ضرب من الخيال ولكن لا بد من أن نقدم على ذلك لانه لو تأخرنا فى تحقيق هذه الامنية فاننا سنزيد العراقيل والحواجز صلابة وسنجعل من تقوقع الاقطار العربية على نفسها حقيقة لا ريب فيها وهو أمر لا يخدم لا الثقافة ولا الفكر بل يكون سببا فى احلال العقلية النحلية محل التحرر الفكرى وفى تفشي التعصب والدغمائية محل التسامح وسعة الرؤية وكل هذا يولد العنف والدمار ويؤول الى انحسار النهضة وتقهقرها والى تعميق الهوة الفاصلة بينها وبين الامم المتقدمة .

وليس من خيار لنا الا أن نصدع بالواقع ونرجع الى القيم الخالدة كما فعل الكثيرون من الفلاسفة والعلماء الاجانب بالنسبة الى أصولهم الحضارية ونتعظ بالماضي البعيد ونسلم بأن الثقافة الحق لا تينع وتزدهر وتبدع وتبتكر الا في مناخ من الحرية والانعتاق.

من مؤلفات الاستاذ محمد مزالي

★ الديمقراطية
★ من وحي الفكر
★ مواقف
★ في دروب الفكر
★ حديث الفعل

كعبة الفكر

شعر : محسن بن حميده

أيا قاصدا في تونس خير مورد　　فعرج على حوض الكريم الممجد
تفز بالتي أملت من كل بغية　　وبالمرتضى يأتيك فضل المزود
بدار بها الفكر المبين مقدس　　فيأتيه طلاب على غير موعد
بها ينهلون العلم نهل معطش　　شبابا وشيبا كهلهم خير مقصد
أيا «دار جلد» لا حرمت أشاوسا　　يردون عن حوض الحمى كل مفسد
وخلدت في التاريخ للفكر كعبة　　يصلي لها اللهفان صفو التعبد
قضينا بها ثلثا من القرن كاملا　　بعزم قوي واجتهاد مجدد
نسوي عقولا وافتكارا وأنفسا　　بها تفخر الأوطان يوم التمجد
صغارا نشلناهم شبابا يوافعا　　كنبت طرى العود مازال ينتدي
يهذبه الباري يسوي قوامه　　فيمتد مشتدا وغير معقد
ويأتي بثمر ناضج طيب الشذا　　لذيذ متى في الحلق يسعى من اليد
فكم مرة من صاحب ليس صادقا　　ولا وافيا بالوعد في اليوم والغد
ولا قانعا بالأجر من فخر أمة　　يزور لماما نادرا أو كأن قد
وكم ذا وجدنا النفس تشكو أقاربا　　ينوؤون ثقلا باليسير المعبد
يقولون: سيروا وحدكم إننا هنا　　نروم ثوابا بالتزام التعهد
نريد نقودا عن نتاج نسوقه　　وإلا فإن السعي غير مجدد

صَبَرْنَا على فِقْدَانِ رَهْطٍ مُحبَّبٍ ... وَقُلْنَا: سَيَسْعَى الكلّ سَاعةَ مَوْعِدِ
وَقُلنا أيا إخوَانُ إنَّا نُرِيدُكُمْ ... على البذْلِ تسعَوْا في حدِيثٍ ومتلدِ
وَلا تَبخلُوا بالجهدِ أصْلَ جُذورِكمْ ... وَإلا أضَعتُمْ كُلّ مَجدٍ مُخلَّدِ
وَذَرَتْكمُو هُوجُ الرّياحِ عواصِفا ... كذَرّاتِ رَملِ القَفْرِ يومَ التّشرّدِ
وَمَا شلّ مِنّا العزْمَ يوْما وَما بَدَا ... علينا كَلالٌ في مَسِيرٍ مُؤكّدِ
فَما هذهِ الدّنْيا الّتِي قلّ بِرّهَا ... وَسَاءَتْ مساعِيهَا بِنُصْرَةِ مُفْسِدِ
خَبَرْنا بِهَا خَيْرا وَشَرّا تَنَاوُبا ... فبَانَتْ لنا عَكْسا وَلاَ مِنْ تَرَدّدِ
عَلَيها يَمُرّ السّيْرُ دَوْما مُعاكِسا ... فَيَنْجُو الّذِي فِيها على الحقّ يعتدي
وَفيها خدِينُ الشّرّ دَوْما مُمجّدٌ ... وَفِيها قرِينُ الخَيْرِ غيرُ مُمَجّدِ
سَألنَاكَ رَبّي رَحمةً إنّنَا هُنَا ... ضُيُوفٌ لأيَّامٍ تُعَدّ على اليَدِ
وَإنْ لمْ يَكنْ مِنّا تُقى وَتَوَرّعٌ ... فمَنْ ذَا الذِي من غير فضْلكَ يهتدي
وَيكفِي صِحابَ الفكرِ أن قد تحملوا ... ثبَاتا على الإيمَانِ كيدَ المُهَدّدِ
فَهمْ يزْرَعونَ الخيرَ في كلّ رَوْضَةٍ ... فيورقُ نبتُ الخيْرِ يودي بحُسّدِ
وَيَستعْذِبُ الشّهمُ الهُمامُ مَرارَةً ... وَيَرضَى لأجلِ العِزّ وَقعَ المُهَنّدِ
وَيحدُوهُ في التّرْحالِ صَبرٌ وَعِزّةٌ ... يَرُوحُ بِهَا بينَ الرّفَاقِ وَيَغْتَدِي
أيَا صَاحِبَ «الفِكر الأبِيّ» الذي معا ... بدَأنا طَرِيقا وَعْرَةً بِالتّعَمّدِ
فها نحنُ دَوْما مُرْتضُون سُلُوكَهَا ... وَوَاللهِ في الأوْعارِ لَسْتَ بِمُفرَدِ
وَأنْتَ الّذِي تَدرِي بِأنّ شُجُونَنَا ... مدى رحلة الإخلاص بالحبّ ترْتدِي

محسن بن حميده

الاتجاهات الفكرية في مجلة «الفكر»

بقلم : ابويعرب المرزوقي

تمهيد :

لقد نيف عدد صفحات مجلة الفكر على الاربعين الفا فبلغت بمجلداتها الثلاثين حجم الموسوعات الكبرى . وهي بذلك تعد من أبرز عينات الفكر العربي المعاصر في القطر التونسي قضاياه وهمومه ، معاركه وطموحه .

لذلك فانه ليس من السهل أن نحدد ، في هذا الخضم من الدراسات والقصائد والقصص والمسرحيات ، الاتجاهات الفكرية التي ينتظم بحسبها الانتاج الغزير الذي ضمته المجلة بين دفتيها ، خلال سنيها الثلاثين الماضية . واذا لم يكن ذلك سهلا ، فانه ليس متعذرا ، خاصة اذا انحصر طموحنا في وضع الخطوط الاولى لدراسات متعمقة تتلو هذا المدخل ، ويكون هدفها البحث في الاتجاهات الفكرية من خلال اجناس المضمون الفكري والادبي المنشور في المجلة (1) .

تسعى اذن ، في هذه الدراسة التمهيدية ، الى تحديد الاتجاهات الفكرية التي سادت المجلة خلال عقودها الثلاثة الاولى ، وبصورة ادق الى تحديد السبل الكفيلة باستخراج هذه الاتجاهات من التشاجن العارم الذي يطغى على الاعمال المنشورة في مجلتنا .

---

(1) وذلك بحسب مجالات الاختصاص التي ستأتي الاشارة اليها في خاتمة هذا البحث .

1 ـ ففى مرحلة أولى سنحاول تصنيف أعداد المجلة تصنيفا يساعد على تعيين المضمون الممثل لهذه الاتجاهات أحسن تمثيل ٠

2 ـ وفى مرحلة ثانية سنربط هذه الاصناف بمحددات الاتجاهات الفكرية التى طغت على المجلة ٠

3 ـ أما المرحلة الثالثة فنخصصها لتحديد هذه الاتجاهات الفكرية وابراز أهم خصائصها ٠

4 ـ وننتهى فى المرحلة الاخيرة الى تعريف المجلة وتحديد طبيعتها علنا بذلك ندرك سر هذه الظاهرة التى جعلت مجلة الفكر تتميز عن غيرها من مجلات بلادنا : طول نفس ، وصمودا ، وثراء مضمون ، وانفتاح فكر ٠

ولا يمكن أن نحدد الاتجاهات الفكرية فى مجلة الفكر فى عقودها الثلاثة بدون أن ننتهى الى هذه النتيجة ، أعنى بدون أن نحدد طبيعة مجلة الفكر بالمقارنة مع مثيلاتها سعيا الى تفسير خصائصها بالاضافة اليها وتجاوزا لتعجب البداءة (2) وللتفسيرات المنحازة للمجلة أو عليها (3) . كما أن تحديد الاتجاهات الفكرية يتطلب حصر المضمون الذى سنعتمد عليه فى هذا التحديد، أو على الاقل ترتيب أصناف الاعمال ترتيبا نستند اليه فى تعيين مدى تمثيل الأعمال الواردة فى المجلة للمجلة : اذ ليس كل ما ينشر ممثلا أو على الاقل ليس هو ممثلا بنفس الدرجة ٠

فاذا تم لنا تحديد ترتيب المضمون ، ترتيبه فى تمثيل المجلة ، أمكن لنا ، اعتمادا على محددات المضامين المتراتبة ، البلوغ الى حصر الاتجاهات الفكرية وتعيين مميزاتها الاساسية فنسبها الى المجلة نسبة اقرب ما تكون الى اليقين٠ وتبقى دراستنا هذه ، مع ذلك ، بحاجة أكيدة الى دراسة أعمق تكملها وتتعلق بفحص الجوانب الاقتصادية والاجتماعية من المجلة بما هى ظاهرة ثقافية اجتماعية فى قطرنا : ذلك أن التعرف على بيانى مبيعاتها واصناف قرائها

(2) تعجب البداءة هو تعجب عدم الفهم الناتج عن الجهل ويتلوه بعد العلم التعجب الفلسفى ، وهذا المفهوم ارسطوطاليسى ٠

(3) التفسيرات المنحازة التى على المجلة هى التى تعتبر نجاح المجلة معلولا بالسند الرسمى لها ٠

وطبيعة علاقتها بمن يكتب فيها ومدى ارتباطها بالنظام الحاكم ومقدار اعتمادها أو عدم اعتمادها عليه ، هذا التعرف هو الذى يمكن من تقويم الدراسة الفكرية التى تقدمها فى هذا البحث بما يوفره لها من رد عمن يتهم المجلة فينفى عنها مزاياها من خلال نسبة خصائصها الى الدعم الحكومى والسند الرسمى ، مما قد يجعل صمود المجلة وحيويتها راجعين الى انتماء أصحابها الى السلطة القائمة ، لا الى خصائصها بما هى ظاهرة ثقافية صلبة أو الى ثبات أصحابها وصمودهم (4) .

1 ـ تصنيف أعداد المجلة :

تنقسم أعداد مجلة الفكر الى صنفين متميزين :الاعداد الخاصة أو الممتازة ثم الاعداد العادية . والاولى تتصف بوحدة الموضوع الذى خصصت له فى حين تكون الثانية أكثر تنوعا وتحررا من وحدة الموضوع .

1 . 1 ـ الاعداد الممتازة :

ويبلغ نسقها تقريبا عددين فى السنة مما يرفع نسبة هذه الاعداد الى خمس مادة المجلة تقريبا كما نبينه فى الكشف الجزئى الملحق بهذه الدراسة(5) وينقسم هذا الصنف الى نوعين ، نوع الاعداد الممتازة ذات الموضوع الذى اختارته المجلة ودعت الدارسين الى الاسهام فيه ، وصنف الاعداد الممتازة التى خصصتها المجلة لبعض الشخصيات الفكرية فى مناسبات نظمتها هيآت لاصحاب المجلة بها اتصال ، وهى مناسبات قطرية او قومية (6) .

وبيّن ان النوع الاول من صنف الاعداد الممتازة أكثر دلالة على اتجاهات المجلة الفكرية من النوع الثانى لكونه من اعداد أصحابها ومن وحى هموم أسرتها . لكن النوع الثانى يبقى ذا دلالة ، اذ ان المجلة لم تنشر أعمال كل المناسبات ولا حتى كل الاعمال فى المناسبات التى اختارتها (7) . واذن فان

---

(4) اشار الاستاذ مزالى فى حفل توزيع جوائز وزارة الثقافة سنة 1984 الى تفسير نجاح المجلة بالسند الرسمى وفنده مبينا العقبات التى اعترضت طريق المجلة وعدم تمتعها بالسند الرسمى فى أصعب فتراتها .

(5) كشف الاعداد الممتازة بحسب العقود الثلاثة ملحقه بالبحث فيما بعد .

(6) مثل مؤتمرات اتحاد الكتاب فى تونس أو اتحاد الكتاب العرب .

(7) مثل العددين الخاصين باحياء خمسينية الشابى سنة 1984 .

نشر هذه الاعمال مفيد لامرين : فهو يثبت انفتاح المجلة وتحررها ويثبت عدم تنافي هذه الاعمال مع المجلة فيكون المنشور بذلك دالا على اتجاهات المجلة وان بدرجة أدنى من النوع الاول : ذلك أننا لا نصدق التحامل القائل بأن المجلة فعلت ذلك بحثا عن المادة لتحقيق الاعداد العشرة سنويا ٠

ان الاعداد الممتازة بنوعيها تدور حول مسائل قطرية أو قومية فى مجالات الفكر العامة والادب والسياسة والاجتماع ٠ وكلها عينات من الاتجاهات الفكرية التى سادت الساحتين الوطنية والقومية خلال العقود الثلاثة الاخيرة٠

1 ٠ 2 ٠ الاعداد العادية :

أما الاعداد العادية فهى الصنف الاغلب ، اذ هى تمثل أربعة أخماس مثاتها الثلاثة ؛ وأغلب مضامينها قطرية الهموم بحوثا وابداعات وقطرية الباحثين.وهى تنقسم مثل الصنف الاول الى نوعين:الأول يتضمن الاعمال التى تعتبر مجلة الفكر منبتها الاصلى وسبيل بروزها وعلة وجودها لان أصحابها نشأوا فى مجلة الفكر وتدرجوا معها وأصبحوا كتابا فى أحضانها وذلك بفضل مساعدتها لهم وانفتاحها عليهم فى خطاهم الاولى ، والثانى يتعلق بالاعمال التى نشرت فى المجلة اما لمجرد كون أصحاب المجلة استحسنوا نشرها تنويها بأصحابها أو ربطا للصلة بهم ، وهى فى أغلب الاحيان بحوث وابداعات مرتبطة بمناسبات قطرية او قومية او دولية ٠

وهكذا يكون صنف الاعداد العادية منقسما الى نوعين أولهما يغلب عليه طابع المحاولات التكوينية لباحثين ومبدعين تونسيين خلال تدرجهم الفكرى ، وللمجلة فى ذلك فضل اكتشاف المواهب ورعايتها لدرجة ان العلاقة الوطيدة معهم جعلت المجلة ذات أسرة مفتوحة دائما اذ هى كل من انضم الى المجلة خلال تدرجه الفكرى الى أن صار كاتبا لامعا . وثانيهما يغلب عليه طابع الزيارات أو الضيافات التى يؤديها بعض المفكرين أو المبدعين العرب والاوربيين للمجلة ببعض أعمالهم ينشرونها فيها .

وبين أن النوع الاول من هذا الصنف أكثر تمثيلا لاتجاهات المجلة الفكرية من النوع الثانى : ذلك أن الباحثين والمبدعين الذين تنتسب اليهم هذه الاعمال المتدرجة النضج أصبحوا من أسرة المجلة وهم بالتالىممثلونلاتجاهاتها الفكرية أما اصحاب النوع الثانى من الاعمال فهم ضيوف وجلهم من الزائرين غبا ٠ ويصح حكمنا هذا بالنسبة الى جميع الاجناس الادبية الواردة فى المجلة

أعنى المقالة والتقصيد . والقصة والمسرحية والرواية • لكن ظاهرة الاسماء الزائرة تغلب على جنس المقالة ، ويتلوها الشعر •

2 ـ ربط الاصناف بمحددات الاتجاهات الفكرية السائدة عليها •

تخضع الانواع الاربعة التى ذكرناها الى عوامل أساسية تعين خصائص مضمونها وتجعلها تكون ما هى • وهذه العوامل يمكننا ، بوصفها محددات اتجاهات المجلة الفكرية ، أن تساعدنا على حصر هذه الاتجاهات وابراز معالمها : ذلك أن هذه المحددات هى الشروط التى حتمت الاحداث والمضامين التى تعرضت اليها الاعمال الواردة فى المجلة فى بعديها الدراسى والابداعى وخاصة فى افتتاحياتها وأعمال المشرفين عليها وهى أعمال وثيقة الاتصال بالحدث الهام الذى تعالجه المجلة أو بالظرف الذى صدرت فيه •

وتمثل هذه المحددات دوائر أربعة متحدة المركز : الدائرة القطرية والدائرة القومية والدائرة الاوروبية ثم الدائرة الانسانية أما المركز فهو هم المجلة الرئيسى : كيف يسهم الفكر ورجاله فى تشخيص الازمة ومعالجتها ، أزمة الانسان الحديث الذى يراوده الاستسلام امام الاخطبوط العنكبوتى لمكبلات حياته الروحية الفكرية والسياسية الاجتماعية • والمحدد الاول هو ما يجرى فى الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بالقطر التونسى ؛ والمحدد الثانى هو علائق مكونات المحدد الاول بالساحة العربية والمحدد الثالث هو تفاعلات مكونات المحددين السابقين بالغرب أما المحدد الرابع والاخير فهو تفاعلات المحددات الثلاثة السابقة بهموم الانسان عامة بصرف النظر عن الظرفيات القطرية والقومية والاجنبية •

ولما كانت أصناف المجلة متمايزة بالخصائص التى أشرنا اليها ، فانه من المفيد ربطها بهذه المحددات ؛ ذلك أن الفحص العميق لمضامين الاعداد الخاصة يبين أنها تخضع بصورة عامة الى المحدد القومى • فالاعداد التى موضوعها واضح القومية عديدة مثل تلك التى تعلقت بالادب العربى والبطولة والاسلام أو ببعض الآداب القطرية العربية الاخرى . والاعداد الخاصة بالقطر التونسى عربيا أيضا : إما تكون حول الشخصيات الفكرية والادبية عربية الثقافة باطلاق (8) أو بكونها ـ انكانت منالمعاصرين ـ قد تجاوزت الساحة القطرية فسادت على الساحة العربية كما هو الشأن بالنسبة الى الشابى والمسعدى (9)

---

(8) وجهات نظر ، الطبعة الاولى ص 221 ـ 222 •

(9) وجهات نظر ، ص 242 ـ 443 •

مبرهنة أن الفكر التونسي ليس الا رافدا هاما من روافد الفكر العربي فى كل عصوره .

ويغلب الجانب القومي كذلك على الدراسات والابداع الذى نسبنـاه الى الكتاب الضيوف ، وذلك لان الضيوف يسعون ، خلال الحوار مع الـرافـد التونسي ، الى وضع الحوار فى مرتبة تلاقى الروافد العربية : وبذلك تكون نقطة الالتقاء فى نفس الوقت الاعتراف بالتنوع فى الهوية الواحدة والارتفاع الى تجاوز القطريات الضيقة ، وذلك هو دليل وحـدة الحضـارة العـربيـة وحيوية فكرها .

أما الجانب الابداعي فى المجلة فجاء قطرى الهموم ؛ أجنبى الاشكاليـات المضمونية ؛ عربية الاشكاليات الشكلية ؛ ذلك أن الادباء الناشئين ومن صلب عوده منهم يعكسون محددات الابداع فى تونس المعـاصرة ، أعنـى عـوامل المصادر الثلاثة التى ينصتون اليها : هموم القطر ومعاناته ؛ المعارك الفكرية والادبية فى ثقافة الآخر ثم عطالة التراث وعدم طواعية أدوات التعبير وأولاها اللغة وأشكال التعبير الفنى شعرا ونثرا ؛ تلك هى سمات المضامين الواردة فى الاعداد العادية فى جانبها الاغلب أعنى فى النوع الاول من الاعمال الواردة فيها والمنتسبة الى اسرة المجلة المفتوحة .

ان لهذه المحددات الاربعة جميعا بعدين : عملى نظرى ؛ ثم ابداعى جمالى . والبعد الاول يتعلق بالمسائل الاجتماعية والسياسية المباشر منها (عمليـة) وغير المباشرة (نظرية) ، وهذا البعد هو العامل السائد على جنس المقـالات والدراسات والبحوث فى جميع أنواع الاعداد . أما البعـد الثانى فيتعلـق بالمسائل الابداعية الجمالية وهو العامل السائد على الشعر والقصة وما يدور حولهما من نقد وخصومات فكرية وأدبية .

غير أن التمييز بين الانواع وبين المحددات لا يعنى نفى تواصلها وتفاعلها : بل هو تمييز منهجى يفيد أنها أنواع متواصلة ومحددات متفاعلة : فالمحدد السابق ليس الا درجة من المحدد اللاحق أو هو بصورة أدق ظرفياته الأشمل والادق : فالمحدد القطرى هو ظرفيات المحدد القومي والاجنبى والكونى ؛ أى ان المسائل التى يتعلق بها تكون قطرية فى خصوصياتها وقرائنها وظرفياتها ولكنها تحافظ على ابعادها الثلاثة الاخرى : ولنضرب مثالا على ذلك : مسألة التعريب قطرية فى ظرفياتها ، قومية فى هدفها ؛ أجنبية فى سببها ؛ وكونية فى طبيعتها (علاقة الانسان بلغته الأم) وفى حلولها النظـرية والعمليـة .

ومسألة الشعر قطرية فى خصوصيات خصوماتها عربية فى اشكاليات شكلها ووظيفتها ؛ أجنبية فى نوازع التعبير واتجاهاته وكونية فى عوامل الثورة الجمالية وحركيتها ٠

واذا كان المحدد القطرى يعمل دائما وبصورة غنية عن التعليل ، فان المحدد القومى بحاجة الى التحليل : ذلك أنه يعمل بصورتين طريفتين وقابلتين للتحديد الدقيق ، فالتراث بما هو الماضى الذى ما يزال حاضرا بقى فاعلا فى الدراسات العملية والنظرية من خلال المعارك التى قابلت بين النظام التونسى والحركات الوحدوية ؛ وبقى فاعلا فى الاعمال الابداعية والجمالية من خلال معارك الشكل واللغة وأجناس التعبير والتواصل الفكرى فى الحضارة العربية بعد ثورات التحرير العربية فى كل شعوب الامة ٠

ويعمل المحدد الاجنبى فى الجانب العملى النظرى من خلال معارك التحرير المباشرة لحركات سياسية وغير المباشرة كسعى للاستقلال الفكرى والثقافى؛ لكنه فعال خاصة فى معارك التجديد الشكلى والمضمونى للابداع والفن عامة ؛ وهو يجمع الفاطميتين فى معركة نموذج الحياة الغربى والفرنكفونية بما هما سعى الى طرح المعادلة الزائفة التى تجعل التراث الآخر الماضى ؛ والغرب الآخر المستقبل والتونسى العدم الذى مات ماضيه ولم يولد مستقبله ولا يمكنه أن يوجد الا اذا تنكر للماضى فتفرنس ويكفى مجلة الفكر فخرا أنها كانت مجال حياة الماضى الذى ما يزال فاعلا وحاجز المستقبل المستلب مما جعل التونسى يدرك معادلته السليمة : التراث حاضر الماضى وجذور المستقبل والمستقبل تفجير الماضى من الداخل لا باستعارة ماضى الآخر مستقبلا لنا ٠

وهكذا يكون مدار المعارك فى تونس كما هو الشأن فى جميع أقطار الوطن العربى ، السعى الى الحصول على مسؤولية تحمل الهوية والتحرر من عقدة الاجنبى وعلى مسؤولية تحمل الخصوصية والتحرر من عقدة التنامى بين القومية والقطرية ٠ لذلك كانت المجلة فى منزلة حرجة ، اذ ان القوميين غير الجديين يتهمونها بالانفصالية لكونها تسعى الى الدفاع عن الخصوصيات التونسية والى تنميتها والمتغربون يتهمونها بالرجعية والسلفية لانها تسعى الى الدفاع عن الهوية العربية والى تنميتها ٠

أما المحدد الرابع فانه يعطى للمجلة بعدها الكونى فيجعلها فى البعض من الاعمال مجلة علمية تشرف الفكر العربى بتونس: ذلك أن المحدد الكونى يتعلق بجانب الدراسات الاكاديمية العلمية العامة التى تتجاوز الظرفيات القطرية

والقومية والاجنبية وترتفع الى هرم الانسان عامة ، ويمثل هذا البعد علماء اجلاء وأدباء كبار نذكر من المفقودين منهم حسن حسني عبد الوهاب والفاضل بن عاشور وطه حسين وبلاشار ٠

3 ـ الاتجاهات الفكرية في مجلة الفكر :

وهكذا يصبح بوسعنا أن نحدد أهم مميزات الاتجاهات الفكرية التي طبعت المجلة خلال عقودها الثلاثة ٠ ذلك أن تراتب المضامين بحسب الاصناف التي حددناها يبين أن الاعمال الواردة في الاعداد الخاصة التي نظمتها المجلة والاعمال الواردة في الاعداد العادية والتي ليست للكتاب الضيوف تعتبر أحسن ممثل لاتجاهات المجلة الفكرية ٠ أما الاعداد الخاصة الاخرى ، وأعمال الضيوف فهي قريبة من اتجاهات المجلة لكونها لا تتنافى معها وهي بالتالي تعين مدى انفتاح المجلة على الساحتين التونسية والعربية خارج أسرة المجلة الضيقة (الهيئة) وأسرتها الموسعة (الكتاب الذين نشأوا ونضجوا مع المجلة) .

ولذلك يمكننا أن نميز بين أعمال اسرة المجلة في المعنى الضيق وأعمال أسرتها في المعنى الموسع وأن نلحق ما عدا ذلك بهذين المحورين المزدوجين وذلك من خلال تحديد قرابتيهما من اتجاهات المجلة الفكرية ٠

فأما اتجاهات أسرة المجلة المضيقة فان الاستاذين محمد مزالي والبشير بن سلامه يمثلانها أحسن تمثيل ، وأما اتجاهات الاسرة الموسعة والملواحق يمثلها أحسن تمثيل مضمون الاعداد العادية والاعداد الخاصة التي نظمتها المجلة بالنسبة الى الاولى والاعداد الخاصة الاخرى ومقالات الضيوف بالنسبة الى اللواحق .

3 • 1 • الاتجاه الفكري الاساس : اتجاه الاستاذ مزالي

ليس الاستاذ محمد مزالي مؤسس المجلة بالمعنى المادي فحسب ، بل تعد اراؤه ونظرياته الاساس الفكري والنظري الذي يمكن أن نشتق منه الاتجاهات الفكرية التي طبعت المجلة خلال عقودها الثلاثة ٠ ويتألف هذا الاساس الذي جعل من المجلة مدرسة فكرية وادبية عامة وحركة سياسية واجتماعية ، خاصة من أربع مرتكزات هي اساطين فلسفة المجلة وأعني نظرية طبيعة الانسان ونظرية طبيعة فعله في التاريخ ونظرية فعل الكتابة وأخيرا نظرية طبيعة الازمة الانسانية الراهنة والتي تعتبر مجلة الفكر أداة مجابهتها الفكرية والعمل السياسي المباشر أداة علاجها العملية ٠

ويمثل طبيعة الانسان فى منظار الاستاذ مزالى خصائصه الروحية وقدرته على تجاوز ظروفه المادية والتاريخية . ان خاصية التجاوز الروحى والسيادة على الوضع المادى هما جوهر الانسان : «والواقع أن الانسان ـ منظورا اليه من وجهة علم التشريح أو الوظائف أو المقارنـة مـع الطبيعـة ونـواميـس الاقتصاد ـ كائن ضعيف ، واية صدمة بالطبيعة العمياء والقوة المادية الهوجاء قادرة على الفتك به والقضاء عليه . ولكنه على ضعفه المادى يملك عقلا وروحا وشعورا ووعيا وعزما ويملك بالخصوص قدرة على تجاوز منزلته الارضيـة وتكسير أحقاده الاجتماعية بما يراه خيرا وحقا وجمالا » .

ان العبارة الاخيرة ـ الخير والحق والجمال ـ اشارة واضحة الى القيـم الفلسفية الثلاثة القارة ومقابلة جلية بين الثوابت الانسانية والظـرفيـات المعيقة لها . أما الموازنة بين منزلة الانسان المادية وقدرته على التجـاوز من حيث هو عقل وشعور ووعى ، فانها دليل بين على التمازج الحى بين تلـك القيم الفلسفية القارة والقيم الدينية الخالدة مما يجعل هذه الارادية عند مزالى فلسفة وجودية مؤمنة ، والمثالية الارادية التى تحدد هذا الموقف الوجـودى المؤمن تجعله صراعا دائبا مع الواقع المادى ومع نـوازع الخـذلان والهـروب منـه .

ويمثل هذا الموقف الذى حددناه ايجابيا بكونه فلسفة وجودية مـؤمنة ، معارضة دائمة ، من وجهه السالب ، للفلسفات المادية فى بعـديها الطبيعى والاجتماعى كما بينته بيانا جليا الاشـارة الى الحتميـة العضـوية والحتميـة الاقتصادية المزعومتين قيدا لحرية الانسان فى الفلسفات التى يـرد عليهـا الاستاذ مزالى بهذه القولة الجامعة .

وينتج عن هذا الموقف الوجودى المؤمن النافى للفلسفات المادية نظـريـا والمصارع للخذلان والاستسلام عمليا نظرية فى الفعل التاريخى كانت المجلة تجسيده الفكرى وكان النضال السياسى للاستاذ مزالى تجسيده العمـلى أما شواهده فهى مستوحاة دائما من رموز القوة الروحية للانسان المعاصر . أعنى ثورات التحرير ضد الاستعمار . ان الانسان الكائن الروحى المتجاوز هو الفاعل فى التاريخ ؛ أما الظروف المـادية والشـروط الاقتصـادية فهى محددات هذا الفعل احيانا لعوائق وأحيانا كأدوات وأسباب : «اذ التاريـخ ليس تعبيرا عصريا جديدا عن القضاء والقدر ونواميس الاشياء . وانما هو جماع جهد الرجال الذين يعيشون من أجل هدف أسمى ويضحون فى سبيل مثل أعلى . وهو ثمرة جهادهم ودليل حريتهم وعنوان مجدهم وسر عظمتهم» .

تؤكد هذه العبارة المكثفة على الموقف الوجودى المؤمن من خلال الرفض القاطع والثورة الدائمة على الايمان الاستسلامى (القضاء والقدر) واللامبالاة الرواقية (نواميس الاشياء) : ذلك أن التاريخ يعرف هنا بوصفه ملحمة الحرية الانسانية المتجاوزة . الحرية الفردية والجماعية التى تتعين فى هذا الفعل المتجاوز والذى تعتبر حرب التحرير التونسية خير دليل عليه . اذ ان شعبا عربيا أعزل استطاع بالتجاوز الروحى للمكبلات المادية التغلب على أكبر القوات الاستعمارية فى عصرنا ، فرنسا امبراطورية الاستعمار الاستيطانى .

لكن هذا الفعل التاريخى المباشر لا يستطيع بما هو عمل مباشر أن يعين التجاوز الانسانى ما لم يسبقه فعل غير مباشر يعد اليه ويهديه ، أعنى فعل المثقف ورجل الفكر الملتزم بقضايا الانسان من خلال التحامه بقضايا شعبه : وهذا الفعل اللامباشر هو فعل الكتابة والابداع : «وكذلك لا معنى للعبودية من حيث انها عبودية – عند الاحرار والعبيد أنفسهم – ما لم يسمها انسان ويحددها وينعتها بأنها شر ... الكتابة اذن ابراز للوجود ، وتحقيق للممكن وكشف عما كان مجهولا ودعوة للعقل حتى يفكر فيما لم يكن يفكر فيه من قبل ويدرك من الاشياء ما لم يدركه ولم يخطر له أن يدركه» (١٥) . الكتابة هى اذن التجسيم الفعلى لفعل التجاوز عند الانسان . ولعل فى خاصية التسمية فى الفعل التجاوزى اشارة واضحة الى تميز آدم وتجاوزه لرتبة الملائكة بهذه القدرة على التسمية . التى هى كشف ووعى وعقل بدونها ينحط الانسان فلا يكون الا جسما ماديا بين المواد ، ولا يمكنه عندئذ أن يبلغ الى الفعل التاريخى المباشر . الفعل التاريخى المباشر أصبح اذن غير مباشر : اذ هو مسبوق حتما بفعل الكتابة لذلك كانت مجلة الفكر محاولة لتحقيق هذا الشرط ليكون الفعل التاريخى فى تونس متحررا من رد الفعل العشوائى فيصبح فعلا متجاوزا يهديه فكر واع وملتزم .

واذا كان هذا الفعل من جوهره تسمية وتحديدا ، فان أول عمل يقوم به سيكون تحديد طبيعة الازمة التى يعانى منها الانسان فى عصرنا الحالى ، أعنى تحديد خصائص الموقف الانهزامى الذى آل اليه الانسان المعاصر رضوخا لجبروت المادة وتقبلا للفلسفات المادية . ذلك أن هذه الفلسفات بما تنادى اليه من نزعات تجعل التاريخ وليد حتمية اقتصادية تؤدى عمليا الى التواكل والاستسلام أو الى الثورة التهديمية لا غير .

---

(١٥) دراسات ص ١٠٣ .

لذلك كانت الازمة فى نظر الاستاذ مزالى عامة فى ميدانى التاريخ المعاصر : العالم المتقدم والعالم المتخلف ؛ وهى تتميز باربعة وجوه بشعة ستكون مجلة الفكر فى كل مراحلها ترصدا دائما لنتائجها الوخيمة وسعيا دائبا للاطاحة بها . فاما الميدانان فهما العالم الغربى بشقيه حيث اتخذت أزمة الانسان شكل الضلال فى المادة فزالت الروح واستحالت عنجهية تدعى أنها عقل علمى ثم العالم الثالث الذى اتخذت الازمة عنده شكل الضلال فى العالم الغربى الضال : فزالت الذات وعوضها الاستلاب واستحالت الاصالة تقليدا أعمى وعصرانية جوفاء .

أما الوجوه البشعة التى تبدت بها الازمة والتى يمثل الصراع معها برنامج مجلة الفكر نفسه ، فهى الوجه الخلقى أعنى استسلام الفرد ، والوجه التربوى اعنى موت المؤسسة التربوية التى صارت تكوينا مهنيا بلا روح ؛ والوجه الثقافى أعنى أدب الهزيمة والخنوع والاستسلام للقدر . ويجمع هذه الوجوه الثلاثة وجه رابع هو الوجه السياسى أعنى انعدام الرؤية الشاملة لهذه الازمة ولحلها اى الموقف المؤمن بالانسان وبقدرته على التجاوز والتحرر وهو موقف وصفناه بكونه وجودية مؤمنة .

تلك هى الاسس التى ركز عليها الاستاذ مزالى مجلة الفكر فكانت خلال عقودها الثلاثة سعيا دائبا لمعالجة وجوه هذه الازمة بالاستناد الى النظريات المحددة لطبيعة الانسان وطبيعة فعليه المباشر (العملى) وغير المباشر (الكتابة) ذلك أن المجلة كانت وما تزال ثورة خلقية فى دعوتها الى تحرير الفرد، وثورة تربوية فى دعوتها الى اصلاح التربية وثورة ثقافية فى رفضها لادب الهزيمة وثورة سياسية فى تنصيعها للرؤية الشاملة التى يجب أن تهدى بناء الدولة والمجتمع فى تونس المعاصرة .

3 . 2 . الاتجاه الفكرى الهيكل : اتجاه الاستاذ بن سلامه :

اذا كان الاستاذ مزالى هو المؤسس للمجلة فى المعنيين القانونى والنظرى والواضع لمبادئها وفلسفتها ، فان الاستاذ البشير بن سلامة الذى واكبه فى هذه المهمة يعتبر الساهر المباشر على تحقيق هذه الفلسفة فى بعديها النظرى

والعمل ادارة للمجلة واسهاما فكريا وذلك للتوافق النظرى والابداعى بين الاستاذين ولطبيعة علاقتهما الشبيهة بعلاقة عبده بالافغانى (II) .

ونظرا الى عسر التمييز بين فلسفتيهما فى العمل الفكرى والعمل السياسى لكونهما فلسفة واحدة ، يبقى علينا ان نحدد طبيعة الرسالة التى اداها الاستاذ بن سلامه بحثا وابداعا لمواصلة عمل الاستاذ مزالى ولاضافة ما يتميز به عنه . ولعل أهم ميزة يمكن أن نقابل بها بين الرجلين هى انتقال الثانى من مرحلة التأسيس الى مرحلة التحقيق لثمرات فلسفة الاول فى المهام التى ذكرناها خلال تحليلنا لاتجاه المؤسس .

لكن التوافق والمواصلة لا ينفيان الاختلاف والتنوع . فعلى المستوى النظرى تميز عمل الاستاذ بن سلامه بالاهتمام بالتشخيص العينى مركزا على أزمة الهوية العربية فى تونس استنادا الى التشخيص العام الذى نسبناه الى الاستاذ مزالى : ويتمثل هذا التشخيص فيما نعتقد أنه سر وحدة أعمال الاستاذ بن سلامة الذى ظل خفيا على كثير من القراء فلم يدركوا وحدة التنوع وتعدد الاهتمامات فى كتاباته وظنوها محاولات منفصلة لا يربطها رابط : تحديد اتجاه الاستاذ بن سلامة هو عين ادراك وحدة عمله .

فسواء نظرنا فى أعمال الاستاذ بن سلامة الدراسية أو فى أعماله الابداعية يبقى خيط أريان فيه هو مكونات هوية تونس العربية وتعيناتها فى التاريخ ثم أدوات وعى هذه الهوية الفكرية والادبية وتطوراتها فى الزمان : ذلك أن مسالة اللغة وطرق تعلمها ودور العائق الكتابى فى ذلك ليست أمرا معزولا لا صلة له بمسألة الهوية ؛ بل هى جواب عن سؤال ظل مضمرا فى أعمال بن سلامة : كيف تصبح مكونات الهوية التى تعينت فى التاريخ وتكونت خلال

(II) المقارنة بين علاقة الزوجين الافغانى عبده ومزالى بن سلامه مفيدة لأمرين. فهى تحرر العلاقة بين المؤسسة والمحقق بدون نفى دور الثانى فى مهمة الاول ودور الاول فى مهمة الثانى لتمازج الدورين وعسر الفصل ؛ ثم هى تحدد طبيعة أداة العمل المزدوجة العمل المباشر ثم المجلة . لكن مجلة الفكر كانت أكثر صمودا من العروة الوثقى والاسباب واضحة . اذ ان الاولى مجلة نشأت وترعرعت فى بلد مستقل فى حين أمر الثانية نشأت وماتت فى المنفى .

المعاناة السياسية والاجتماعية والجمالية الادبية سبل ادراك الذات لذاتهـا ؟ من هنا تأتى ضرورة اصلاح اللغة والكتابة ·

لكن هذا الجانب النظرى العملى (كيف نعمل ؟ اذ أن سؤال : ما العمل حددته مرحلة التأسيس) ليس الجانب الاكثر طرافة فى فكر الاستاذ بن سلامة : اذ رغم أهميته يبقى هذا الجانب من صنف العمل الفكرى المتحدث عن العمـل وكيفياته ولكنه ليس بعد عملا ابداعيا كما هو الشأن فى عمل الاستاذ بن سلامة الابداعى المباشر (الشعر المنثور والقصة) واللامباشر (النقـد الادبـى والمعارك الادبية والفكرية) ·

فاذا كان كتابا : « الشخصية التونسية » و « النظرية التاريخية فى الكفاح التحريرى التونسى» يمثلان أحسن تمثيل ما اصطلحنا على تسميته بالتشخيص العينى لازمة الذات التونسية من خلال عسر قيام الهوية التى تبدو متقطعة (تعدد الحضارات) ومنجذبة بأقطاب متقابلة بعضها يظن ماضيا الى مـوات وبعضها يظن مستقبلا دخيلا . وكان هذا التشخيص ساعيا الى تحديد ثوابت الهوية وازاحة التشويش (الشخصية التونسية) والى بيان طفراتها التاريخية وتخلقها خلال الكفاح (النظرية التاريخية) فان الاعمال الابداعية والنقـدية ستجاوز هذه المرحلة الشخصية العلاجية الى مرحلة التحقيـق والبنـاء ، الى مرحلة اقامة الهيكل وفى ذلك يكمن سر عنوان هذه الفقرة (12) .

فلقد نتج عن مرحلة التشخيص العينى أن وعى الهـوية وادواتـه أعنـى وسائل التعبير والاتصال بالذات بما تطرحه من اشكاليات مضمونية وشكلية تمثل جوهر الفعل الابداعى بدرجتيه ابداع مباشر (شعر وقصة) وابداع غير مباشر (نقد الادب والتنظير له) · لذلك كان مضمون العمل الابداعى بدرجتيه ليس شيئا آخر غير اشكاليات وعى الهوية ·

ان التحليل الفلسفى للعمل الابداعى المباشر الذى قدمه الاستاذ بن سلامة شعرا منثورا (اللوحات) وقصة (عائشة) قد يكون مخلا بهذه الاعمال اذا اقتصر الهم فيه على تحديد اتجاه الكاتب الفكرى : اذ عندئذ نهمل الجانب الاهم أعنى

---

(12) الاتجاه الهيكل بالمقابل مع الاتجاه الاساسى : اشارة الى علاقة الاساس بما ينبنى عليه وهى اشارة لا تنفى عن المؤسس دور البناء ولا على الباقى دور التأسيس راجع الهامش السابق ·

الجانب الفنى فلا نركز على الجانب العقائدى وهو خطأ لن نقع فيه فى دراستنا هذه (I3) لذلك فنحن سنركز على الجانب الابداعى اللامباشر ، أعنى النقد والنظرية الادبية حيث لا يعد تحديد الاتجاه الفكرى اخلالا بالعمل المحلل ٠

والابداع اللامباشر أعنى نظرية الابداع نقدا للادب وتنظيرا له تدور كلها حول وعى الهوية وادواته : ان وعى هوية الشعب تفترض علاقة حية بينه وبين اداة التواصل مع الذات الوطنية فى مراحل تكونها ونضجها وتعينها فى الاطار الحضارى الذى تنتسب اليه : مشكلة الازدواج اللغوى الاهلى والازدواج التعبيرى الاهلى هى المنبع الرئيسى لنظريتي الاستاذ بن سلامة فى الكتابة وفى التطعيم (I4) ٠

ولا يمكن أن نفهم علاقة نظرية الكتابة بمسألة الازدواج اللغوى الاهلى الا اذا أدركنا ضمائر هذه العلاقة : وندرك هذه الضمائر اذا تساءلنا عن علة عدم زوال الازدواج اللغوى الاهلى رغم انتشار التعليم وتقدم وسائل الاتصال والمناهج التربوية ؟. والجواب البين هو أن الازدواج اللغوى الاهلى جعل العربية الفصحى لا تتعلم الا بالقراءة لا بالسماع ، أعنى بالعين لا بالاذن ٠ لكن الكتابة العربية لا يمكن أن تجعل القراءة أداة تعلم للغة وهى لا تكون ممكنة الا لمتعلمها ٠ وبذلك ندرك ان الحل هو اصلاح نظام الكتابة ٠

قد يعتبر البعض هذه المسألة من الجزئيات الفنية التى تهم المطبعة وقد يكون تقدمها الفنى تجاوز هذا الاشكال ؛ لكن النتائج المعرفية والتربوية والنفسية لنقائص الكتابة العربية هى العلة الاساسية فى تكريس الازدواج اللغوى الاهلى وفى عدم القدرة على ازالته أو حتى التنقيص منه ٠ وما تكريس هذا الازدواج الا تغييب للوعى بالهوية وفصام لها ؛ وهو قتل لقدرات الابداع يكون الازدواج عائقا : ويبرز هذا العائق فى المدلول الحقيقى للنظرية الثانية نظرية التطعيم الايقاعى ، ذلك أن هذا التطعيم يعنى فى جوهره قدرة عظماء المفكرين والادباء على تجاوز الازدواج اللغوى الاهلى بالتوحيد بين اللغتين الفصحى والعامية والقضاء على الازدواج فى ابداعهم ٠٠ تجاوز الازدواج

(I3) وهى دراسة ننوى انجازها فيما بعد ٠

(I4) لعل هذا الرابط الذى نشير اليه بين مسألة الكتابة ومسألة التطعيم قد يفيد فريقى البحث اللذين يسعيان فى بيت الحكمة الى دراسة هذين الآخيرين بصورة مفصلة .

الاهلي قضاء على انفصام الشخصية وتعبيد لارضية الابداع : ذلك أن تحول اللغة العربية الى لغة أم حية هو الشرط الضروري والكافي لكي تصبح اداة وعي الذات وأداة الابداع في نفس الوقت فتستقيم هوية الامة وعقل المبدعين .

لا شك أن الاستاذ بن سلامة لا ينكر أهمية العائق الظرفي المتولد عن الازدواج الدخيل بين العربية والفرنسية ، وما يتولد عن التقابل في منزلة اللغتين من عقد نفسية عند المغلوب لكن هذه المسألة تنتسب الى البعد العملي من مهام مجلة الفكر ، مهمة الذود عن الهوية ضد الاستعمار الثقافي وهي بالتالي دون مسألة الازدواج الاهلي أهمية . أما اذا قضينا على عقبات اداة تعلم اللغة فان العربية تصبح لغة أم وعندئذ تزول عقدة استعسار العربية واستيسار الفرنسية في بلد يطمح المستعمر الى فرنسته بدءا بأداة وعيه بالذات وختما بطمس معالم الهوية .

تجاوز الانفصام في الهوية والازدواج الاهلي في أداة الوعي بها يجعلان الابداع الفكري والادبي ساريا في خضم الحياة اليومية للشعب وبلغته الأم فيزول التقابل بين الادب الشعبي الذي يزعم البعض أنه مضمون حي بشكل دنيء ، والادب الفصيح الذي يزعم البعض انه شكل رفيع بمضمون ميت .

ان نظرية التطعيم الايقاعي ليست الا الدحض الملتزم لهذا الفصام الادبي الذي يرفضه التزام بن سلامة القومي : وبالفعل فان نسبة مسألة الكتابة والقراءة الى مسألة الهوية وغيابها هي عينها مسألة التطعيم الى التعبير الفني عن الهوية تحقيقا لها وتجسيما للوعي بها : ان ابراز التواصل المستمر بين لغة الادب والفن ولغة الحياة والفعل .. وذلك هو جوهر نظرية التطعيم . ان هذا التواصل المستمر الذي أثبته الاستاذ بن سلامه بالحجة التاريخية من خلال نماذج من الادب العربي الفصيح في كل عصوره يبين حركة الادب بما هو وعي بالمقوم الجمالي في هوية آلامه . ومعنى ذلك أن الادب ليس عملا صناعيا تعده فئات منفصلة عن الحياة مثل كتبة الديوان فلا يعبر عن ذات الامة ؛ بل ان فتراته العظمى تستمد عظمتها من التلاحم بين لغة التعبير الادبي ولغة الحياة اليومية أي من تجاوز الازدواج اللغوي الاهلي والاجهاز على الانفصام في الهوية وفي ادراكها . وما أعلام الادب الكبار الا اولئك الذين حققوا أكثر من غيرهم هذه المعادلة التي يمكن أن تصبح حقيقة المواطن اذا تعاضد العمل

التربوى السياسى والعمل النظرى الابداعى للقضاء على الازدواج اللغوى الاهلى (15) ٠

ذلك هو على حد اجتهادنا مدلول الاتجاه الفكرى الذى يمثل الاستاذ بن سلامة والذى تتكون منه وحدة اعماله الفكرية ٠ وهذا الاتجاه هو فى عمومه تحقيق عينى للوجودية المؤمنة من موقع الالتزام القومى الذى غلبت عليه سمات أربع هى : نظرية عملية (الهوية) وما ينجر عنه ذرائعيا أو نظرية رفع واقع الهوية الى واجبها بفضل ازالة الازدواج اللغوى الاهلى (اصلاح الكتابة لتسيير القراءة وتعلم اللغة الأم) ثم نظرية ابداعية جمالية (الشعر المنثور والقصة) وما ينجر عنها ذرائعيا أو نظرية رفع واقع التعبير الى واجبه بفضل ازالة الازدواج التعبيرى الاهلى (التطعيم الايقاعى بما هو سر الابداع التعبيرى) (16)

3 . 3 . الاتجاهات الفكرية التى لغير أعضاء الأسرة والمضيفة :

وتبرز الاتجاهات الفكرية التى لغير اعضاء الهيئة على شاكلتين احداهما تمثل الاعداد الخاصة التى لم تنظمها المجلة وأعمال الضيـوف ؛ والاخرى تمثل الاعداد الخاصة التى نظمتها المجلة وما تبقى من الاعمال الواردة فى الاعداد العادية ٠

ففى الاعداد الخاصة غير التى من تنظيم المجلة تكون الاعمال على غرار أعمال الكتاب الضيوف فى الاعداد العادية متصلة بالمناسبة التى هى موضوع العدد الممتاز أو مقالة الضيف أكثر من اتصالها بهموم المجلة التى حللناها فى الفصول السابقة ٠ ومعنى ذلك أن هذه الاعمال ، بحوثا وابداعات ، غير مرتبطة بالدائرة الاولى ، الدائرة القطرية ، الساحة التونسية لنفس درجة الاعمال التى طبعت الصنف المتبقى من الاعمال حيث تكون الدائرة التونسية هى المنطلق وما عداها من الدوائر توابع لها ٠

لكن الاعداد الخاصة التى نظمتها المجلة واعمال أسرة المجلة الموسعة فى الاعداد العادية تتميز دراسة وابداعا بعاملين احدهما يتمثل فى التعـددية

---

(15) المثال الذى يتردد كثيرا فى أعمال بن سلامة ، بالنسبة الى الادب العربى بتونس هو مثال شاعرية الشابى ٠

(16) قد يكون عملنا هذا بعيدا عن قصد المؤلف لكن المؤلف ليس بالضرورة الاقرب الى فهم أعماله من غيره بعد أن أصبحت ملكا مشاعا .

البديعة التى نادرا ما عرفتها بلادنا ، اذ ان المجلة متفتحة على جميع الاتجاهات الفكرية التى اعتملت فى الساحة التونسية وعلى جميع الاجناس الادبية التى ترعرعت فى النهضة الادبية المعاصرة بتونس • وثانيهما يتمثل فيما تضمن المجلة لكل مراحل تكوين جل المفكرين والادباء التونسيين : ومعنى ذلك أن كتاب المجلة وأسرتها المضيقة من تكوين المجلة نفسها ،فهم قد بدأوا فيها وتطوروا الى درجة النضج مقالة وقصيدا وقصة ومسرحا • وما من كاتب عربى بتونس بدأ الكتابة فى الخمسينات وواصلها الى الآن الا وللمجلة عليه مـن الفضل الكثير • وليس افضل عرفانا من كونهم قد أصبحوا أسرة المجلـة الموسعة رادين اليد البيضاء بالمثل •

3 . 4 . مجالات فعل المجلة وعناصر التجديد فيها :

ويمكن أن نستعرض باجمال وتنسيق العناصر الجديدة التى طبعت المجلة وأسرتها الموسعة فى المجال التربوى والعملى والتعليمى والسياسى والمضامين الابداعية الموازية لذلك •

فللمجلة فلسفة تربوية تهتم بتحديد شروط تكوين الانسان العربى بتونس تكوينا يحقق مقومات القوم التى هى الهوية العـربية والثقـافية الاسـلامية والانفتاح الانسانى وهى مقومات استقرت فى الوعى التونسى خلال مراحل تاريخه وتتمثل هذه الشروط فى جعل انتاج الفكر العربى بتـونس مـادة التكوين العاطفى والوجدانى والذوقى الاساسية بدون تناف مع التراث العربى فى الاقطار العربية الاخرى •

وللمجلة فلسفة اقتصادية تهتم بتحديد شروط تكوين الثروة استنادا الى أسباب الثروة فى تونس ، أعنى الارض والانسان وسعيا الى تحرير الاقتصاد الوطنى من التبعية فى معنييها : التبعية الاقتصادية المادية والتبعية المتولـدة عن نمط النمو الغربى الساعى الى تحويل المواطنين الى عمال وبروليتاريا عوض جعلهم أصحاب انتاج للثروة ومالكين لوسائلها : اقتصاد المهـن الصغـرى والمتوسطة الرافض للضخامة الساحقة .

وللمجلة فلسفة علمية ومعرفية تهتم بتحديد شروط جعل العقل العربى عامة والتونسى خاصة قادرا على انتاج المعرفة وتجاوز مرحلـة الاستهـلاك للاسهام فى مغامرة الخلق العلمى معرفة وتكنلوجيا .

وللمجلة أخيرا فلسفة سياسية تتمثل فى تأليف وحدة الفلسفات الثلاث السابقة أعنى الفلسفة الداعية الى تحقيق المجتمع الانسانى المتعادل الذى يكون فيه الانسان سيدا لا مسودا ، وذلك المضمون الحقيقى للوجودية المؤمنة حيث يكون المواطن شخصا واعيا لا مجرد اداة أو لولب فى آلة اقتصادية عمياء .

4 ـ تحديد طبيعة المجلة :

ان الثمرة الاساسية لهذه المحاولة هى تعريف مجلة الفكر وتحديد طبيعتها بما هى ظاهرة ثقافية هامة فى تاريخ الفكر العربى الحديث ببلادنا التى تعتبر احدى المنارات الكبرى فى الوطن العربى خلال كل فترات تاريخه .

4 . 1 . والمجلة هى ماديا هذا العمل المتصل الحلقات الذى نما فبلغ مرحلة الرشد بسنيه الثلاثين واعداده الثلاثمائة ومضمونه الموسوعى . ولا يمكن تقويم هذا الحجم المادى تقويما سليما ما لم نميز فيه بين البعد الاعلامى الذى تقتصر فيه المجلة على نشر المادة التى ليست من ثمرات عملها المباشر ؛ وهى عندئذ مجرد مرآة لاحداث عصرها . ثم البعد الابداعى الخلاق الذى تكون المجلة فيه بأسرتيها المنتج الحقيقى للحدث الفكرى والادبى وللتعبير المتصل به وعندئذ تكون المجلة أحد فعلة التاريخ الحديث متجاوزة دور المرآة الغالب على البعد الاول .

ويتطلب هذا التعريف المادى للمجلة الاشارة الواجبة للرابطة الوثيقة بين هذين الدورين ومنزلة صاحبيها فى الحياة السياسية والفكرية فى تونس : ذلك أن المجلة تكون فى ذروة الابداع والاسهام كلما كان دور الاستاذين مزالى وبن سلامة السياسى ثانويا ؛ وكلما أصبح دورهما رئيسيا فى السياسة تغلب الجانب الاعلامى على المجلة . ولعل تفرغهما الفكرى فى الحالة الاولى وانشغالهما السياسى فى الحالة الثانية هما السبب فى هذه الظاهرة .

4 . 2 . ويقودنا هذا التعريف المادى الى تحديد السمات الغالبة على مضمون المجلة : فالمضمون الدراسى والبحوث تكاد كلها تكون من جنس البعد الاعلامى الذى تكون فيه المجلة شاهدا على عصرها فى دوائره الاربعة الاقليمية والعربية والغربية والعالمية . واذا ما استثنينا اتجاهى رئيسها ومباشر أمورها اللذين اطنبنا فى تحليلهما نستطيع القول بانه لم يبرز فى المجلة اتجاه آخر يجعل البحوث والدراسات متجاوزة للبعد الاعلامى .

لكن البعد الابداعي ـ قصة وشعرا ومسرحا ـ كان وما يزال جامعا لكل ما صدر في تونس من أعمال ثابتة : بل ان المجلة كانت وما تزال موطن المخاض لكل الاتجاهات الابداعية في الساحة التونسية ٠

4 ٠ 3 ٠ وهكذا يتيسر لنا أن نعرف المجلة عقائديا ٠ اذ أن الدور الاعلامي جعل المجلة منجذبة الى طرفين يتنازعان جانبها الدراسي وبحوثها : فالمجلة تتفرغ الى الالتزام المذهبي الصارم كلما كان دور صاحبيها السياسي ثانويا بدرجة تجعلهما في حل من تمثيل رأي آخر غير رأيهما ؛ وهي تقتصر على عكس العقيدة الرسمية للنظام كلما أصبح دور صاحبيها لا يسمح لهما بتقديم موقفهما الشخصي على الموقف الرسمي ٠

أما الدور الابداعي فانه يتضمن كل الايديولوجيات التي تداولت وتصارعت في الساحة الفكرية التونسية : وفضل المجلة في ذلك مضاعف ؛ انفتاحها على جميع التيارات وحماية حرية الرأي في كل الظروف ، اذ لا أحد يستطيع أن يتهم صاحبيها بمناوأة النظام مما يجعل المجلة سدا منيعا ضد كل من يريد اسكات الاقلام رفضا للتنوع والاختلاف ٠

4 ٠ 4 واذن فمجلة الفكر كانت وما تزال أداة كفاح سياسي اجتماعي وأداة خلق فكري أدبي ٠ انها مجلة العمل الفكري المباشر : مجلة الذود عن الهوية القومية بالمقابل مع الاجنبي وعن الخصوصية التونسية بالمقابل مع نقادها من الاندماجيين ومجلة التعددية الفكرية بحثا والتنشئة الجمالية ابداعا ، وهي اذن من عناصر الفخر بالنسبة لحياتنا الفكرية العربية في تونس .

الخاتمة

لقد كان تصنيف اعداد المجلة وحصر محدداتها في المرحلتين الاوليين سبيلا الى تحديد الاتجاهات الفكرية وطبيعة المجلة في المرحلتين الاخيرتين : وبذلك تعد دراستنا هذه مدخلا تمهيديا لفهم ظاهرة مجلة الفكر بما هي ظاهرة فكرية ثقافية وبما هي ظاهرة اجتماعية سياسية ٠

ذلك أن خاصيات هذه المجلة جعلتها تكون في نفس الوقت أداة كفاح اجتماعي وسياسي في جانبها الاعلامي المواكب للاحداث والملابسات القطرية والقومية والغربية والعالمية ، وأداة خلق تربوي وابداعي في جانبها الفكري المنشىء للمواهب والمنمي للخلق .

لقد جعل البعد الاول مجلتنا اداة ناجعة لتحديد هوية الشعب العربي في تونس ذودا عن قوميته ضد الفرنكفونية والمسخ الحضاري وإبرازا لخصوصياته ضد الهيمنات الاندماجية الساعية الى التوحيد بالنفي لا الى التوحيد باحترام الخصوصيات الثرية لكل شعوب الامة العربية .

لكن هذه الطرافة جعلت المجلة وعقيدة اسرتها عرضة لسوء الفهم من قبل طرفي النزاع اللذين فضلا الحلين الاسهلين : نفي الهوية القومية او نفي الخصوصية القطرية . بل ان صاحبي المجلة قد تعرضا الى أكثر من مجرد سوء الفهم في دفاعهما عن هذه المعادلة الصعبة التي تمثل الفهم الاسلم لمنزلة تونس في علاقتها بماضيها وحاضرها اذا أردناهما أن يظلا حيين ليولدا مستقبلها ووعي علاقتها بحاضرها ومستقبلها اذا أردناهما أن لا يكونا مسلوبين مفروضين عليها مؤديين الى نفي تواصلها الذاتي ماضيا وحاضرا ومستقبلا .

وحتى لا يكون هذا الكفاح العقائدي مقتصرا على الخصومات الايديولوجية الخالية من ثمراتها الابداعية ، جمعت المجلة الى هذه المهمة الدفاعية مهمة أعمق منها أعني الرسالة التربوية الابداعية : فهي التي نشأت أجيالا من المفكرين والادباء يجسدون هذه العقيدة بأعمالهم الفكرية والادبية ، مما جعل المجلة ، خلافا لمثيلاتها ، لا مجرد لسان ناطق باسم حزب أو فئة ، بل هي كانت مدرسة فكرية وعقائدية حاولت بصورة مرحلية غزو السياحتين السياسية الاجتماعية والفكرية الادبية في البلاد : فلم يبق اليوم في تونس من يستطيع أن يكون فرنكفونيا الى حدود نفي الهوية القومية أو اندماجيا الى حدود نفي الخصوصية القطرية .

وبذلك يكون للمجلة فضل احياء الرافد التونسي في النهر العربي ، لا فقط بمجرد الكلام عنه أو الدعوة اليه بل بخلق تيار من الاعمال والآثار الفكرية والادبية اسمه موسوعة الفكر وبتنشئته أجيالا من المفكرين والادباء هم أسرة الفكر الموسعة .

لقد نجحت الفكر في رسالتها الاولى اذ أن عقيدتها صارت عقيدة الاجماع في تونس ، كما أن الرافد التونسي قد فقد عقده ازاء نفاة الهوية القومية فصار لا يخجل من عروبته وازاء نفاة الخصوصية القطرية فصار محاورا لشعوب أمته بخصوصياته وبما يشاركها فيه . لكن نجاح هذه الرسالة يحتم على الفكر رسالة جديدة تكون منطلق انقلابة نوعية في عمل المجلة نفسه : لقد

بات من الضروري الآن بعد نجاح المهام العملية . تقديم المهام النظرية • آن الاوان لكي تصبح المجلة ذات فروع مختصة يكون كل منها لسان حال لمؤسسة مختصة تكونها المجلة :

1 ـ مؤسسة البحوث السياسية والعقائدية ؛
2 ـ مؤسسة البحوث الاجتماعية والنفسية •
3 ـ مؤسسة البحوث الفنية والجمالية •
4 ـ مؤسسة الابداع بجميع أصنافه •

وبذلك تكون مجلة الفكر بمؤسساتها هذه أولى الجامعات الشعبية التي أدت الدور الطلائعي بحق قبل أن تحمل الاسم • وعليها الآن أن تعطى هذا الدور حقه من التنظيم والتنسيق : وأولى هذه المهام هي تكوين معهد البحوث ومكتباته المختصة بتمويل من المجلة وباسهام من اسرتها الموسعة • أما المهمة الثانية فهي تكوين النشريات الفرعية المختصة في المجالات التي اشرنا اليها• أما المهمة الثالثة فهي طبع ما سبق نشره بحسب أصناف الاختصاص • والمهمة الرابعة والاخيرة هي تكوين جمعية أسرة الفكر الموسعة لتمكين أعضاء هذه المدرسة الفكرية من التواصل والعمل المشترك في جميع المجالات التي أسهمت فيها المجلة •

أبو يعرب المرزوقي
كلية الآداب ـ تونس

« الفكر » عدد (301)

بهذا العدد تفتتح مجلة « الفكر » سنتها الواحدة والثلاثين راجية لقرائها الأعزاء حظا سعيدا

وكل عام و « الفكر » بخير

غزل تونسي

شعر: محمد جميل شلش
(العراق)

أما الهوى .. فتحيياتٌ لياليهِ   صونيه يا تونسُ الخضراءُ صونيهِ
ذكرتُ دنياكِ مشتاقا فأرّقني   طيفٌ بكلّ طيوفِ العمرِ أفديهِ
طيفٌ تجسّدَ في حوريّة وطنا   تختالُ خضرُ الدّوالي في تثنّيهِ
لم يعرفِ البحرُ أغلى من جواهرهِ   ولا السّواحلُ أحلى من مغانيهِ
أطلّ خلفَ جفوني عندَ زورتهِ   وسالَ في الدّمعِ أنقى من لآليهِ
واختالَ في الكأس يسقيني جنى شفة   بخيلة .. وسلافا من سواقيهِ
صادي الجوانحِ يذكي نارَ صبوتهِ   أنّي بنار الهوى العذريّ أذكيهِ
أني أغني رؤاهُ الخضرَ في امرأةٍ   وأستعيدُ رؤاها في أغانيهِ
ولا أسمّي .. وعذرا يا سرائرنا   فقد حلفتُ بهِ أن لا أسمّيهِ

* * *

يا تونسَ الحبّ صونيه .. فإنّ بهِ   من نورِ عينيكِ ومضا في مآقيهِ
ومن تساميكِ في الجلّى ترفّعهُ   ومن تجلّيكِ في النّعمى تجلّيهِ
أفديهِ من مترفٍ زاهٍ بنعمتهِ   يشجيه طعمُ الهوى الصّافي ويصبيهِ
سقى اغترابي كؤوسَ الودّ مترعة   في «بابِ سعدونَ» أزكى ما أرجّيهِ
وشرّفَ الشعرَ في قرطاجَ حينَ سرى   نشوانَ في كلّ جرسٍ من قوافيهِ
وتحتَ مخضرّة «الرّفرافِ» وارفةٍ   مخضلّةٍ بالهوى والحسنِ والتّيهِ

توسَّدَ الرَّملةَ الظمأى ووَسَّدَني　　صَدْرا تَحِنّ إلى السُّقْيا ظَوَامِيهِ
يَهنيكِ أنَّكِ يا خضْرَاءُ جَوْهرُهُ　　وَسِرّهُ المتناهي في مَعَانِيــهِ
وأنّهُ أنتِ أوْشاجا وَطيْفَ هَوًى　　تُقْصِيهِ عنَّا لَيالينا .. وَنُدْنِيـهِ

* * *

ياتونسَ الحبّ كُونِيهِ فما خفقَتْ　　لكِ الأضالعُ لولاَ أنْ تَكُونِيهِ
وَمَازجِيهِ .. وَخَلّيهِ لفطْرَتِـهِ　　رُوحا .. يُزَكِّيهِ : أنَّا لا نُقَاضِيهِ
وأنّهُ صَوْتُنا العالي .. وَمُبْدِعُنَا　　وَسِرّنا المُتجلّي حينَ نُعْلِيــهِ
يَصُوغُنَا مِنْ شياطينٍ مَلاَئِكَةً　　وَيَجتَبينا نَدامى في لَيالِيــهِ
وَيَصْطَفِينا لأدْهى مانُحَاذِرُهُ　　من الدّواهي .. ونستحْلِي دَوَاهيه

* * *

ويا سُمَيراءَهُ المِغناجَ منْ وَلَـهٍ　　تُخفيه أعطافُها النّشْوى وتُبْدِيهِ
لا تَبْخَلي بالجنى المَعسُولِ في شَفَةٍ　　قُدْسيّةٍ ، ألّهُوها دُونَ تَألِيهِ
كلاكُما : أنتِ والخضراء يُظمِئني　　إليكما فَرْطُ شوقٍ لَستُ أدْرِيهِ
خَمْسٌ تَقَضّيْنَ وَالنّجوى تسامرني　　وَغيرُ حُبِّكِ طيْفاً لا أُنَاجِيهِ
وَغيْرُ كأسِكِ ما مرّتْ على شفتِي　　وغيْرُ كرْمِكِ لم أعشَقْ دَوَالِيهِ
وغيرُ طَلْعتِكِ السَّمراءِ ماخطرَتْ　　الا تهادَى هوى الخضْرا وَمَنْ فِيهِ
فلا تكوني كمَنْ جلّى .. وَخلّفَنَا　　ظَمأى نُداري الأسى فيما نُدارِيهِ
يُضَفّرُ الحُسنَ تاجا من مَواجعِنا　　وَيستعير الرّؤى مما نُسَاقِيــهِ
حانٍ .. ويخلطُ بالنُّعْمى قسَاوَتَهُ　　دَانٍ .. ويمزجُ بالقُرْبى تَجافِيهِ
يُرْضِيهِ أن يتشفّى من تَمَزّقِنَا　　وأنّ نمُوتَ ونَحيا في تَشَفّيهِ
لم يَكفهِ ألفُ جرْحٍ من فواجعِنا　　حتّى رمانا بِسَهْمٍ من عَوادِيه
وما رَعى في الهوى جرْحا نُهدْهِدُهُ　　من قبلِ جيلٍ .. وَنرْعى عهْدَ ماضِيه
وَحسبُنا عِزّةً : أنَّا نُكابِدُهُ　　وَنرْتَضِيهِ .. وَنسترْضِي تَجنّيهِ

وَحسْبُهُ في الدّوالي حينَ نُنسِبُها   أنّ الرّحيقَ المُصَفّى منْ أسامِيه

* * *

ويا رفاقا على الخضراءِ .. يَجمعُهُمْ   هـذا الهوى المتناهي في تناهيـهِ
في القلبِ أنتُمْ . ولامَنّا . ولا عدَةَ   بِوارفٍ دُنيوَيٍّ جِئتُ أبْغِيهِ
بل جئتكم أحملُ الخمسينَ طاهِرة   نقيةً منْ أضَاليلٍ وَتَشْـويهِ
أزهُو بها : أنْ مشى شيبٌ بعارضها   وما مشَى في ذُراها أيّ تَمْويهِ
وأسْألُ اللّهفَةَ الظّماى على خجَلٍ   من فجّرَ العِطرَ في قلبي أيغْويهِ ؟
ومن سقاني الهوى كأسين كأسَ صِباً   وكأسَ قُرْبى نعِمنا في تَساقيهِ
أسْتغفِرُ الحبّ .. هذا الحبّ أعرفُهُ   وأدّعيهِ .. وأستَمرِي دَواعِيهِ

* * *

ويا أهَيْليَ في الأوشاجِ ، أرَقّهُمْ :   أنّ الهوى المَحض يشكو ظلمَ أهليهِ
سَكبتُ رُوحيَ في وِجدانِكمْ نغما   وَطُفتُ في حَرَمِ اللُّقيا أُناجِيهِ
ليتَ الذينَ اصْطفَيناهُمْ أحِبّتَنا   لا يَحرِمُونَ حَبِيبا منْ مُحِبيّهِ
وَليتهُمْ في لَظى الجُلّى وجاحِمها   يَرْعونَ للنّسبِ العالي تَعالِيهِ
ويا أهَيلي – ولاشكوى – فما نفعتْ   آهاتُ جِيلَيْنِ شعْبا في تَشكّيهِ
ولا ازْدِهاءٌ عِراقيّ بما صَنَعَتْ   بغدادُ في زحمة الجُلّى .. فَأُبْدِيهِ
تَرَكتُ بغدادَ مَزْهُوّا بِطلْعَتِها   هامُ العروبةِ في أقصَى أقاصِيهِ
تركتُ خلفيَ في بغدادَ مَلْحَمَةَ   يَلوِي النّخيلُ بها أعناقَ لاَوِيهِ
تركتُ نهرا .. لوَ انّ الأرضَ أجمعَها   غِيضَتْ مياها .. لما غاضَتْ مجاريهِ
تركتُ شعبا منَ الأبْطالِ تَحرُسُهُ   زُنُودُ أهْليهِ في الجُلّى وَتَحْميهِ
وجئتكمْ أستميحُ الحبّ إذْ طَفحتْ   في كأسِهِ فورَةٌ مِمّا يُعانِيهِ
وَعُذْرَ بغدادَ إنْ ندّتْ على شفَتَي   ورَفرفتْ في ذُرى الخضراء بالتّيهِ
فهاجِسُ الحبّ أغلى ما أُدِلّ بِـهِ   وَلاعِجُ الحبّ أسْمى ما أُعانِيهِ

والحقّ للقوّةِ العصْماءِ . يعضدُها   فِكرٌ .. ويُعلي تَجلّيها .. وتُعْليه

* * *

ويا أبا « الفكر » لم تبرَحْ بِساحَتِه   مُجاهدا ، قدْرَ ما يُعطيكَ تُعطيهِ
من ْقبلِ جيلٍ .. وما استحلبتَ دِرّته   ولا نَكثتَ بِصادٍ من ْ صَوادِيهِ
ولا نَكصْتَ على الأعقَابِ مُنتهِزا   ولا رَكَعْتَ لِطاغٍ من أعَادِيهِ
جرّدْتهُ صَار ما حُرّا ، ولُذْتَ بهِ   زَيتونَةَ تتقاوى في مَجاليهِ
وما برحْتَ مُحبّا لا تُفارِقُهُ   ولا تُصَافي هوى من ْ لا يصافِيهِ
تَذودُ عنهُ .. وتُعليهِ .. وتُكرمُهُ   وَتصْطَفِيهِ على حبّ .. وتُغْلِيهِ
وَتحْضُنُ الضّادَ أوْشاجا مُفرّقَة   تُذْكي العروبةَ فيها حينَ تُحيِيهِ
ياصاحبَ « الفكر » تيّاها بِعصْمَتهِ   مُدَلَّها بهوَاهُ أيّ تدْلِيهِ
أنْبِيكَ أنيِ – وَجلّ الشّعرُ عن مِدحٍ   والفكرُ عن كلّ تزييفٍ وَتمويهِ –
أصْفيتُكَ الحبّ لا زُلفى ولا مَلَقا   ولا رَجاء إلى أمرٍ أُرَجّيهِ
لكنْ وفاء لِما أشتفّ من ْ قِيَمٍ   قُدْسيَة .. تصْطفي شِعري وَتُصْفيه

* * *

آمنْتُ بالواهِبِ الخَلاّقِ يُبدِعُنَا   منْ جَمرَةِ الحبّ لا من طينِ واديه
آمَنتُ بالفكر : أنّ الخيرَ رائِدُهُ   وأنّ خيرَ التّسامي في تَسامِيهِ
آمنتُ بالشعر غرّيدا على فَنَنٍ   يُميتُهُ الحبّ في الدّنْيَا وَيُحْيِيه

بغداد : 25 – 8 – 1985
محمد جميل شلش

القصّة في مجلّة "الفكر"

بقلم : الطاهر قيقه

لما اجتمعت ثلة من الاساتذة والكتاب في يوم من أيام سنة 1955 بمكتب صغير ومتواضع في «نادي قدماء الصادقية» بنهج دار الجلد بأعلى المدينة وقررت أصدار مجلة كانت تحدو تلك الجماعة آمال عريضة وثقة في مستقبل ذلك المشروع .

لم نكن كتابا متفرغين بل كنا جميعا هواة نكتب الشعر أو القصة او المحاولة الادبية أو الخاطرة او المقالة النقدية او الدراسة العلمية والفلسفية في أوقات الفراغ أو بالمناسبة أو عندما يفيض الوحي فيغلب ولا يغالب .

صدر العدد الاول لمجلة الفكر في أول يوم من أكتوبر 1955 عندما ظفرت تونس باستقلالها الداخلي ولاحت في الافق القريب بشائر الاستقلال التام . فكان تحرير البلاد الذي كان ينبيء بتفجير الطاقات المبدعة في كل مجال أهم حافز لنا فيما أقدمنا على تحقيقه .

وكنا أيضا معتمدين على أنفسنا وقد سبق لنا أن عبرنا عن آرائنا وخلجات أنفسنا فيما كان يتاح لنا في عهد الاستعمار من وسائل تبليغ متواضعة كالملحق الثقافي لجريدة الصباح مثلا الذي لعب دورا خطيرا لمساعدة الكتاب في فترة عصيبة وموحية للقرائح كان يبحث فيها بعضنا عن طريقة ما لابلاغ أفكاره وآرائه وما يختلج في مكنونه.فها قد أفسح لنا المجال لنكتب كمجموعة أولى في مجلة أسسناها وسهرنا على انطلاقتها الاولى في ظروف ممتازة أصبحنا نرى فيها النور ونقترح المسالك والحلول للمصير .

وكنا شاعرين باننا لا ننطلق من فراغ . فقد سبقتنا في الميدان مجلة المباحث التي صدرت تباعا طوال اربع سنوات من أفريل 1944 الى أوت 1947 · وكانت ملتقى مرموقا عالي المنزلة للمثقفين التونسيين وخيرة كتابهم · لم يكتب لهذه المجلة الراقية الدوام بسبب ظروف الحرب الطاحنة ومؤامرات الاستعمار المستكلبة التي ارغمت المفكرين والكتاب الى الانقطاع الى المشاركة في المقاومة الوطنية والكفاح النقابي ، وسبقتنا ايضا مجلة الندوة · فهذه وتلك تركتا لنا تقاليد كانت لنا مرجعا ·

وكنا على يقين من أننا قادرون على بث الحماس للمشروع واستقطاب من كان دوننا سنا من الكتاب والمثقفين في عهد كان فيه أكثر الناس يدينون بالقيم السامية وينقطعون للعمل الصالح وهم يحسون بأنهم يبنون وطنا · وكان الكتاب والمثقفون والمفكرون قلة متعارفة متضامنة . وكانت العلاقات بين الاجيال طبيعية متنها الكفاح الوطني والطموحات المشتركة .

وكان همنا الاساسي وشغلنا الشاغل المحافظة على الدوام والانتظام في اصدار المجلة · ورأينا آنذاك أن قوة عزيمة ادارتها وقدرتها على المداومة لا بد أن ترتكزا على اتجاه سليم يتمثل في تفتح المجلة على جميع التيارات الفكرية والادبية والفنية ورفض الانطواء أو التحزب لتيار فكري معين أو مدرسة ادبية بعينها · بذلك نضمن لها التجدد المستمر ومواكبة النهضة الفكرية والادبية والفنية بمختلف اتجاهاتها ·

وقد أراد مؤسسو المجلة أن تكون ملتقى لجميع المثقفين يدور فيها حوار طليق متسامح بين جميع النزعات الفكرية والادبية · وهذا ما عبر عنه مدير المجلة في الفقرة الاخيرة من افتتاحية العدد الاول «للفكر» قائلا :

«فاذا أمكن لهذه المجلة أن تكون ملتقى المثقفين في هذه البلاد حتى يعالجوا مشاكلهم على ضوء الفكر فانها تكون قد قامت بنصيب متواضع من عمل انشائي أكيد» (1) ·

وبينت الايام أن مجلة الفكر كانت وفية للهدف الذي رسمته لها منذ نشأتها حيث بقيت ملتقى لتيارات فكرية وأدبية مختلفة ومتصارعة أحيانا وفتحت صفحاتها لكثير من الشعراء والقصاصين الشبان وعرفت بالعديد

---

(1) الفكر اكتوبر 1955 ·

منهم واحتضنتهم حتى صلب عودهم وألفوا الدواوين والروايات والمجموعات القصصية واحتلوا مكانهم في الساحة الادبية · لا تؤاخذ أحدا لاجل افكاره السياسية أو غرابة اختياراته الادبية والفنية تاركة جمهور القراء يصدر أحكامه فيقبل أو يرفض · دورها تمكين الكلمة من البلوغ الى جمهورها ومنحتها الفرصة لمغالبة الزمن . اما أن يكون لها أو عليها والزمن هو أصدق الحاكمين .

الحديث عن القصة صعب متشعب لاننا كنا وما زلنا لم نتفق على مفهومها وعلى أنماطها . وما زلنا نطلق هذا المصطلح على ألوان مختلفة من القص . تتقاذفنا المفاهيم القديمة المقتبسة من التراث العربي المكتوب الفصيح والشفوي الشعبي على حد سواء والمفاهيم الحديثة المتداولة في الآداب العالمية التي تفرق بشيء من الدقة بين الحكاية (conte) والقصة (nouvelle) والرواية (roman)

سيتناول مقالي القصة في مجلة الفكر بمفهومها العام الذي لا يخلو من غموض أي بعبارة أدق فن القص بأنماطه القديمة كالحديث والحكاية والخبر والخرافة وأنماطه الحديثة كالقصة والرواية ·

كنا في الخمسينات نكتب القصة ولا نعرف أنها قصة · بعضنا بدأ بكتابة الشعر المنظوم أو المرسل مثل العروسي المطوي ومصطفى الفارسي ثم تحول الى كتابة القصة ثم الرواية لما ضاقت الاساليب الشعرية عن التعبير عما يريد ابلاغه · ولكن تحول هؤلاء من التعبير الشعري الى التعبير القصصي لم يكن مصدره اعراضا على الشعر وقطيعة بل تسخيرا للقريحة الشعرية لخدمة أغراض أخرى · فاحتوت قصصهم ورواياتهم على عناصر هي من وحي قريحتهم الشعرية التي لم تخب ·

كتبت في سنتي 1955 و 1956 مجموعة من النصوص القصيرة كنت أعدها تعبيرا عن خواطر مستوحاة من الواقع المحيط · ومن غريب الامر ان المسؤولين عن مجلة الفكر أدرجوا أحد النصوص وعنوانه «وصية» في باب «البحث والمقالة» في العدد الممتاز الصادر في شهر أكتوبر 1965 بعنوان : «عشر سنوات من حياة الفكر» والذي اشتمل على مختارات من نصوص صدرت في العشرية الاولى من حياة المجلة · فشاركوني شعوري الاول عندما لم يعتبروا أحد النصوص من انتاجي في الفترة الاولى قصة · ولكن بعد التأمل والاطلاع على ما ينشر حديثا في مختلف الاقطار في العالم يبدو لي ان ما كتبته في مجلة الفكر في ذلك العهد قد يكون لونا من القص أو بالاحرى قصصا بالمفهوم

الحديث للكلمة . ولا يمكن بأية حال أن يلحق بفن المقالة . وهى كلمة يحسن أن تلغى من المصطلح النقدى لانها لا تعنى شيئا ما عدا معناها الصحافى الذى احتل مكانه من بين المصطلحات الصحافية .

الجيل الاول من القصاص (1955 ـ 1959)

كانت القصة تحتل فى المجلة مكانا متواضعا بجانب الشعر والدراسات . وامتازت الفترة الاولى فى مجال القصة بظهور قاصين اثنين وهما الطيب التريكى ومحمد فرج الشاذلى عرفت بهما المجلة ونشرت انتاجهما .

أما الطيب التريكى فانه كتب فى سنتى 1955 و 1956 قصتين استوحاهما من بيئة مدينة صفاقس أولاهما قصة « فرحة الاولاد » وثانيتهما قصة «كلاب السوق» .

أما الاولى فانها مركزة تركيزا قويا على خواطر أم تعانى فى بيت ريفى متواضع من شظف العيش وقلة ما فى اليد وتفكر كيف تدخل الفرح فى قلوب أطفالها بمناسبة قدوم العيد حتى لا يبقوا محرومين مقهورين أمام أطفال الجيران فتلتفت الى ما ادخرته من سميد وزيت بفضل حرصها وأمانتها وتهىء لاطفالها «المقروض» و «الغريبة» .

أما قصة « كلاب السوق » فانها تتناول بالوصف الطفولة المشردة فى مدينة صفاقس التى تبحث دوما عن عمل مهما كان قذرا للحصول على بعض النقود تساعدهم على سد الرمق . ومن جملة الاعمال التى تقترح عليهم دق القرنيط (الأخطبوط) يقول الطيب التريكى : « إن القرنيط لا يؤكل على حاله كما يصاد من البحر اذ هو دقيق الاصابع نحيف البدن بل يهيأ بأن يدق على الارض مرات عديدة فتغلظ أصابعه ويتوافر لحمه ، وبما أنه ذو لعاب مسود مصن يوكل هذا العمل الى أمثال : لبز وعين اللص وبوجرادة والفرطاس» .

التفاتة الى طبقات الشعب المعذبة والطفولة المشردة ولفتة انتباه الى مشاكل اجتماعية عويصة ورثناها من قرون متوالية من الانحطاط ومن عهد الاستعمار وصف مفرط فى الدقة لا يخلو من التأثر والعطف وحرص على تنخل العبارة وقوة بناء عناصر القصة .

أما قصص محمد فرج الشاذلي التي نشرت في مجلة الفكر في نفس الفترة فانها مستوحاة بالخصوص من ذكريات الكفاح الوطني المسلح القريبة العهد كقصة «مصرع صالح» (2) وقصة «حامل الحقائب» (3) .

انها قصص تسجل بامانة وباسلوب واقعي أنيق أحداثا عاشها الكاتب في منطقة الساحل التونسي .

ومن القصص التي نشرت جميعها في سنتي 1955 و 1956 تتميز قصة «نخلة المجنون» (4) لانها تنم عن حساسية جديدة ترفض الدعة والاطمئنان الى الاوضاع ولو كانت هذه منعشة مليئة بالآمال العريضة في السنوات الاولى من الاستقلال وتتجاوز الواقع المعيش لاستكشاف آفاق المستقبل والتساؤل عن المصير بروح حيرى منبهة الى الاخطار الكامنة المتربصة التي قد تحول المسيرة وتنحرف بها وتدعو الى التمسك بالقيم الثابتة مهما طالت المسيرة حتى لا نصاب بالنكسة فتذهب جهودنا سدى . ويقوم بدور الرائد المرشد لقومه رجل مصاب بمس أو هكذا يريد قومه أن يعتبروه حتى لا ينصتوا اليه لانه يقض مضاجعهم . وهذا المجنون العراف الذي يحمل اسم عبد الحق وهو اسم موح مثير يخاطب قومه بلهجة عنيفة لا التواء فيها ولا مجاملة عله يبعث فيهم ارادة تغيير الاوضاع المتردية . يقول المجنون :

«كذا أنتم يا بني الانسان لا يطفو الا الخفيف الخفيف . أما من ثقلت موازينه ففي الاعماق . تلك سنة الكون يا بني الانسان . فمتى تقلبون الاوضاع وتعيدون الخلق ؟ .... تمتطون ظهور العباد لغاياتكم وتهوون الزائف من الامور وتقلبون على القشور . وليس منكم الا شاهد زور أو ساذج مغرور أو فاجر كفور أو فاسق في ثوب راهب» .

كان كتاب القصة القلائل في العهد الاول من حياة مجلة الفكر يبحثون — عبر محاولات — عن نمط مميز يختارونه لانفسهم ومضامين تلاقي صدى في أنفس القراء واشكال التعبير اللغوي تجدد نوعية الصلة مع تراثهم العربي في فترة كانت الجهود موجهة الى اعادة بناء الشخصية انطلاقا من

---

(2) الفكر ديسمبر 1955 .
(3) الفكر فيفري 1956 .
(4) الفكر افريل 1956 .

أصول الثقافة العربية الاسلامية عندما كانت تلك الحضارة مركز قوة وإشعاع .

كان السعي الى ما كان يسمى «أصالة» يعتمد نظرة انتقائية للتراث العربي الاسلامي وتعاملا مع ألمع منتجاته الادبية في عصوره الزاهرة وقراءة جديدة غايتها توظيفه في انتاج أدبي معاصر يكون مرآة لهموم الفرد والجماعة .

فلا غرابة أن نلاحظ لدى هؤلاء الكتاب تبنيهم لبعض أنماط القص القديم مثل الخبر والحديث والوصية والرسالة والمناجاة . وقد سبقهم محمود المسعدي في هذا الميدان وكان رائدا فذا فتح الآفاق لذلك الجيل من الكتاب حيث أنه أثبت في «احاديث» أبي هريرة التي نشر بعضها في مجلة «المباحث» في الاربعينات ونشر حديثا واحدا وهو «حديث الغيبة تطلب فلا تدرك» في مجلة الفكر سنة 1955 أن هذا اللون من القص وهو الحديث قادر على استيعاب القضايا الانسانية السامية التي لها علاقة بمنزلة الانسان في الكون .

ولا نعجب عندما نلاحظ أن هؤلاء الكتاب اختاروا الكتابة بلغة عربية فصحى نقية لا تشوبها العجمة ولا العامية وأعرضوا عن زخرف القول والمحسنات اللغوية والاسلوب المتقعر المقفى الذي كان يميل اليه من سبقهم من المثقفين وفضلوا الاسلوب السهل البادي الأنيق متأثرين في ذلك بأسلوب أبي الفرج الاصفهاني وأبي حيان التوحيدي والجاحظ . فهذا الاتجاه الواضح هو ثورة في حد ذاته في عهد كان الاسلوب الفني المتصنع الموروث من عصور الانحطاط منتشرا ومحببا في كثير من الاوساط .

وكانت تلك القصص القصيرة التي نشرت في «الفكر» في سنواتها الاولى تلفت نظر القراء — بجانب الاشادة ببطولات القوم اثناء الثورة التحريرية — الى وضع الطبقات المحرومة من الشعب التونسي التي عضها الاستعمار أكثر من غيرها طوال السنين وتحملت أكبر قسط من التضحيات اثناء الكفاح الوطني فكانت تطمح الى مستوى افضل من العيش وترى ان لها الحق بأن تطالب بالمساهمة بقسطها في تسيير شؤون المجتمع .

ولكن رغم قيمة بعض النصوص فان الانتاج القصصي لم يكن غزيرا ولا واضحا في اتجاهاته . فكان أقرب الى المحاولات الادبية منه الى القصة . فالقصة كانت تحتاج الى وقفة دراسة وتأمل قد تساعدها على النهوض كتعبير ادبي يفرض نفسه في الساحة بغزارة انتاجه وتنوعه .

ولذلك نرى مجلة الفكر تصدر فى شهر أفريل 1959 عددا خاصا بالقصة التونسية للقيام بكشف وتحليل للانتاج القصصى وللبحث عن الطرق الكفيلة ببعث قصة تونسية صرف ؛ واتجهت الى بعض الباحثين حتى يدلوا برأيهم فى ذلك الموضوع . وهكذا كان دأب المجلة طيلة مسيرتها . فكلما احست أسرتها بأن قطاعا من قطاعات الثقافة فى حاجة الى توضيح الرؤية حتى ينهض سعت لاصدار عدد خاص يطرح القضايا ويقترح الحلول .

ومما تجدر الاشارة اليه هو ان ذلك العدد صدر بدراسة لعثمان الكعاك تحاول ان تحدد المفاهيم لالوان من القص العربى قديمه وحديثه . وتتلته دراسة أخرى مماثلة للدكتور محمد فريد غازى تحاول هى أيضا فى جانب من جوانبها اقتراح تعريفات لالوان القص . ولو أن ما أتى به محمد فريد غازى من تعريفات للاقصوصة والرواية والقصة والحكاية والخبر والحديث اعتمادا على تعريفات محمود تيمور قابل للنقاش فان ذلك الجهد الذى بذل فى ذلك العهد لتوضيح الرؤية كان مفيدا فى عهده ولكن يحسن أن يعاد فيه النظر من جديد لان المفاهيم ما زالت الى يومنا هذا غامضة ومرتبكة .

وأهم ما ورد فى ذلك العدد الخاص بالقصة التونسية تحليل علمى لمحمد فريد غازى عن «القصة فى مجلة المباحث، طوال السنوات الاربع من حياتها (أفريل 1944 — أوت 1947) .

لقد ذكرنا محمد فريد غازى بأن مجلة المباحث نشرت فى الاربعينات احدى عشرة قصة وثلاث روايات وأربعة أحاديث .

فلفت نظر القاصين والقراء الى ذلك الانتاج القصصى الهام والمتنوع الذى من شأنه أن يشحذ العزائم ويشجع على الابداع لانه يشير الى أن الجيل السابق استطاع أن يبدع انتاجا قصصيا زاخرا ومتنوعا قد يكون من المفيد أن نعود اليه حتى نرى كيف عالج قاصون قريبو العهد بنا القضايا الاجتماعية المطروحة والقضايا الانسانية العامة .

فتلك الفترة الوجيزة من حياة مجلة المباحث التى لم تتجاوز أربع سنوات قد شهدت صعود نجم على الدوعاجى «أبى القصة التونسية بدون منازع» كما قال عز الدين المدنى الذى نشرت له قصة «أمن تذكر جيران بذى سلم» وقصة «نزهة رائقة» وقصة «رمضان» وقصة «أتراح فى الافراح» . ورواية «راعى النجوم» وتلك الرواية العجيبة التى جعل لها هذا العنوان : «جولة حول

حانات البحر الابيض المتوسط» والتى صدرت تباعا فى سبعة أعداد من مجلة المباحث . وأتاحت لمحمود المسعدى فرصة نشر انتاج قصصى متنوع الاشكال يمتاز بسمو الاغراض وعمق التفكير وسعة الخيال وأناقة الاسلوب.

فلقد صدرت عنه فى مجلة المباحث رواية «مولد النسيان» واربعة أحاديث هى « حديث القيامة » و « حديث البعث الاول » و « حديث الكلب و » حديث العدد، كما عرفت «المباحث» بقصاص آخرين من جيل الاربعينات وهم محمد العريبى الذى توفى فى مقتبل العمر وأحمد عبد الوهاب بكير ومحمد بكير اللذين انقطعا عن كتابة القصة .

ان التذكير بهؤلاء الكتاب والاشادة بما كتبوا من شأنه حث المبدعين على الاطلاع على ما كتب زملاؤهم من الجيل الذى سبق جيلهم لتجديد الصلة بهم فتكون النتيجة حفز الهمم وتعزيز حركة الابداع لانالابداع لا ينطلق منالفراغ بل يتغذى بالحوار المباشر أو غير المباشر وبالتفاعل المقصود أو اللاشعورى مع مبدعين آخرين شقوا طريقهم وفرضوا انتاجهم ونفذوا الى أعماق النفوس فغيروا رؤيتها الى الامور وأثاروا فيها ـ اذا كان معدنها ثمينا ـ نغمات طريفة فريدة فى نوعها لا أصداء جوفاء لما حركها من نغمات المبدعين الآخرين .

وقد سجل محمد فريد غازى الازمة التى كانت تمر بها القصة التونسية سنة 1959 واقترح توجها معينا بقوله :

«فلا بد للقصاص أن يواجه المجتمع وأن يصرخ بآفاته ومآسيه ولقد شاهدنا فى السنوات الاخيرة قصصا تقترب من هذه الروح منها قصص الطاهر قيقة والتريكي وغيرهما ولكنها قد اختفت بعد ما أبدت عدم نضوج وعى الطبقات الشعبية فى الحقل الاقتصادى والسياسى . وهذه القصص ذات المغزى والمحتوى الاجتماعى تجمع بين القصة والدراسة (كقصص الطاهر قيقة)» .

جيل الستينات

لم يفطن محمد فريد غازى ولم يفطن المثقفون ايضا بالحركة التى كانت تجرى فى الاعماق والتى أبرزت فى نهاية المطاف جيل الستينات لكتاب القصة والرواية أمثال البشير خريف والعروسى المطوى ورشاد الحمزاوى ومصطفى الفارسى وعبد المجيد عطية وعبد القادر بن الشيخ .

ورائدهم وأغزرهم انتاجا البشير خريف .

ان رواية «افلاس أو حبك درباني» للبشير خريف التي نشرت في ثلاثة اعداد من مجلة الفكر (ديسمبر58 جانفي59 مارس59) تمثل حدثا ثقافيا ضخما كان له تأثيره الواضح في كامل انتاج البشير خريف حيث أنه يبدو أن الكاتب وضع بصورة مركزة في تلك الرواية المحكمة البناء المفعمة بالاحاسيس الجريئة، اللهجة السهلة الاسلوب مجموع ما كان يصبو الى ابلاغه . فهي النواة التي انطلق منها ليوسع الرؤية ويعمقها . كما أثر ذلك الحدث الثقافي وما ولده فيما بعد من انتاج قصصي للبشير خريف على كامل الانتاج القصصي ذي الطابع الواقعي الذي ازدهر في الستينات وذلك بنسب متفاوتة .

ومن فضائل مجلة « الفكر » حدسها العجيب الذي يجعلها تكتشف النبرة الطريفة والنغمة الفريدة التي لا بد أن تكون لها أصداء فتقدم على احتضانها ورعايتها وابلاغها الى الجمهور رغم بعدها عن الرتيب المالوف وسبقها للعصر وجرأتها في مناهضتها للافكار الرائجة وتجاهلها للآداب الاجتماعية العامة التي تحدد ما يليق التصريح به وما لا يليق وتستنكف من طرق بعض الموضوعات . وقد اكتسبت « الفكر » هذا الحدس بفضل تفتحها لجميع التيارات الفكرية والادبية التي تنبع في الساحة الاجتماعية وتطلعها الى كل انتاج أدبي جديد طريف ، وهي شاعرة بان كل جديد يحدث هزة وكل طريف يبعث في النفوس حيرة . وهي تتحمل مسؤولية تبعات تشجيعها ورعايتها .

وقد قدمت «الفكر» لهذه الرواية موضحة موقفها بقولها :

« نبدأ في هذا العدد نشر قصة طويلة لاول مرة منذ بروز هذه المجلة بعنوان : (**افلاس أو حبك درباني**) هي ثورة على التحفظ والتزمت والمألوف . فيها انتهاج سبل جديدة وجرأة وحياة نأمل أن تمهد لأدب تونسي أصيل ... دون أن نجهل ما قد يثير أسلوبها من نقد وما قد يبعثه حوارها العامي من قلق وما قد تبقيه واقعيتها العارية من أثر سيء في بعض النفوس ولكنا سعينا الى خدمة الادب والادب من الحياة النابضة أو لا يكون » (5) .

---

(5) الفكر — ديسمبر 1958 .

«افلاس» هى فى رأيى رواية قصيرة لا قصة طويلة كما نعتتها مجلة الفكر. فيها ما فى الرواية بمفهومها المعاصر من سمات وأهمها قوة تركيب الرواية وتعادل عناصرها فهى بناء مرصوص يشد بعضه بعضا وتتبع محكم لتطور نفسيات الاشخاص أثناء علاقة عنيفة يعرض كل واحد منهم بمصيره واحياء مناخ الامكنة التى يتحرك فيها أشخاص الرواية تحرك الممثلين على الركح مع بيان تأثيرها فى سلوكهم وتعامل متواصل مع الازمنة وأولها الزمن الذى ينساب فى النفوس ولا علاقة له مع الزمن خارجها وثانيها الزمن الحاضر المفعم بنبضات القلب وخلجات النفس وازدحام الخواطر والهواجس وثالثها الزمن الماضى المعلب فى قرارة النفوس والذى يستخدم حسب الحاجة اليه لشحن الحاضر بطاقة مضاعفة ·

رواية «افلاس» وهى باكورة انتاج البشير خريف تدل على أن هذا الكاتب دخل من أول وهلة ميدان القصة والرواية باختيارات واضحة متكاملة تشمل المضمون والشكل معا ·

فهى رواية مقتبسة من واقع الطبقات الشعبية فى مدينة تونس التى استوطنها البشير خريف فأحبها حبا جما واصبح من ابنائها الاصيلين ولو أن موطنه الاصلى هو مدينة نفطة فى الجنوب التونسى · وميزة حاضرة تونس أن لها من الفتنة ما يجعل الذين ينزلون بها سرعان ما يعشقونها ويشعرون بالدعة والاطمئنان فى رحابها، لان جميع سكانها منذ غابر العصور دخلاء عليها· فاسلوب العيش فيها تعادل متجدد دوما وتناغم مرهف بين أحاسيس فئات مختلفة وافدة عليها تجدد على مدى الدهر كيانها ·

تجرى أحداث الرواية فى وسط اجتماعى مهمش موارد أفراده قليلة وغير قارة فيشعر جميعهم بالعزلة والحيرة فيقضون ساعات فراغهم فى الحانات وبيوت الخنا وقد تلاشت فى أنفسهم القيم الاخلاقية التى تردع عن الرذيلة بمفعول الفاقة وعدم الاطمئنان على المصير والضياع ·

اسماعيل الصدراتى مدير فنى لفرقة تمثيلية لا تعمل بانتظام حتى تمكنه مواردها من العيش الكريم فنراه يعيش وحيدا فى علو ضيق بحى باب منارة فيروح على نفسه بالتردد على الحانات. فوزية نعيم شابة فقيرة يتيمة طلقها زوجها وترك لها ابنة ترعاها فى بيت تسكن فيها مع أمها · فانساقت الى الخنا وعاشرت الرجال وكانت هى أيضا تتردد على الحانات مع خلانها. وتقع القطيعة

بينها وبين أحد خلانها فى احدى الحانات .تبقى وحدها فى الحانة فى ليلة كان اسماعيل الصدراتى جالسا وحيدا فى الحانة يتناول خمرا . وتنشأ علاقة الشيخ الذى كان يبحث فى وحدته المزمنة عن الانس وعن الانس فقط وبين الشابة التى سئمت حياة الخلاعة فكانت تبحث عن الاستقرار فى ظل رجل يحميها و «يسترها» كما تقول .

فالرواية لقاء بين عزلتين وما أحدثته هذه العلاقة الغريبة بين شيخ شديد المراس وبين شابة عاشت طويلا حياة الخلاعة من صراع فى نفس الفتاة بين ما يشدها الى حياتها الماضية وبين ما يبعدها عنها وينفرها منها .

فالموضوع بسيط ولكنه يحوى حركية يكتسبها من الوضع الشاذ الذى انبنت عليه الرواية .

كا نكتاب القصة الذين سبقوا البشير خريف والمهم على الدوعاجى يقتبسون موضوعاتهم من واقع الحياة الشعبية ولكنهم كانوا يقتصرون على وصف مشاهد موحية من الواقع أو احداث بسيطة تسير حسب خط واحد مستقيم لا تفرع فيه ولا بناء لان النواة القصصية التى ينطلقون منها لا تحتوى على ما يمكن التركيب أو التفريع .

اما البشير خريف فانه يتبع أشخاص روايته فى حياتهم اليومية وهم متنقلون من مكان الى آخر لقضاء مآربهم أو للبحث عن بعضهم أو للفرار من بعضهم للتأمل والسلوى . فيشاهد ما تحدثه فى النفوس تغير المناخات . ويمنح لروايته بعدا زمنيا حتى تصبح مسيرة حياتية فيها مد وجزر وكر وفر والفة ووحشة وحنين الى عهود مضت وتوق الى آمال تلوح فى الافق . فتلك هى الرؤية الجديدة التى أتى بها البشير خريف . وهى التى ضمنت له طول النفس الذى امتاز به والقدرة على تفريع الرواية الى عناصر متعددة متفاعلة بدافع محركات هى من صلب النواة القصصية التى يركب عناصرها ثم يدفعها لتنمو بصورة تلقائية .

وللبشير خريف اختيار آخر التزم به فى كامل انتاجه وهو اثبات الحوار باللغة العربية الدارجة . وقد أثار هذا الاتجاه نقد فئة من المثقفين والادباء . ومهما يكن من أمر فانها ثورة فى وجه الجيل السابق الذى كان لا يرى أن تطعيم النص بعبارات عامية والتزام استعمال اللغة الدارجة فى الحوار يضفى بالضرورة على النص العفوية والحياة بل كانوا يميلون الى استعمال اللغة

العربية الفصحى الانيقة ويحاولون اخضاعها الى نبضات قلـوبهم وخلجـات أحاسيسهم حتى يبعدوها عن التكلف والتصنع ويجعلوا منهـا أداة طيعـة مطبـوعة .

يسود رواية افلاس جو شعرى يكونه مناخ مـدينة تـونس ٠ ان نفسيـة البشير خريف الرقيقة جعلته يحس بالشاعرية التى تنضح من دروب المدينة وأزقتها وحوانيتها وحركات متساكنيها فى أوقات نشاطهم وفى أوقات فراغهم ويسعى لابلاغها الينا مثله مثل على الدوعاجى فى عهده ٠ وقد سبق زمنيا فى الاتصاف بتلك الميزة محمود بلعيد وعز الدين المدنى ٠ وقع حوافر خيل العربة (الكروسة)على بلاط الشارع فى ليلة ممطرة فى الساعة التى يعـود فيهـا الممثلون الى ديارهم بعد التمارين لها رنة خاصة لانها تصحب أول الهمسات بين فتى وفتاة بدأ الحب يسرى بينهما فى ظلمة «الكروسة» التى يخرقها من حين لآخر ضوء الفوانيس . حى باب منارة فى عهد مضى عندما كان ينفذ اليه من باب عتيق داخله كوة توضع فيها شموع النذور ٠ وكان يوضع فى الكوة فى العهود القديمة قنديل مضاء طول الليل ليرى الحارس القادم الى المدينة ليلا فيأمره بالبقاء خارجها حتى طلوع الفجر : «قنديل باب منارة يضوى على البراني» ٠ الدوحة الوارفة التى ما زالت حية الى يومنا هذا تظل جانبا كبيرا من الساحة الصغيرة وتشنف آذان المارة والجالسين قربها بزقزقة عصافيرها ودكان الحلاق والكتاب الذى كان يصعد اليه بدرجتين قرب ضريح عبد الله الترجمان . وحانوت «القطايري» الذى يزدحم أمامه الزبائن فى الصباح وكان يؤمه طلاب الكتاب بألواحهم الممحوة المبللة ليجففوها أمام تنوره الـذى كـان يوقد بالنخالة ٠ ما زال الحانوت كما كان الى اليوم ولكن فقد روحه لانه لم يعد له تنور ولا نخالة . صاحبه يستعمل الغاز .

رواية «افلاس» هى الانموذج الاول لصراع شخص رئيسى غريب أو معزول منبوذ مع وسط اجتماعى يحاول أن يحتل فيه مكانه بجهده ومهارته وقدرته الفائقة على تذليل جميع المصاعب بفضل ما أوتى من ارادة صماء لا تلين ولا تنكسر ٠ فيفوز أو يخفق ٠

فوزية فى رواية «افلاس» فتاة ريفية نزل أبوها المدينة ليحاول العيش فيها فتعاجله الموت فيترك بنته فريسة للفقر والضياع والام عاجزة عن تـربيتها وتوجيهها ٠ فتنساق الفتاة بدافع الحاجة الى الخنا ولكنها تحاول عبر مغامراتها مع الرجال الظفر بالاستقرار والاعتراف بها وما تعلقها باسماعيل الصدراتى الا محاولة جادة للانسجام مع مجتمع كان ينبذها ويعزلها وما مغادرتها تونس الى الجزائر للعيش مع خليلها الاول الا كسر للعزلة وسعى للاستقرار .

وهذا « خليفة الاقرع » (6) الشاب المعدم المتشرد المصاب بعاهة القرع يستطيع بفضل زوره وذكائه ونشاطه الفياض أن يلج البيوت جميعها ويؤدي بعض الخدمات البسيطة لاهلها ويندمج في أوساط النسوة فيكسر عزلته ويظفر بما يشبه الطمأنينة .

وهذا «برق الليل» العبد الاسود يكسر أيضا عزلته بالعزف على قوارير سيده الكيميائي في المخبر العالي المطل على السطوح وبالرقص ثم بالقيام بأدوار بطولية أثناء فتح خير الدين باشا لمدينة تونس ثم أثناء احتلال الاسبان لنفس المدينة . فالعبد المعدم المطرود من بيت سيده لانه كسر بطيشه وحبه للموسيقى والرقص كامل الاجهزة العلمية المتمثلة في قوارير الزجاج يصبح أحد أبطال المقاومة في وجه المعتدين .

مجلة الفكر تقوم بدور الناشر للانتاج القصصي الجديد

ينبغي الاشارة الى دور الناشر الذي قامت به مجلة الفكر عندما كانت دور النشر مفقودة وعندما كان الكتاب التونسيون يبحثون دون جدوى عمن يطبع لهم مؤلفاتهم فيحبطون وتشل عزائمهم .

وينبغي ايضا الاشادة بالدور الرائد الذي لعبته بلدية تونس العاصمة في بداية الستينات باسنادها «جائزة علي البلهوان» لعدد من المؤلفات القصصية المخطوطة . فكانت هذه الجائزة التي اسندت في بداية الستينات فيما أذكر الى روايات «حليمة» للعروسي المطوي و «برق الليل» للبشير خريف و «بودودة مات» لرشاد الحمزاوي و «المنعرج» لمصطفى الفارسي تشجيعا ذا بال لقصاصين شقوا طريقهم فيما بعد واستطاعوا أن ينشروا انتاجهم في أواخر الستينات عند تأسيس «الدار التونسية للنشر» و «الشركة التونسية للتوزيع» وغيرهما .

ولكن مجلة الفكر بنشرها « برق الليل » للبشير خريف تباعا ابتداء من شهر ديسمبر 1960 و «بودودة مات» لرشاد الحمزاوي ابتداء من جوان 1962 مكنت كاتبين تونسيين من تعريف عامة القراء بانتاجهم القصصي انتظارا لايجاد الوسيلة لطبعه .

---

(6) الفكر اكتوبر 1960 .

«برق الليل» للبشير خريف رواية تاريخية تعود بنا الى فترة عصيبة من تاريخ القوم قاسى فيها شعب تونس العاصمة الفتح العثماني مع ملابساته فى فترته الاولى وعانى الاحتلال الصليبي الاسباني وما جره من تقتيل وتخريب فى القرن العاشر الهجرى .

آمال القوم وقدرتهم على الدفاع عن أنفسهم والبقاء رغم الكوارث والمحن تتجسم فى «برق الليل» العبد الاسود المشرد الآبق الذى يظفر بكرامته ويكتسب حجمه باعماله البطولية . كان الخلاص فى تلك الفترات المظلمة التى انتفت فيها العزة وديست الكرامة يأتى عندما ينبرى ضعاف القوم ومشردوهم ذودا عن الحمى

فى رواية «برق الليل» شاعرية خفية محتشمة هى من وحى المدينة العريقة التى أنشأت حضارة ضاربة فى القدم . شاعرية سطوح المدينة وقد غمرها ضوء القمر فى تلك الليالى التى يصعد فيها «برق الليل» الى الغرفة العالية حيث يرتب قوارير سيده الكيميائى لينقر عليها ويرقص على ايقاعها وهو ينظر من الكوة الى سطوح المدينة . شاعرية ذلك الوجه الصبيح الذى يراه «برق الليل» من حين لآخر ينظر الى رقصاته المجنونة الوجه هو وجه تلك المرأة السجينة التى ذهب زوجها الى الحج « بعد أن بنى عليها الباب وترك لها وصيفة وقطة ودجاجة وسميكات » فتصعد على سطح بيتها وتتجول من سطح الى سطح لتروح على نفسها وهى باحثة عن مصدر النقرات العجيبة فتعثر على سجين مثلها يكسر هو أيضا وحدته ويظفر ولو لحين بحريته بالنقر على زجاجات مخبر سيده، والرقص على نغماتها . ويصبح تعب السجينة للسجين غادة وتنشأ بينهما الفة عبر زجاج الكوة . شاعرية «فنادق» المدينة التى تؤوى الحيوان والبشر معا وتستقبل الوافدين من الريف والغرباء وتتحول فى عهود الازمات الى ملاجيء يقصدها المغامرون والثوريون يخفى فيها من يلاحقه العدو وتضمد فيها جراح المقاتلين وتدخر فيها الاسلحة ولكن فى أشد حالات التأزم يظفر اللاجيء اليها بلحظة كهذه : «وصل الى فندق بالتبانين وجلس بحذاء الابل الباركة ينشق العطن وشذاء قرط الحلبة وينظر فى غبش النهار الى الطيور المزقزقة تقفز حول الابل وتتركس عليها وتلتقط الحب مطمئنة» .

أما رواية «بودودة مات» لرشاد الحمزاوى فهى اول محاولة قام بها كاتب شاب لوصف حياة الفقر والقهر فى عهد الاستعمار فى قرية نائية من الشمال الغربى التونسى وهى قرية تالة . بطلها شاب مراهق جسور يؤمن بأن التضامن

بين الناس من شأنه أن يخفف وطأة الفقر والضياع ويرفع الظلم المتفشى فى المجتمع الناخر لكيانه • وتتجسم القضية فى سعى الشبان لجمع المال من تعاطى السقاية لاسعاف «بودؤدة» الذى سرق رغيفا فسجن وطلب بدفع غرامة للخباز الذى سرق جميع خبزه بعد الحادثة . و «بودودة» أعجز الناس عن دفع هذا النصيب الباهظ من المال .

نالت هذه القصة «جائزة علي البلهوان» لسنة 1962 فسارعت مجلة الفكر بنشرها حتى يطلع قراؤها على أول انتاج لكاتب شاب أراد أن يعرف بظروف البيئة التى عاش فيها •

وفى نفس السنة 1962 احرزت رواية «حليمة» للعروسى المطوى أيضا على « جائزة علي البلهوان » ولم تطبع للمرة الاولى الا سنة 1964 . ورواية «حليمة» للعروسى المطوى هى رواية تجرى أحداثها بين قرية تقع فى الجنوب التونسى وبين تونس العاصمة وتتبنى قضية وطنية حيث أنها تشيد باسهام حليمة وزوجها اللذين نزحا الى تونس العاصمة فى الكفاح الوطنى المسلح .

فروايتا «حليمة» و «بودودة مات» أول ما صدر من مجموعة روايات استوحى كتابها مواضيعهم من واقع مختلف جهات الجمهورية التى كانت لهم موطنا أو لا تزال وأرادوا عن طريقها الدفاع عن قضية وطنية أو اجتماعية .

اذكر منها «التوت المر» للعروسى المطوى التى تقص علينا كيف قاوم أهل قرية المطوية من قرى الجنوب التونسى آفة تعاطى تدخين التكرورى (الحشيش) الذى كان يشجعه الاستعمار باحراق مزارعه «والمنبت» لعبد المجيد عطية التى تجرى أحداثها بمدينة المهدية من الساحل التونسى وتتناول قضية صراع شاب للحصول على منزلة اجتماعية مرموقة بمواصلة تعليمه رغم العراقيل التي اعترضته فذللها ورواية «ونصيبى من الافق» لعبد القادر بن الشيخ التى تقدم لنا ظروف عيش سكان مدينة زغوان وقد حول قسط هام من مياه عيون جبلها الى مدينة تونس العاصمة لتزويدها بالماء الصالح للشراب فاتلفت جل البساتين واستفحل فقر سكانها ورواية «الدقلة فى عراجينها» للبشير خريف التى تقدم للقراء صورة حية لمجتمع مدينة نفطة من مدن الجنوب التونسى وصراع افراده لتغيير العقليات ومقاومة الظلم والقهر لبناء مجتمع جديد •

لا نستطيع أن نقول رغم ذلك : إن الرواية ذات الطابع «الاقليمى الملتزم» قد طغت فى الساحة الادبية وان حقبة الستينات فرضت نمطا واحدا على

القصاص . فجميعهم يكتب القصة والرواية ولم ينقطع أحدهم الى كتابة الرواية . وكل واحد منهم له فى ما يكتب وجهة وطعم وأسلوب .

فمصطفى الفارسى صاحب رواية المنعرج كاتب قصة أساسا . وهو أميل من غيره فى روايته وفى قصصه العديدة الى طرح قضايا الفكر والوجدان كما نعيشها فى الزمن الحاضر . يحن الى الماضى ويتوق الى جنة الشباب بمقدار . فالعصر الذى نعيشه هو همه .

نشر مصطفى الفارسى فى مجلة الفكر قصة عجيبة عنوانها : «من يدرى ... ربما» (7) تتميز بالدقة واللطف . ما يحس به قارئها من وراء السطور أهم من منطوقها . موضوعها انسانى بحت صالح لكل زمان ومكان . السؤال المطروح : كيف يتغلب الحب اذا كان عميقا مخلصا على ما يقف دونه صادا مفرقا ؟

نافذتان متقابلتان فى الطابق الثانى من عمارتين . فتى وفتاة كلاهما خجول . شجيرات وأزهار تسقى من وراء النافذتين ولا خطاب ولا اشارة بل نظرات مختلسة . لم تجمع الفتى والفتاة الصدفة فى الشارع ولو كان يحاول كل منهما مساعدة القدر . عمارة تبنى بين العمارتين لبنة لبنة . يعلو البناء ويكاد يحجب النافذتين . ينزل كلاهما الى الشارع مهرولا ويلتقيان ويسكن توفيق وهند معا فى نفس الشقة فى الطابق الثانى من العمارة الجديدة طبعا .

وفى نفس السنة 1962 ينشر البشير بن سلامة فى مجلة الفكر قصة «جنان بنت الرى» (8) يقص فيها باسلوب واقعى دقيق ومتأثر خيبة أمل شاب عاد الى قريته على دراجة بعد قضاء ثلاث سنوات فى الخدمة العسكرية. كان يتوقع تغير الاوضاع لان بعده عن مسقط رأسه واحتكاكه بمجتمع جديد غيرت نفسيته . فما راعه الا أن رأى أن قريته لم تصح من سباتها ، فراكب الحمار الذى ربط ساعة فى عنقه ما زال يمر بالشارع تتبعه زوجته ماسكة ذنب الحمار . وما زال أهل القرية ينظمون حضرة «العيساوية» ويقيمون طقوسها العنيفة المزعجة . ويضرب الشاب عندما يجرؤ على تدخين سجارة أثناء «الحضرة» كثيرا ما يتجرع العائدون الى مواطنهم مرارة تلك التجربة .

(7) الفكر — فيفرى 1962 .
(8) الفكر — نوفمبر 1962 .

نادى القصة ومجلة قصص

كان الانتاج القصصى فى بداية الستينات يمتاز بالوفرة والتنوع وكانت مجلة الفكر تحاول جهدها مواكبته . وبفضل ذلك الجو السائد فى الساحة الادبية كانت مجموعة من الكتاب الشبان يقومون بمحاولاتهم الاولى فى كتابة القصة فيرغبون فى التلاقى مع أترابهم ومع من سبقوهم فى الميدان للتعريف بتجاربهم وتبادل الرأى والتكتل لايجاد الطرق لتبليغ انتاجهم الى القراء .

فبعث فى سنة 1965 فى رحاب «النادى الثقافى أبو القاسم الشابى» بالوردية «نادى القصة» الذى استقطب عددا كبيرا من كتاب القصة من مختلف الاجيال . ويرجع الفضل فى تأسيس هذا النادى الى أحد كبار كتاب القصة والرواية وهو العروسى المطوى . وكان الهدف الرئيسى لهذا النادى أن يكون مخبرا يدرس فيه الانتاج القصصى البكر ويناقش وتتلاقح فيه آراء وقرائح مبدعين من مختلف الاعمار ومختلف المشارب الادبية . وكان الهدف الثانى نشر الانتاج القصصى لاعضاء النادى

ولم تقصر أسرة «نادى القصة» جهودها على اصدار مجلة قصص بل كانت حريصة فى زمن وجدت فيه تشجيعا ومؤازرة من «الدار التونسية للنشر» لم يدوما الا سنوات معدودات على اصدار سلسلة من المجموعات القصصية لاعضاء النادى تحت شعار ناديهم أذكر منها «ليالى المطر» لحسن نصر و «خرافات» لعز الدين المدنى اللتين صدرتا سنة 1968 و «نداء الفجر» ليحيى محمد التى صدرت سنة 1969 و «صخب الصمت» لسمير العيادى و «صلعاء يا حبيبتى» لعبد القادر بن الحاج نصر اللتين صدرتا سنة 1970 .

ان صدور مجلة قصص لم يمنع أعضاء «نادى القصة» من التعاون مع مجلة الفكر بل نشأ تعاون بين أسرتى المجلتين لان كلتيهما أسرتان متفتحتان على جميع التيارات الفكرية .

ولا شك أن نشاط الاسرتين قد كان له أثر عميق فى تشجيع المبدعين فى ميدان القصة .

منعطف سنة 1968

ان عمل «نادى القصة» المنتظم الذى قرب بين كتاب القصة من مختلف الاعمار والنزعات فى جو يسوده التفتح على جميع التيارات والعزم على تذليل

الصعوبات التي تعترض الانتاج قد ساعد على بروز جيل جديد من كتاب القصة .

وقد لا نكون مجازفين اذا حددنا انطلاق هذه الموجة الادبية الجديدة بسنة 1968 وبالخصوص عندما أصدر عز الدين المدني مجموعته القصصية الاولى بعنوان «خرافات» ضمن السلسلة التي كان يصدرها «نادي القصة» عن طريق «الدار التونسية للنشر» .

ربما كان عز الدين المدني في تلك الآونة أبرز ممثل لذهنية جديدة وحساسية جديدة وذوق جديد يشاركه فيها مجموعة من القصاص الشبان ارادوا – كل حسب مزاجه وتطلعاته – أن يغوصوا في أغوار مجهوله ويقوموا بتجارب ادبية جريئة ويكونوا لسواهم «طليعة» .

قدم لنا القصاص والروائيون في الستينات صورة حافلة مليئة بالحيوية والرقة للمجتمع التونسي في مختلف أقاليم تونس . كانوا مدفوعين برغبة ملحة الى البحث عن أصالة القوم والى ابراز العناصر المكونة للشخصية الوطنية ونقد العادات الفاسدة المرقلة للتطور وتمجيد بطولات القوم والتعريف بالصفحات النيرة للكفاح الوطني والاجتماعي . كان أغلبهم يعود بنا الى الجنة الضائعة جنة الطفولة التي يحنون دائما اليها فتضفي على ما يكتبون مسحة من الدعة والاطمئنان . يتعامل أغلبهم مع الزمن الماضي الذي زينته لهم الذاكرة فازالت نتوءاته وخففت توتراته .

ميزة كتاب القصة في السبعينات وما قبلها بقليل هي انغماسهم في الحاضر ونظرتهم الى الماضي من خلال الحاضر لاكتشاف رواسب الماضي في البيئة وفي نفوس الافراد ومتابعة مفعولها السلبي أو الايجابي في تطوير الحاضر حتى يتطلع الى المستقبل وينزع اليه . فالحاضر الذي يتعاملون معه متوفر تهزه صراعات داخلية . يقول عز الدين المدني :

«وزمننا هذا لا يشبه أي زمن مضى فهو عصارة الماضي وتوتر الحاضر واشعاع المستقبل» (9) .

---

(9) قراءة من الزخارف لعز الدين المدني وهو نص ملحق «بزمن الزخارف» لسمير العيادي الدار العربية للكتاب تونس 1976 .

ويقول في نفس الدراسة موضحا المسلك الذى سلكه مع عدد من كتاب جيله : « أدب لا يخضع للشرق ولا للغرب تونسى عربى . فكر يتضمن القيم الانسانية القارة كالحرية والعدالة ويلوذ بها . خلاق شاب دوما يتحاور مع التراث ويراجع التاريخ ويحاسب مساره » (١٥) .

كتاب «خرافات» يضع اللبنات الاولى لنوع مميز من التحاور مع الماضى والتفاعل معه . فالماضى كامن فى أنفسنا وماثل فى بيئتنا التى تكتنفنا . والنظرة اليه والى التراث الذى افرزه ينبغى ان تكون نظرة فاحصة وناقدة تنتخب منه العناصر الايجابية فتوظفها فى الحاضر وتبعد العناصر السلبية التى تعرقل مسيرتنا انطلاقا من القيم الثابتة القارة التى يدين بها البشر قاطبة كالحق والعدالة والحرية .

وليس من باب الصدفة أن كان عنوان أول مجموعة قصصية لعز الدين المدنى «خرافات» لان أول ما يعترض الانسان فى تعامله مع التراث قضية الحق والباطل والخرافة حسب تعريف القاموس المحيط هو الحديث الباطل مطلقا .

أساطير القوم ولو كانت باطلا مطلقا هى جزء من كيانهم لا يمكن لهم أن يتخلصوا منه وقد تكون صالحة ودافعة الى النمو بشرط أن تعاد قراءتها وصياغتها وقد غذت شعوبنا وحافظت على قيمنا وكونت فى قرارة أنفسنا عالما خرافيا هو من واقع أنفسنا . وقد أعاد عز الدين المدنى فى خرافات كتابة قصة «رأس الغول» الشعبية وقصة «مدينة النحاس» من قصص «الف ليلة وليلة» .

ويمتزج فى البيئة التى تحتضننا الماضى بالحاضر امتزاجا يحيرنا فلا بد من تحليل الاسباب التى أدت الى التكديس والفوضى حتى نعوض التكديس بالترتيب ونحول الفوضى الى تنظيم وتناغم بين عناصر ماضينا الموروثة فى ما بينها وتناغم بين طرف عيشنا فى حاضرنا وما وظفناه من عناصر ماضينا .

يقول عز الدين المدنى معبرا عن حبه لمدينة تونس القديمة وأسفه لما آلت اليه :

---

(١٥) نفس المرجع .

«ولشد ما أحببت هذا الحي التقليدي ... برمضانه الصاخب وعيديه الزاهيين بالخضرة والدماء، وبمواسمه وحفلاته وبأعراسه ومآتمه وبكتاتيبه ومدرسته القرآنية وبدياره البائسة المنحنية ومنازله المتطاولة وبخمارته المستورة وبعطره وبشمسه وبوحله وبروائح ترابه وبإيمانه وبكفره وبصومعة مسجده الجامع التي يسمو بروحها المؤذن صباح مساء الى عنان السماء .

لم هذا التحسر ؟ أو لم يمض ذلك العهد الحبيب ؟ وما بقي منه ؟ لقد حطمت وهدمت أركانه وكسرت وخربت أسسه ولم يبق منه الا هذه الاكداس من التراب والحطب والحجارة وبقايا ماعون وشبابيك وسبع آبار مهجورة مكث في أغوارها ماء عكر وطحلب السنين» (II) .

ومما ينبغي لفت النظر اليه هو أن عز الدين المدني ومن لف لفه من كتاب جيله لا ينصاعون للمعايير الشكلية التي راعاها الجيل السابق من الكتاب . فقصصهم لا تشتمل على عقدة وليست لها خواتم وهي مع ذلك قصص ترمي الى تشريك القارىء في طرح الاسئلة ودعوته الى قطع مسيرة ما يحدد القاص مسافتها . يقول عز الدين المدني موضحا ذلك الموقف المتمرد :

«ما دخل الاصالة في خواتم القصص ؟ الاصالة هي نبوغ الكاتب هي حدسه وذكاؤه هي من الناحية الاخلاقية والفلسفية أو التفكيرية اتخاذ موقف معين ... أنا لا أرغب البتة في كتابة الخواتم لان قصصي أسئلة . القصة هي عبارة عن سؤال يطرح على القارىء . هي لون من الحوار» .

فالتجديد في المضامين تصحبه ثورة على الاشكال الموروثة من ماضينا أو المستوردة من الخارج .

هذا هو النفس الجديد الذي هب في الساحة الادبية .

وقد شعرت مجلة الفكر ـ على عادتها ـ بانها تشهد حدثا ثقافيا ذا أهمية يمثل منعرجا في مسار القصة التونسية معادلا في خطره المنعرج الذي تبنته ورعته في سنة 1959 عندما نشرت رواية «افلاس أو حبك درباني» للبشير خريف .

(II) عز الدين المدني خرافات الدار التونسية للنشر تونس 1968 ص 155 .

فنرى مجلة الفكر تنشر في شهر ماى 1968 قصة «نحن هنا يا أمي» لسمير العيادى وتقدم بالخصوص ابتداء من شهر نوفمبر من نفس السنة على نشر قصة «الانسان الصفر» لعز الدين المدنى ٠

نحس عندما نقرأ قصة سمير العيادى بحساسية جديدة فيها رقه وجرأة وبخيال عنيد يخترق الواقع ليسبح في الآفاق المجهولة لان الواقع مرير مرفوض وبطريقة في التعبير تفضل الايحاء على التصريح :

طفل حرم حنان امه لان أباه طلقها ودفع الصبى الى جدته ترعاه بدلا من أمه ٠ الاب قوى عنيد يمارس دائما سلطته الابوية مع ابنه فلا يخاطبه الا مانعا أو رافضا ٠ والباطل مر يرفضه الطفل : «جدتى ليست والدتى ٠ أنا أحب أمي» والطفل سجين محاصر لا يسمح له أن يخرج من الزقاق ليرى النور ويحقق الحلم الذى يتوق اليه بكامل وجدانه : « أمي يا أبى من الشمس الناصعة ولا بد أن أجمع الاخشاب لابيعها واشترى بالمحصول ذلك الحصان الاخضر ٠ هل تعلم يا أبى انى سأركب ذلك الحصان لاغرق في أفق أمي ؟ أحبك يا ابنة الشمس» ٠

أما قصة «الانسان الصفر» لعز الدين المدنى التى نشرت منها مجلة الفكر ثلاثة أجزاء فانه حملها كثيرا من افكاره واختياراته الادبية بلهجة عنيفة جريئة لا تخلو من الاستفزاز والتحدى وضمنها العديد من اهتماماته الفلسفية التى تنطلق من اقليدس وسقراط لتنتهى الى تأملات حركة التصوف الاسلامى مرورا بنظرية العناصر الاربعة كما طرحها أعلام الفلسفة الاسلامية ٠ وتلاعب فيها باللغة وأحرفها ولو انه شكل النص شكلا تاما وحشر اللغة العامية فى سياق خطابه وأدخل فى النص النقط والسطور والاشكال والصور ٠

ولا غرابة أن أثارت هذه القصة انتقادات شديدة ولاذعة نجد صداها عند المدنى فى مسرحية الحلاج التى كتبها فى سنة 1973 بعيد الحملة الصحافية التى استهدفته ٠ يخاطب حامد بن الحسن أمين سوق الكتب حلاج الحرية قائلا :

«لن نشترى منك هذا الكتاب ولن ننسخه ولن نوزعه ٠٠٠ لانك تخطىء فى النحو والصرف ولا تحترم قواعد الرسم ولا تعترف بالبلاغة وتعدو على الشعر وتكسره ٠ احترم تراثنا يا حلاج ... وهذه الرموز التى حشرتها بين

السطر والسطر وتلك الرسوم الملونة التى أضفتها الى الهوامش والفقرات ؟ أهى من طلاسم السحرة أو من حروف العرافين» (12) ٠

من الصعب أن نعد «الانسان الصفر» من بين القصص ولو أن صاحب النص جعل له عنوانا اضافيا وهو : قصة تجريبية فانا أميل الى اعتبار النص «بيانا» لنظرية الكاتب واختياراته الادبية ٠ تغلب عليه اللهجة الخطابية ٠

و «الانسان الصفر» يكتسب أهميته — فى نظرى — من أمرين اثنين :

أولاهما انه أول أثر أدبى لفت النظر بوضوح وقوة الى الدور الاساسى الذى يلعبه التراث الشعبى بمختلف أوجهه — اذا استوعبناه حق الاستيعاب دون استنقاص له ولا استهجان — فى اعادة بناء الشخصية العربية التونسية المتأصلة فى تربتها وفى شحذ قرائح المبدعين وتجديد رؤيتهم الى الامور .

وثانيهما أن النص فى عنفه وتوتره واقتحامه للحدود والحواجز يمثل أقصى نقطة انتهى اليها فى تجربته الادبية الصارخة المتمردة وان تجربته على غرار التجارب السابقة فى العالم بدأت تتحول الى مسيرة أخرى يفرضها ارتطامه بحدود التجربة التى وصل بها الى منتهاها ٠ وان الكاتب يشعرنا بانه يستعد للابتعاد عن القصة والانقطاع الى الكتابة المسرحية ٠ فنجد فى الانسان الصفر اشارات الى موضوعات وقضايا سيتناولها فى مسرحياته فى السبعينات :

«وصلبنا الحلاج ٠٠٠ أما صاحب الحمار فقد حاصرنا على حماره القصير العجوز الاشهب يوم كنا بحضرة تونس وعليه جبة رثة وحول عنقه مسبحة من ودع ووجهه أغبر وشعره أشعث كأنه الجن ٠ كانت حياته وحياتنا يومئذ مساء غسقا طال ثلاثين سنة من الظلم والظلمات » (13) ٠

جيل السبعينات

هدأت موجة القصة التجريبية التى تعاطى كتابتها فى من تعاطاها عز الدين المدنى وسمير العيادى فالاول انقطع لكتابة المسرحيات مواصلا تحاوره مع

(12) عز الدين المدنى : الحلاج — مؤسسات بن عبد الله — تونس 1973 — ص ٠ 52 ٠

(13) عز الدين المدنى : الانسان الصفر (2) ٠

التراث والثاني خصص اكثر جهوده للمسرح مستوحيا موضوعات مسرحياته من التراث الشعبى العامى .

ولكن القصة ذات الطابع الواقعى استمرت مع محمود بلعيد ومحمد صالح الجابرى ومحمود طرشونة وجميعهم نشروا قصصا فى مجلة الفكر فى السبعينات .

نشر محمود بلعيد قصة «قبة وبطحاء» (14) :

يعود بنا محمود بلعيد فى قصته الى أيام صباه فى حى من احياء تونس العتيقة قلبه النابض بطحاء المرجانية التى كانت ترعاها قبة سيدى علي المرجانى بطحاء تتدفق فيها الحياة ويلعب فيها الصبيان تظللها من كل جوانبها اشجار الكالاتوس . ويسكن بالحى أناس من مختلف الاجناس والاديان متعايشين متعاشرين يحترم بعضهم بعضا فالمسلمون يؤمون الجامع والنصارى الكنيسة. صور حية من حياة حى عتيق كما يصورها نظر طفل برىء يحن الى عهد عرف فيه الاطمئنان . ويصدر قرار ازالة الحى القديم وتعويض البيوت الدافئة المطمئنة بالعمارات الفاقدة للروح . ويقلع شجر الكالاتوس وتسوى القبة بالارض ويطوى السجل . هكذا الايام .

أصدرت «الدار العربية للكتاب» سنة 1984 مجموعة قصصية لمحمود بلعيد بعنوان « أصداء فى المدينة تتضمن قصة «قبة وبطحاء» » . وهذه المجموعة فى نظرى هى من أرق وأجود ما كتب عن مناخ مدينة تونس كما عرفناه فى صبانا وشبابنا .

أما محمد صالح الجابرى فانه نشر فى مجلة الفكر قصة «أحراش الشوك» (15) وقصة «صفحة خاصة باعلانات الموتى» (16) .

تميز هذا الكاتب بميله الى كتابة الرواية فقد نشر فى السبعينات روايتين اثنتين : «البحر ينشر ألواحه»(17) و«ليلة السنوات العشر»(18) ولكنه يمين

---

(14) الفكر ـ أكتوبر 1973 .

(15) الفكر ـ ديسمبر 1972 .

(16) الفكر ـ فيفرى 1973 .

(17) الدار العربية للكتاب ـ تونس 1975 .

(18) المؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر 1983 .

أيضا الى كتابة القصة . ويمتاز بالدقة فى الوصف وحلاوة الاسلوب وما يضفيه على قصصه من شاعرية رقيقة وروح مرحة فيها تهكم خفيف يستوحيه من غرابة الاوضاع التى يشاهدها .

يقص علينا فى «أحراش الشوك» ما جرى لصديقين فقيرين أعزبين سكنا معا شقة فى عمارة . أحدهما أشقر وّالآخر أسمر . وتعترضهما فتاة فى درج العمارة . ويقع الاشقر فى حبالها ويتوقع أنها هى أيضا لها اليه ميل . وقرر مراسلتها ولكنه عاجز عن الكتابة فكان الاسمر هو الذى يراسلها وتراسله ظنا منها أنه الاشقر حتى يفتضح الامر .

ويحدثنا فى قصة «صفحة خاصة باعلانات الموتى» عن شيخ كان مغرما بالدفائن يسعى اليها طول دهره ولا يقرأ من الجريدة الا الاعلانات عن الموتى ويعجبه منها ما حرر باسلوب مزخرف متصنع فاوصى ابنه بأن ينشر عندما توافيه المنية اعلانا تفجعيا منمقا مزخرفا على غرار ما كان يعجب به منها . وتوفى الشيخ ونفذ الابن توصية أبيه بامانة وأحس بانه موهوب فى هذا الفن فذهب الى مدير الجريدة التى كان يقرأها أبوه عارضا خدماته واقتنع مدير الجريدة بانه قادر على توفير أرباح طائلة للجريدة وذلك بوضع اعلانات تفجعيه مؤثرة باسلوب أنيق ومزخرف . وانتهى الامر بأن أصبح الفتى مختصا بتحرير اعلانات الموتى وموضوعا من قبل الجريدة على ذمة أهالى الموتى الذين يريدون الاعلان عن موتاهم .

وأما محمود طرشونه فقد نشر قصة «أمومة» (19) وهى قصة تمتاز بشعور مرهف وأسلوب منخل أنيق وتتطرق الى حالات مختلفة من آلام الام عندما تصاب فى صبيها سواء أكانت الام حيوانا أم بشرا .

ان تتبع الانتاج القصصى فى مجلة أدبية جامعة مثل مجلة الفكر صدرت بانتظام طوال ثلاثين سنة ليس بالعمل الهين ولا يأمن صاحبه الزلل والتقصير .

حاولت أن أقدم المراحل التى قطعتها الرواية والقصة فى تونس واعرف بأهم الكتاب وأهم النصوص وذلك من وجهة نظرى وعبر ما نشر فى مجلة

(19) الفكر — فيفرى 1974 .

الفكر . وأنا أعلم أني لم أتعرض لقصاص لم ينشروا نصوصا في المجلة وكان لهم اسهام في تطوير القصة في تونس واخصابها . وأنا أعلم أيضا أني لم أستوف حق أولائك الذين تعرضت الى انتاجهم في المجلة لان ذلك يستدعي دراسات مستقلة ولان الحديث عنهم بصورة أشمل يتجاوز حدود هذه المقالة. ولكني عبرت بصدق عما أحس به شخصيا في تحاوري مع ابداع ثلة من كتاب القصة عاشرت كثيرا منهم وتربطني ببعضهم صداقات غالبت الزمان وطالعت انتاج جلهم بشغف عند صدوره وذلك طول سنين عديدة .

وان هذا العمل غرس في نفسي الشوق الى توسيع الرؤية وتعميقها . وأتوسل الى الله عز وجل أن يساعدني على تحقيق ما أصبو اليه خدمة لانتاج أدبي خصب ومتأصل في واقعنا يفتقر الى التعريف به بصورة أشمل وأعمق .

الطاهر قيقة

مجلة «الفكر» في عيدها الثلاثين

المِنْبرُ الحُـرّ

شعر: د. عبد المنعم خفاجي
(القاهرة)

منبرٌ أكرمْ به من منبرِ   منتدى للحاضر المزدهرِ
منبرٌ حرٌ، وما أرفعَه   كذُكاءٍ وكنجم مسفرِ
منبرٌ عزت به أوطانُنا   ونلاقي فوقه الفكرَ الثري
منبرٌ فيه شموخ العربيِّ   الاريحيٍّ الصادقِ المنتصرِ
فوقه صال أولو الرأيِ وخطوا   أسسَ المستقبل المنتظرِ
(تونسٌ) أولتْه في نهضتها   كلّ آمال الغد المدخّرِ
و (مزاليُ) و (البشير) انتديا   ندوةَ (الفكر) بكدّ السَّهرِ
هتف العُرْبُ بها منذ بدتْ   كوكبا مثل الهلالِ المقمَرِ
والشبابُ العربيِّ استقبلوها   بمنى الدهرِ وحلمِ الأعصُرِ
وكرامُ الادباء احتفلوا   بسناها القمريِّ النيّرِ
كالندى جاءتْ وكالغيثِ أتتْ   في صباح لؤلؤيٍّ مزهرِ
حفلت بالرأيِ والشعر معا   وبأفكارِ وضاءِ الجوْهرِ
وجهاد الشعب قد صوّرَهُ   شعراءُ (الفكر) أزهى الصّور
كالسحابِ الثّرِ ريّا وحيّا   وكأزهار الربيع الاخضر
وهي الحكمةِ خُطّتْ أسطرٌ   وأضاءت بين تلك الاسطر
هي ذاك الاملُ الحُلْوُ الذي   قد قطعناهُ بأغلى العمرِ

كم عرفنا قدرُه في الصغِرِ   وعرفنا قدره في الكِبَـرِ
أبدا ظلّ وفيّـا مخلِصـا   وضياء للنهـيِ والفكَـر
ظل ملءَ البيد ملءَ الحضَرِ   ظل في الجِيلّ رؤى والسفرِ
أيها الفكرُ الذى أصبحَ دنيا   من نضالٍ لجميع البشـرِ
مثلتك (الفكر) أشعار حجى   ومقالات كبارِ الخطـرِ
هي في (ذكرى الثلاثين) عروس   زفّها للمجد حكمُ القـدرِ
للغد الباسم في لألائـه   زفَّها النورُ بليل مقمـر
وبأحلام الشباب النضـر   كم جنينا الفكر نضر الزهرِ
من رؤاها كل هذي الصور   من جناها كلّ حالي الـدّرر
خط فيها كلّ نقد صائبِ   كل رأيِ صادقٍ مبتكـرِ
يامنارَ الشعب والفكر معـا   حلم مستقبل جيل أكبَرِ
عشتِ يا أغلى مجلات الحمَى   في فم الدهر وسمع الأعصُرِ
وكأحـلام العذارى أبدا   عشتِ للروض غدا والكوثرِ
عشتِ للنقد وللشعر وللحكـ   ـمة تبنيها بصدق الخبَـرِ
عشتِ في عهد(الحبيب) المرتجى   أملا حلو الجنا والثمـرِ
يا رفاقَ الفكر يا صفوةَ هذا   الوطن الغالي الحبيبِ الأطهرِ
أمـل أنتم لأيـام غـدٍ   نهضوا وابنوا غدَ المقتدرِ
كلّ شيء بكفـاح دائـ   ـبالكفاح المرّ حلوُ الظفر

د. محمد عبد المنعم خفاجي

نظرات في الشعر التونسي من خلال مجلة «الفكر» 1955 - 1985

بقلم: عبد العزيز قاسم

لقد سبق لنا أن قمنا بدراسة مطولة باللغة الفرنسية عن وضعية الشعر التونسى من خلال مجلة الفكر فى عشريتها الأولى (١) وليس من السهل مواصلة هذا العمل بتغطية العشريتين الثانية والثالثة دون اعطاء الموضوع ما يستحق من توسع واطناب . وأنى لنا ذلك فى دراسة محدودة فى الزمان والمكان . ان أى تناول سريع لموضوع فى مثل هذا الامتداد محكوم عليه حتما بالنقص والسطحية الا اننا نعتقد أن نظرة شاملة مهما كانت خاطفة لا تخلو من فائدة شريطة أن نتوصل الى رسم الملامح العامة لاتجاهات الشعر التونسى من حيث الاغراض والأساليب .

وأول ما ينبغى الاشارة اليه هو أن الانتاج الشعرى التونسى من خلال مجلة الفكر يتميز بالغزارة والتنوع وبالتعددية اذا جاز لنا استعمال هذا المصطلح السياسى الحديث مما يجعل من هذه المجلة المرجع الاهم ان لم يكن الوحيد لدراسة هذا الصنف الادبى . ذلك أن مجلة الفكر قد اتخذت لها منذ البداية مبدأ لم تحد عنه قط يقتضى السماح لكل المواهب والقرائح بالتعبير عن ذاتها وعن كائنات العالم واشيائه دون التقيد بأى خط فلسفى أو ايديولوجى معين وبذلك انتظمت ونشطت حركة شعرية تعايشت خلالها كل الاتجاهات الشكلية والغرضية وحتى المذهبية ولم يكن ذلك بالامر الهين اذ كان يحرص مدير المجلة وأسرة تحريرها على اعطاء فرصة التعبير لكل طالب كلمة متخلصين من كل الضغوط التى كان يحاول تسليطها على النشر هذا الفريق أو ذاك . فالتعايش

Situation de la Poésic Tunisienne dans la reuue (AL - FIKR) de 1955 (1) à 1965 . ARABICA . T XVIII . Fasc 1 et 2. 4 3 Leiden 1971

السلمي الذي نجحت المجلة في اقراره لم يكن يسير المنال فقد كانت كل جماعة متمذهبة تحاول جذب الغطاء الى نفسها . فهناك الشعراء التقليديون العموديون سواء منهم الاتباعيون أو الرمانسيون وقد حاولوا الابقاء على ما كانوا يعتبرونه أصالة الشعر من قوالب وأغراض جربت فصحت . وهناك جماعة الشعر الحر التي ظهرت للمرة الاولى في مجلة الفكر وقد ثارت على الرتابة الايقاعية وانتصرت للصورة على حساب العبارة ثم جاءت فيما بعد جماعة ما اصطلح على تسميته بغير العمودي والحر التي رفضت الخليل جملة وتفصيلا وهناك جماعة الشعر الملتزم التي كانت تنادي بنبذ الاغراض الذاتية التي لم تعد تتماشى مع متطلبات الوضع العربي المأزوم المتقلب . الا أن المجلة استطاعت التغلب على تنافر الاصوات وتناقض الاتجاهات تاركة للقارىء والدارس والمؤرخ حرية البحث والتعمق فيما يودون ابرازه وتسليط الضوء عليه . وقد حرصت المجلة على أن يتسم الانتاج المرشح للنشر بنضج التجربة وسلامة التعبير كشرط أدنى على أن ذلك لم يمنع بعض القصائد الضعيفة المهلهلة من أن تندس ضمن مجموعة القصائد القادرة على الدفاع عن نفسها ولكن جواب أسرة التحرير بهذا الخصوص هو وجوب التيسير والتشجيع على أن يتولى غربال التاريخ اسقاط ما يتعين اسقاطه .

وتسهيلا للتمشي الذي يفرض نفسه علينا يبدو لنا من الضروري أن نقنع بالاحاطة بالمساحة الشعرية الممتدة أمامنا بدلا من الغوص الجزئي في الاعماق اي اننا نفضل الجولة الشاملة على الاستراحة الفاحصة وهذا الاختيار يدفع بنا الى الركون الى التقسيم الزمني بتناول حصاد كل عشرية على حدة لابراز خصائصها وهمومها واهتماماتها .

وتتميز الفترة الاولى وهي المتراوحة بين 1955 – 1965 بكثافة الضغط التاريخي على الاحداث والافكار والوجدان ذلك أن الفكر كانت أول زهرة ثقافية تفتقت اثر حصول تونس على استقلالها الداخلي ومن ثم شهدت المجلة وواكبت معارك حاسمة على العديد من الواجهات . معركة اتمام الاستقلال ومعارك اجلاء الجيش الاجنبي من الجنوب ومن الشمال ومعركة بسط السيادة كاملة على أرض الوطن باسترجاع الاراضي الفلاحية التي اغتصبها المعمرون الاجانب كما شهدت المعارك الحاسمة في حرب تحرير الجزائر وقد التحم فيها الشعبان الجزائري والتونسي في مواجهة الاستعمار حتى النصر النهائي . كل هذه المعارك واكبها الشعراء التونسيون الذين تغنوا بالبطولات وسجلوا ملاحم الجهاد ورسموا

علامات النصر فى درب النضال الطويل وعبروا عما كان يختلج فى الصدور من طموحات وتطلعات فاحتضنت مجلة الفكر كل هذا الغضب الثورى بما يتضمنه من نقمة على المعتدين ومن احساس عميق بالتضامن وبالمصير المشترك . وليس المهم أن يحس الشاعر بذلك بل المهم أن يـزرع احساسه فى مشاعر النـاس ، وتلك حكاية أخرى .. ومهما يكن من أمر فاذا القينا نظرة عـلى اسماء الشعراء المتواجدين على الساحة والذين التفوا حول المجلة ابان انبعاثها وطوال عشريتها الأولى نلاحظ أن معظمهم كان مخضرما أى ممن شبوا قبل الاستقلال فمنهم من واصل عطاءه كما كان ومنهم من اشتد ساعده وزادت قدمه رسوخا بعـد الاستقلال ومن مجلة الفكر وحدها نستطيع متابعة مسيرة أجيال النضج كما نستطيع مواكبة الخطى الأولى لشعراء الجيل اللاحق .

لقد قلنا ان مجلة الفكر كانت ــ ومازالت ــ تنشر الانتاج الشعرى دون ميز ولا تتدخل فيما يتعلق بالأشكال والمضامين الا أننا نلاحظ أنها من حيث الترتيب كانت تعطى الاولوية للقصائد ذات الطابع الوطنى أو السياسى عمومـا لذلك نرى لزاما علينا احترام ذلك الترتيب فى عرض النماذج التى اخترنا .

إن النقد الادبى يؤكد على أن الشعر بحث دائم وممارسة بالمعنى « الفاليرى » للكلمة وأنه لا يقبل الحدود والحصر وأن الاغراض تتداخل فيه باستمرار ولكن الشاعر محسن بن حميدة وهو من رواد الشعر الحر والملتزم يشرح فى قصيدته « عهد جديد » للمرأة التى يحب أو كان يحب الاسباب القاهرة التى تشغله عن حبه لها ، إذ يعتقد ، خلافا لتجربة « أراغون » أن اندفاعات الغرام تتنافى مع المد الثورى وأن الحب لم يعد حتى مجرد استراحة المحارب :

فاتنتى ــ مازال حـبى حبـا فريـد
مازال دمعـى عليـك صَبيـب
. لكننى افزعتنـى الدمـاء
وازعجنى المـوت عند المسـاء
... يبيد الفطاحل من امـتى
... فاخفيت شـوقى وهو شديد

واطلقت شعري بسيل نمير

لحقن الدماء ــ وبعث القبور ــ وغصب الحقوق (2) .

ذلك أن الشاعر قد سخر طاقاته لمكافحة القمع ولتمجيد بطولات المقاومين فيترجم فى قصيدته ، صيحة شهيد ، العزم الراسخ على تحدى معذبيه .

انا لا اخاف سياطهم والكهرباء

انا لا اخاف جعاب ماء تفتق البطن الاليم

انا لا اخاف سجائرا مسعورة تكوى الجسوم

ولا الكلوم

... سابث غيظى فى الرجال وفى النساء

سابث غيظى فى الشباب وفى المشيب

سابث غيظى فى الجموع وفى الفضاء (3) .

إن لهذا الاستعراض التفصيلى قيمة خطابية رنانة ولكنه يقع فى التكرار والكلام المباشر مما يلحق الضرر بالكثافة المطلوبة فى القصيدة وقلما تخلص من هذا العيب شاعر ملتزم ، ويحاول محسن بن حميدة أن يجمع افكاره فى قصيدة بعنوان ، ليلة موتك ، تواصل وتكمل القصيدة السابقة مضفيا على أبياته مسحة من اللوعة المناضلة يلعب فيها التكرار دور التأكيد والادانة :

ليلة الموت ــ ايا ليلة موتك

آه ما اقصرها ليلة موتك

ويظن القاتل الوحشى ان تنصره ليلة موتك

آه ما اقصرها ليلة موتك

حين حلم يتحقق

(2) الفكر 1958 ، 4 ، ص 84 .

(3) الفكر 1955 ، 1 ، ص 38 .

وحيـاة تتدفـق

... فيموت القاتل الوحشي في ليلة موتك (4) .

خلال معركة التحرير كانت المرأة التونسية ترزح تحت عبء التقاليد والقيود الاجتماعية والتشريعية ومع ذلك ساهمت في بعض المظاهرات وذاقت مرارة الاعتقال والعدوان ولكننا لم نسمع أنها شاركت أو حاولت المشاركة في المقاومة المسلحة فقد كان ذلك شبه مستحيل ماديا واجتماعيا، بيد أن محمد العروسي المطوى الذي ينازع محسن بن حميدة ريادة الشعر الحر في تونس يتخيل فتاة تونسية تتوسل عند أخيها المقاوم حتى ترافقه الى المعركة :

خـذني معـك ـ خذني معـك ـ اني ذهبـت
فانني ظمـآى إلى مـا تشربـون
خـذني معـك ... اني قصدت
فانني ظمـآى إلى « نبـع الحيـاة »
ظمـآى إلى نبـع الفـداء
خـذني معـك ـ وارحـم دمائي الثـائرة
فلقـد عـزمت عـلى الجهـاد
جنبـي لجنـب الثائرين (5) .

هذه القصيدة لا صلة لها بالواقع المعيش وللشاعر أن يحلم وأن يتخيل وان يسبق الاحداث فلقد لاحظنا أن المرأة الجزائرية قد ساهمت مساهمة فعلية وفعالة في الكفاح المسلح إلا أنه كان يكون من الافضل أن يكون الشاعر ترجمان اللوعة المعتزة عند امرأة استشهد أحد اعزائها في الجبل ، وإذا كان شعر محسن بن حميدة تعبيرا عن الغضب فان شعر العروسي المطوى تعبير عـن الضغينة المناضلة وهو ما يشرح ضمأ الفتاة الثائر الى الدم ، وها هو ذا يصف لنا احتضار أحد الخونة أصابه رصاص مقاوم :

---

(4) الفكـر 1955 ، 3 ، ص 35 .
(5) الفكـر 1956 ، 3 ، ص 35 .

ورنا بالحائط مراض ـ ملآى باهوال السنين
واجالها فى السقف فى الحشد الصموت
واذا الفناء بقربه ـ يترقب النفس الاخير
ويلمه حم القضاء ـ لم يبق إلا طرفه
يرنو الى ماض سواد ـ ماض من « الأفعال » يلعنها الضمير
ويدوسها الشيطان بالنعل القذر (6) .

إن موت الخائن ينشرح له صدر الوطنى بالتاكيد فهو أخذ بالثار وهو أيضا ردع لمن تحدثه نفسه بالخيانة ولكن هذا الوصف ينم عن استمتاع غريب نلمسه بصورة أوضح فى قصيدة «ثار أنطوان» وأنطوان هذا استعمارى بغيض شديد المناوأة للمقاومين . ذات يوم بقر بطنه مقاوم فأخذ الشاعر يصف امعاءه الممزقة فى أبيات تنطق بلسان الغريزة :

ويسيل دم ـ وتطل امعاء خبيثة
صفراء خالطها النجيع ـ كالأفعوان الملتوى
يرتج من فاس هشوم
وتقيء معدته كريها
مكرونة خمرا وقهوة
وفتات خبز كالعجين
فى الطين أو ضمن الزبالة
ولسانه : هتر وبحه
كالأبكم المحموم فى حر الهجيرة (7) .

---

(6) الفكر 1956 ، 5 ، ص 15 .
(7) الفكر 1958 ، 2 ، ص 18 .

هناك اسئلة تتبادر الى الذهن بعد قراءة هذه الأبيات التشريحية التي يتعين التفكير في منعها على الاطفال دون الخامسة عشرة : هل تختلف الأمعاء الممزقة بين قتيل شرير وقتيل طيب ؟ هل الشعر وصف تقريري أم ايحاء قوي ؟ هل أن مثل هذا الشعر يخدم القضية باثارة الاشمئزاز والقشعريرة ؟ ان الشعر في نظرنا هو ما تجاوز الأهواء العارضة والحدث العابر إذ لا يتمركز في الاشياء بل يعبرها الى مدلولاتها ورموزها الدائمة . ولعل الشاعر قد عمد الى هذا الوصف القاسي لأنه قد شهد يوم 9 أفريل 1938 المذبحة التي ارتكبتها قوات الاستعمار ضد الوطنيين المتظاهرين وهو يذكر « قطعة مخ » وقعت من رأس مهشم والى تلك القطعة يهدي قصيدته التي جاءت بعنوان « نقطة البداية » :

« برلمان تونسي ! »
صيحة كانت تهز الارض هزا
وضعاف الناس لا تدري مداها
بينما الأعداء تصطك ارتعاشا ـ وارتجاجا
يدرك الأعداء مغزاها البعيد
فتصدوا نحوها كي يحسبوها
في الخناجر ـ بالخناجر
كانت الاشلاء في كل مكان ـ تتطاير ـ
ساحة القصبة ـ في باب منارة
عند باب « العلج » ـ في باب سويقه
عند باب البحر ـ في كل مكان (8) .

من الواضح أن هذه القصيدة أرادها الشاعر حديثا وصفيا أو تقريرا منظوما وهل نلوم الشاعر في كونه أراد أن ينقل الى قارئه الحقيقة كما هي في عريها وفظاعتها كما انطبعت في ذهن المشاهدين تحريكا مباشرا للحمية في غضبها الغريزي ؟ هذه أيضا حكاية أخرى !

---

(8) الفكر 1958 ، 8 ، ص 43 ـ 41 .

ولقد تجاوب الشعراء التونسيون مع المقاومة الجزائرية فنظموا قصائد صبوا فيها جام غضبهم وشتائمهم على المستعمر الوحشي . وهذا محسن بن حميدة يقدم لنا انموذجا من ذلك في قصيدته « في غير لين » :

هم للصغار مروعون – هم للفضيلة هاتكون

هم حاقدون – على الاحبة والأخلة حاقدون

وعلى الجرائم والخبائث مدمنون

لا يستحون (9) .

أما أحمد اللغماني فقد أمطر الاستعمار بلعناته بمناسبة « يوم الجزائر » :

حمق غرور – جبن تلقح بالغرور

هذي خصالك يا حقير

يا غادرا اوقعت نفسك في الحفير

ناطحت صماء الصخور – فرجعت بالغنم الكثير

بالهامة المدماة والقرن الكسير

اشبعت من أشلاء من ذبحت – يا صلد الشعور ؟

ورويت من ذاك الدم المسفوح – يا ميت الضمير ؟ (10) .

العين بالعين والشتيمة بالشتيمة ذلك هو القانون الذي يحكم علاقة الشاعر بالمستعمر الذي يمارس مع ابناء البلد نفس السلوك فالشرطة وأعوان الدرك وغلاة الاستعمار يقمعون ويزدرون ويشتمون وعلى لسانهم يقول احمد اللغماني وكانه يبرر وابل سبابه والمعاملة بالمثل :

عبيد لقد عقنا هؤلاء العبيد

حثالة افريقيا الغافيه

---

(9) الفكر 1956 ، 2 ، ص 8 .

(10) الفكر 1957 ، 4 ، ص 30 .

يغطون في نومهم حالمين
كسالى كانعامهم خاملون
لهم أمل بالسراح
بنفض الغبار ونشر الجناح
لهم أمل في غد ، ما غد ؟
سراب كذوب (11) .

ذلك هو صلف المستعمر المتكبر ولكن الفارق بينه وبين الشاعر هو أنه لا يقول الشعر . إنه يمارس السوقية في اتفه عباراتها فهل كان من الضروري أن نترجم كلامه شعرا ؟ لكأن قضية الاستعمار وهي شديدة التعقيد ومبنية على جدلية ميزان القوى . تنحصر في الاهانات اللفظية التي هي في الواقع مظهر ثانوي للاستعباد والاستغلال والقهر . إن القضية الاساسية بالنسبة الى الشعوب المستضعفة هي اخضاعها الى وصاية مفروضة وسد أبواب الامل في بلوغ سن الرشد وتقرير المصير .

لقد وقفت تونس الى جانب شقيقتها الجزائر وسمحت للثوار باللجوء الى أرضها واتخاذها عمقا استراتيجيا كان له دور حاسم في تأمين النصر النهائي. لذلك عمدت سلطات الاستعمار في 8 فيفري 1958 الى الهجوم جوا على قرية ساقية سيدي يوسف الحدودية وكان اليوم يوم سوق يعج بالمواطنين التونسيين والجزائريين فكانت مجزرة رهيبة ويصف لنا أحمد اللغماني وكان إذ ذاك متفقد تعليم ابتدائي حطام مدرسة بعد مرور طائرات العدو :

سبورة محطمه
لما تزل تحمل بعض « الكلمه »
هنا فتات مقلمه
وها هنا ورقة مرقمه
وراس طفل ويد مكلمه
كانت تخط « الكلمه »
وبعض رجل لم تزل تحمل بعض الجورب

(11) الفكر 1957 ، 2 ، ص 12 .

وقـد طـرحت فى اللهـب
وسلـة فى قاعهـا بعض رغيـف
هـذا حطـام المدرسـه (12) .

هذه أيضا قصيدة « ريبورتـاج » ولكنها تتميز عن بقية القصائد باستعراض جزئيات لها امتداد فى ذهن القارئ، والسامع وهى مثيرة شديدة الاثارة لانها تتجنب التأثير المباشر فهى اذن بما تتضمنه من ايحاء مشحونة شعرا . ولقد الهمت حادثة « الساقية » أكثر من شاعر ، وهذا منور صمادح يندد بهذه الجريمة مشيرا الى أن مقترفيها يتشدقون دائما بالحرية والمدنية :

قالـوا التوحش زالا ـ فاجبتهم مـن قالا ؟
من ذا الذى بقر البطـون وقطع الاوصالا
من ذا الذى سفـك الدماء وقتـل الأطفالا
وسطا على أرواحنـا فاستعجل الآجـالا ؟ (13)

يمكن اعتبار هذه القصائد بصرف النظر عن قيمتها الفنية شهادات ساخنة عن المذابح والاضطهادات تحرك النفوس وتتغلغل فى الذاكرة الوطنية أكثر مما يفعله التاريخ الذى يتعامل مع الاحداث بما يلزم من هدوء وبرود .

بعد شهرين من العدوان على « الساقية » ، يتحـدى احمد اللغمـانى قـوى الاستعمار بتأكيد تضامن تونس مع الجزائر باعتبارها جزءا لا يتجزأ من المغرب العربى الكبير فيقول :

حلـم المـلايين الضعـاف : المغـرب الكبيـر
نريـده ! نريـده !
نريـده لنـا ... لنـا
لنـا .. لنـا لا لسوانـا المغـرب الكبيـر

---

(12) الفكـر 1958 ، 3 ، ص 2 .
(13) الفكـر 1958 ، 4 ، ص 6 .

نبنيـه بالأرواح والأشـلاء والدمـاء

نصونـه ، نصونـه من شـره المغيـر (14) .

إن صدق العاطفة والحمية يتحول الى شعارات تؤدى دورهـا **الحماسى فى** اللافتات بالشوارع والاجتماعات ولكن المضمون يبقى أكبر من الشكل فى حين أن أحمد اللغمانى قد عودنا على شعر أكثر متانة واشراقا . إن تناول المواضيع الضخمة يتطلب معاناة تفتح القصيدة على شاسع الآفاق ، لكن **ضغط الاحداث** لا يتيح للشاعر البعد الكافى لتجاوز العبارة نحو الرؤية ، **أما والحالة تلك فان** الشاعر يقنع بمخزونه اللغوى مستنجدا بالرؤى والصور **المسطحة والكلمات** الغنائية التى لا تخلو من تخدير ممتع وهو ما يقع فيه **شاعـر أصيـل مثـل** المرحوم أحمد المختار الوزير فى قصائد « عيـد النصـر » :

انظـروا الفجـر يملأ الأفـق انوارا ويجلو من سحره الفتانـا

انظـروه مشعشعـا يتهادى طافـح البشـر حالمـا نشوانـا

انظـروه مدغدغـا بـرعم الـورد جيابا مضاحكا ريحانـا

انظـروه فانه فى مرائى ألعيـن وشى خيـوطه من منانـا (15) .

وعلى هذا النحو يسير عبد المجيد بن جدو فى « ملحمة النصر » :

هـذه أنشـودة النصـر وأصداء الأمـانى

مولـد الفجـر وعقد الدر فى جيـد الزمـان

صـدحت فى ركبها الغيد بـألحان حسـان

وبهـا رجعـت الاصـداء ذكرى المهرجـان

---

(14) الفكـر 1958 ، 4 ، ص 22 .

(15) الفكـر 1959 ، 10 ، ص 2 .

باناشيد عذاب هزجت فيها الأغاني (16) .

الأناشيد والانوار والورود هي الاطار الدائم الذى لا يتغير للتعبير عن أفراح الشعب بذكرى انتصاراته ويتبارى الشعراء فى ذلك الاطار بتنضيد الكلمات المتداولة ولعل المذنب فى كل هذا هو الفرح فالفرح ليس مهنة الشعراء ، والفرح احساس غامر ولكنه سطحى ، والفرح بالنضال ليس نضالا ، والشاعر المناضل لا يلقى السلاح فهناك دائما قضية وطنية أو انسانية بانتظاره . وهذا مصطفى الحبيب بحرى يعرف بمأساة اللاجئين الفلسطينيين أو يحيى المقاومة الشعبية فى « بور سعيد » ابان العدوان الثلاثى على مصر أو يتجاوز القضية العربية ليعالج قضايا القارة الافريقية فى قصيد بعنوان « افريقيا ورقصة البركان » .

سماؤنا دم ـ وارضنا فم

وانت يا افريقيا يا ارضنا ويا سماء

... افريقيا يا مرحبا بطفلك الوليد

ومرحبا بما تخطه فى ارضك الرياح

وما تخطه بافقك الرعود

... وانت لم يزل يهزك المخاض

ولم يزل ينهل منك دم (17) .

هذا النزيف كان فى خيال شعرائنا نزيف مخاض وولادة ففى تلك الفترة التى كانت تشهد قرب انبعاث دول القارة سيدة أمرها لم يكن يخطر على بال ان الولادة سيعقبها الاجهاض وأن الرؤية لم تكن قادرة على النفاذ الى التناقضات والانتفاضات وان كثيرا من الخيبات كانت مخبأة وراء الوميض الواعد . وعلى

---

(16) الفكر 1965 ، 9 ، ص 7 .
(17) الفكر 1955 ، 4 ، ص 43 .

كل فان هذه الآمال العريضة التي كان هناك ما يبررها لم تكن تخفى عن الشاعر التونسى مخاوف العصر الذرى :

عالمنا سفينة تحملنا إلى ضياع

حدوده عدم - سماؤه مجنونة الاعصار

امواجه أنين دم

... ذراته مسخره

... لهدم ما يشيده الانسان

فى عالم الابداع (18) .

فاجعة هيروشيما حركت أيضا محسن بن حميدة الذى رأى فيها موت طفولة العالم فنظم فيها قصيدته « قطعة حلوى ولعبة » ناطقا باسم طفل تبخر فلم يبق منه سوى صوت وجيع :

تالله إني ساذكرها - ليلة موتي بهيروشيما

ليلة موت الوجود الكبير

من الآن سوف تعود سدى
بأيديكم كل حلوى العلب

... وكل اللعب

... وابقى صبيا إلى غير حين

وابقى خفيا فلا أنظر (19) .

ان محاولة حصر كارثة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ البشرية فى أنة طفل رهان يصعب كسبه ولكن الشاعر حر فى تصوره ولعل الفجيعة فى نظره تكمن فى قتل البراءة ، وبالفعل لم يعد العالم بريئا بعد هيروشيما .

---

(18) الفكر 1962 ، 6 ، ص 81 .
(19) الفكر 1957 ، 10 ، ص 38 .

إن الشاعر التونسي عربي شرقي في طموحاته وآلامه ورغم كل ما يختلج في نفسه من حمية ازاء التحرك الجبار الذي بدأ يكسر القيود حلقة بعد حلقة فانه لا يغفل عن سلبيات وعيوب ورواسب كثيرة من أوهام القرون تنذر بالاخفاقات المقبلة والاجهاضات الممكنة ولذلك يثور محمد العروسي المطوى ضد «أغنية الشرق القديمة» التي تلوك الأمجاد الغابرة مستسلمة للآفات المتوارثة عن عصور الظلام :

أغنيـة الشـرق القـديمـه ... غصصـا من السـم الزعـاف
نحـن البنـاة الأولـون ... هـم هـائمـون
كنـا الألى فتحوا الطـريـق ... صـرعى لآفـات مشومـه
كنـا الألى بعثـوا الهـداة ... «أفيونـة» الصيـن الخطيـرة
... أغنيـة الشـرق القـديمـه ... و«حشيشـة» النيـل اللعينـه
ظلـت عشـارا فى الطـريـق ... و«حـروز» أطلسنـا الكبيـر
ابنـاؤهـا يتجـرعـون ... و«زهادة» الهندوس فى نبع الحياة(20)

يتضح مما تقدم أن الشعراء التونسيين قد حاولوا إلقاء نظرة واعية على ما حولهم وعلى ما يمسهم من قريب أو بعيد وحملوا الشعر الشهادة التي كانوا يرغبون في أدائها وتوصلوا عن قصد أو غير قصد إلى طرح المقدمات القاضية باعادة النظر في الشعر في مواجهته للواقع الذي يلاحقه ويشدد ضغطه ويدفع به دفعا إلى التغيير .

تلك هي نماذج من اهتمامات الشعر السياسي التونسي خلال العشرية الأولى تعاليق منظومة على هامش النضال التحريري في حين تستمر الاغراض التقليدية من تأمل في الحياة وحب وغزل . وكان من ابرز أصوات الشعر التأملي المرحوم أحمد المختار الوزير يحث الخطى في فلوات النفس بحثا عن مدينة فاضلة يلجأ إليها وفي قصيدة بعنوان «من ؟» ، يترجم الشاعر عن ضيقه غريبا تائها وسط الغرباء الذين طالما تعذب من أجلهم وتحمل همومهم :

ما لهم يسألون عني ويبدون عجابا من محضري ومكاني
لكاني غريب دار نبت بي جفوة الدهر عن لقا إخواني

(20) الفكـر 1962 ، 10 ، ص 4 .

خلسة يلمحونني ثم تزور وتابى عيونهم ان تراني
ما الذي رابهم وما علمت نفسي بسريريب او إعـلان
أنا من أجلهم تشعل شيبي وعراني من الضوى ما عراني (21) .

شعر الوزير كله توق إلى فك أطواق الغربة الروحية في مواجهة استغراب الناس أمام تفرد الشاعر وهو يتآكل نارا تضيء ظلام الوجدان في مجتمع لايعي وليس أقسى على المرء من عزلته وسط الزحام وشعوره الحاد بالخيبة فاذا به يضع نفسه محل جدال ومراجعة ممزقة تؤدي به فعلا إلى تمزيق الاوتار واسكات الذات :

مزقت اوتاري وحطمت القيـاثر لا أغني
وارقت خمري ما حوت كاسي وما يحويه دني
وطويت اضلاعي على شعري وأسجاعي وفني
وذهبت في صمتي اكتم في غيوب النفس لحني (22) .

إلى أين يذهب من فقد الايمان بجدوى فنه في عالم اللاشعر ؟ **إنه ينسحب الى الاطلال القديمة** التي كانت منبت الشعر في القرون الخوالي **قبل المد الحضاري الكافر بأشياء الروح** . وهذا الشاعر يتجول وحيدا بين الخراب في « **المعبد المتهدم** » :

انـا وحدي وكل مـا تبصر العيـن عـراء يلفني وقتام
مات كل الاشباح مات نهـاري مات ظـل وأعقـب الاظلام
... أين أمضي ، لقد جهلت إلى أين مصيري وند عني المرام
حيرة إن سالت نفسي عنها مسني جاحم وهاج اضطرام (23) .

إن احمد المختار الوزير من بين الشعراء التونسيين القلائل الذين كابدوا بعد ابي القاسم الشابي ، مأساة اللاتواصل وانقطاع الحوار ، بل لعل الوزير آخر

---

(20) الفكـر 1962 ، 10 ، ص 4 .
(21) الفكـر 1959 ، 8 ، ص 7 .
(22) الفكـر 1962 ، 01 ، ص 4 .
(23) الفكـر 1959 ، 3 ، ص 2 .

نبی » رجیم ، تدفع به الأزمة الى « معراج » غریب نحو بقــاع مقدسة لــم تعد تخشى التدنيس . فاذا هو يتسلق سلم الزمن بحثا عن شباب ضل طريق الحياة فاذا بالتقوى تنطق بكلام غريب :

قال لی صاحبی وقد سکن اللیل وغشی النجوم سود الدجون
ســر بنــا ســر فمــا أطیق بقاء بین ریب ممــزق ویقیــن
... قال هيا لباطل حبذا الباطن دینی اذا سعــدت بدینی
سر أخی سر لحــان قصی لغنــاء لراقصــات اللحون (24) .

وحال وصوله الى ألحان تتلقاه امرأة عصفت بها السنون هي عهــد شبابه الضائع وتعلمه بأن الكؤوس تحطمت وأن المشرب قد أغلق ابوابه وبذلك يخفق الشاعر أيضا فی تجربة التطهر عن طريــق الاثم . هذا الاحساس بالضيــاع الشعرى يتواصل مع شعراء الجيل الموالى كما يبدو من خلال قصيدة «مناجاة» لنور الدين صمــود :

منهك أنت كالشراع على اليم ترامته زعزع عمياء
وكئيب كأنمــا أنت كهــف أبدى يــاوى اليك الشقاء
وطروب كالنور فی صفحة النهر تلالا فی موكب الاضواء
أنت كالكون شاحب فور ما تسرى على الارض موجة من خريف
وكلحن الطيور يمرح عذبا سرمديا مع الربيع الوريف (25) .

كذلك يبرز صمود علاقات الشاعر بالطبيعة انصهارا فيها وتأثرا بتقلباتها ولعل الشاعر أراد أن يبين أن الكآبة ليست حالة مستمرة وأن للانشراح فسحة فی صدر الانسان تجعله يتحمل اوجاع الحياة . وفی هذه القصيدة انفتاح على آفاق عريضة ينفذ منها الشاعر الى ابعاده . انه الشاهد الحاضر أبدا ومستودع قيم الانسان منذ بدء الخليقة فهو يجر وراءه ارث القرون الثقيــل ويتهم ذاته باقتراف كل الجرائم التی يرتكبها البشر . ذلك هو « الشاعر » النبی الــذی يصفه صمود مخالفا للصورة التی تركها لنا الوزير . ويستعمل صمود فی وصفه ذاك أسلوبا ينضح فی غرابة بالشهوة والتصوف فی آن واحد :

---

(24) الفكــر 1960 . 8 . ص 12 .

في ثغـره شوق لقبلة آدم في ثغر حواء الجميل
وبصدره طعنات قابيل لهابيل تدفق كالسيـول
في سمعه تدوى المطارق وهي تكسو بالدما كفي يسوع
في سمعه خطو لناقة احمد تطوى الفيافي في خشوع (26) .

إن هذا الشاعر وريث النبوة في آلامها وزحفها النوراني فوق الرمال والقفار وهو في الوقت نفسه وريث « سزيف » رافع الصخرة المتدحرجة دائما ولكنه مارد ثائر يرفض الجبرية ويحاول تجاوز منزلته ، انه « سيزيف » الذي يريد سحق كل صخور العالم التي تعترض المسير في كل الدروب . الناس رجلان ، رجل نملة ورجل صرار . وخلافا للأمثولة المعروفة تعيش الصراصير البشرية على حساب النمل وتستمتع دون عناء بملذات الدنيا ، وهناك صنـف ثالث ، صنف « القطط الدونجوانية » التي تنام بيـن أحضـان الحسان ، تلـك هي « مأساة سيزيف » العصر :

في ظلام الراحة الدكناء صرار يغني في بحور من غناء
وانا والنملة العرجاء نجري خلف زاد الغد ، يا طول العناء
وانا احسب ان القط عنوان الدعاره
دأبه ان ياكل القوت وأن يصطاد فـاره
غير أن القط يمشي في خيال العظمـاء
وينـام الليـل في أحضـان غـادة (27) .

نور الدين صمود لا يدين الفعل أو العمل مهما كان مضنيا ولكنـه يثور على الطفيلية والانتهازية ، انه يرفض بالخصوص ، وهذا مهم جدا ، عمل الانسان الآلة اللامسؤول الذي يخدم الطغيان والجبروت وهو اذ يذكر بمقتل الشاعر الاسباني العظيم فيدريكو غارسيا لوركا انما يندد بكل الجرائم المماثلة في عالم ليس « لوركا » فيه بأول أو آخر ضحية :

---

(25) الفكـر 1959 . 10 . ص 34 .
(26) الفكـر 1958 ، 8 ، ص 75 .
(27 و 28) الفكر 1963 . 6 ص 15 ــ 16 .

ايـه يا قلبي الذي قضيـت عمري تائهـا أبحث عنكـا
مثلما مـات على أمجاد اسـبانيـا العظيمـة
شاعـر الحريـة العذراء « لوركـا »
ومضى في موكـب من كبريـاء
ساخـرا من طغمـة مأجـورة جـد لئيمـه
سـوف أمضي ساخرا من صولة القط الحقيـر
سأدوس النملة العرجاء والصرار والطير الكسير
تعس الخبـز الذي يجمعـه
عـرق النمـل الصغيـر (28) .

هكذا يرتقي الشعر التأملي الوجداني الى مرتبـة الالتزام والتمرد فالشاعر يعلن سخطه على كل المأجورين وعلى العبيد الذين يجهلون أنهـم عبيد كما ينقم على الانتفاعيين الذيـن فقدوا ماء الوجه وعـلى الضعفاء الذيـن أصبحوا حلفـاء موضوعيين للطغاة والظالميـن .

جعفر ماجد شاعر آخر يحمل وزر اللعنة الشعرية ويدخل بنـا في متاهات ضبابية تكثف الحيرة :

ها انـا ذا بيـن أمـواج الزمـان	لسـت ادري ما مكـاني في المكـان
اقتـل اليـوم الـذي لا ينتهـي	والغـد الآتـي مضى قبـل الأوان
لا الدجـى المحمـر في آفـاقـه	لا خيـوط الشمس سوداء البنـان
تمسـح الايـام مـن عمـري ولا	تصنع الأعمار من موت الثواني(29)

هذه الأبيات مأخوذة من قصيدة بعنوان « ضياع » وفكرة الضياع تتسلط على كثير من قصائد جعفر ماجد ذات المسحة التأملية ، ضياع في عالم غير مرئي ، من « وراء الحروف » في البقاع التي لا يدخلها الا الشعراء :

سلونـا ام تـرى وهنـت قوانـا	وعدنـا وحـدنا ام مـن دعانـا
وكنـا كالخيـال بـلا جنـاح	نطيـر عـلى الزمـان فـلا يرانـا

(29) الفكـر 1962 ، 2 ، ص 17 .

فانت اليوم يا قلبي غريب على بعد المكان ترى المكانا
وتلهث كالجريح على ضلوعي وتنفث في شراييني الحنانا
تضج الذكريات فامتطيها وارمي في السماء لها العنانا (30)

إن الاصطدام بالمستحيل في بحث الشاعر عن المطلق يؤدي الى احساس عادي، بالعجز ولذلك تتلحف صورة القلب النازف بين الضلوع بانحنان واذا ما اختار الشاعر ألا يغضب فليس ذلك منه ميلا الى التسليم أو الاستسلام بل اقتناعا بأن طموحات القلب تتجاوز احتياجاته، فنراه يجر « العطش » عبر صحارى باردة وسوداء :

يا شعاعا في فيافي الليل يسري قد أطل الفجر قل لي اين فجري
ساحة الايام عطشى كالدجى وانا وزعت فيها كل عمري
ستذوب الشمس في ارجائها ما تراني جانيا إن جف بدري
ليس لي يا نفس حقل غيره إن غرسي ما نما إلا بصدري (31)

الضياع نوهة عريضة، الضياع أكبر ضيعة كونية، تستهوي كل شعراء الخمسينات والستينات، حتى عبد المجيد بن جدو مؤلف كلمات الاغاني الخفيفة يستسلم للاغراء فيغرق يغرق هو الآخر :

ضياء ... هنا قطرة من شعاع
على الدرب ـ في نفق مظلم ـ وومضة حلم
ضياع ، ضياع
هنا درهم من ظلام
فلا تحتويه يدي
... به حدثت في القديم السماء
... ولم يك إلا سراب رجاء
... حصدت من الليل أطيافه
وناولت أكياسه الجائعين (32) .

(30) الفكر 1962 ، 2 ، ص 17 .
(31) الفكر 1963 ، 8 ، ص 6 .
(32) الفكر 1964 ، 9 ، ص 28 .

لكن عبد المجيد بن جدو شاعر عاشق والعشق منقذ من الضياع حتى وان كان حزينا يعيش على ذكرى المتع القديمة كما هو الحال في قصيدة « أغنية الغروب » غـروب الشبـاب :

يـا حبيبي أنا من في الحب ابليت الشبابـا
وشربت الكـاس ملتاعـا وارديت العذابـا
وبثثت الليـل احلامي واشواقي فشابا (33) .

كـل قصائـد الحـب عنـد عبد المجيـد بن جـدو مـاضوية تغذي أحلامه بالذكريات الكئيبة . واقتناعا منه بأن الاوهام لا طائل من ورائها وبأن ما فات مات يقرر أن ينسى :

سـوف انسى ، سوف لا اذكر من حبك شيـا
لم يكن حبي سوى وهـم طواه الدهـر طيـا
سـوف انسى أنني أحرقت اجفاني بسهدك
وتمثلـت وجودي لـم يعد شيئا ببعدك (34)

اى نسيان هذا الذي يلتف بـه الحنين ؟ اى نسيان هذا الـذي يثبت في الذاكرة كل الاطياف والتذكارات التي يرغب المشاعر في محوها ؟ هذا الحب الحزين بقية من بقايا الرومانسية التي طال احتضارها رغم ظهور نوع من الغزل العاري الحسي كهذا الذي يبدع فيه جعفر ماجد في قصيدة « مراهق » مثلا :

تجمعـت اعيننـا بصدرهـا — وانحـدرت تجـول فـي نهديهـا
وعبـرت فللعبيـر رقصـة — كرقصة القلوب فـي يديهـا
الثوب ، يـا للثـوب في انقباضه — كـأنـه ذراع عاشـق مولـه
يضمـه ، يشمـه ، يضغطـه — يا للحرير مـن عاشق مدلـه (35)

---

(33) الفكـر 1963 1963 ، 3 ، ص 15 .
(34) الفكـر 1964 ، 2 ، ص 27 .
(35) الفكـر 1961 ، ص ، 60 .

أما نور الدين صمود فانه يشحن قصائد عشقه رقة ولطفا ونغما كما يتبين في قصيدته « أحبك » التي يختلط فيها الغرام بجمال الطبيعة وعمل الأرض :

احبك أقسم بالنرجس وبالسحر في الأعين النعس
وبالكرم يلهث شوقا الى ثغور الاباريق والأكؤس
وبالموج موج نضار الزروع يوشي البيادر بالسندس
بشوق الملايين في ارضها لحصولها الانفس الأنفس (36)

لكن نور الدين صمود ينقاد آخر الأمر الى اغراء الجسم ، في شيء من الاستحياء ، بل انه يعطي لقصيدته الغزلية «حبيبتي زنجية» بعدا سياسيا غير مباشر حتى لكأنه يتغزل بأفريقيا كلها :

حبيبتي زنجية ــ سمراء افريقية
من قارة النغم ــ ومن قرارة الألم
تمد للالاه كفا ــ إن نفرت أصابع الشيطان دفا
وتنثني كحية ــ لينة قوية
... في عريها شمم ــ وفي ابتسامها كرم (37) .

هذا هو إذن الجزء الأول من جولتنا السريعة في حياض روضة الفكر الشعرية ومن خلاله يتضح أولا أن الشعراء التونسيين كانوا مستمعين الى أصوات الظرف التاريخي الذي مر بالوطن فعبروا عن كل ما كان يختلج بصدر الامة من آمال وآلام ومن احساس بالكون والقيم ثم ان هؤلاء الشعراء في معظمهم يمثلون مرحلة النضج الابداعي على الحدود الفاصلة بين ليل الاستعمار وفجر الحرية وقد أوصلوا التجربة الشعرية الكلاسيكية والرومانسية التي ازدهرت في فترة ما بين الحربين الى قمة عطائها كما أنهم بممارستهم للشعر الحر قد فتحوا آفاق الحداثة والمعاصرة في وجه الشعراء الذين جاؤوا من بعدهم ونشأوا وشبوا تحت ظلال الفكر الوارفة .

ــ يتبع ــ
عبد العزيز قاسم

---

(36) الفكر 1962 ، 3 ، ص 4 .
(37) الفكر 1962 ، 6 ، ص 79 .

شمس المعرفة ..

شعر : يوسف رزوقة

الصوْت عرْشي والصَّدَى عَسَسِي   فاسأل « قُصُورَ السّافِ » عن أسُسِي
مازلتُ طِفلا أمتَطِي فرَسَا   فتعُودُ بِي نحوَ الصِّبَا فَرَسِي
الشَّوْقُ .. هلْ ينسى سلاَسِلَهُ ؟   وَاللَّيلُ .. هلْ يَنسى سنى القَبسِ ؟
وَالوقْتُ وَحْشٌ والمَلاَذُ لَظى   هلْ أختَفِي في كهْفِ مُفترسِ ؟
لمْ يبقَ إلاّ اللّفظُ مُلْتَجَأ   حَبْثُ الرّؤَى والمرْتَعُ القُدُسِي ..
إِنِّي علَى سَفَرٍ .. وَتُونِسُ لِي   مُسْتَوْدَعُ الدّنْيا وَأنْدَلُسِي
سَتَظَلّ للشُّعَرَاءِ نَخوَتُهُم   رُغْمَ ازْدِهَارِ الغمْطِ وَالفَلَسِ
وَيَظَلّ لي .. مَالَيْسَ لِي : حلُمًا   وَأظَلّ مَحْمُولاً عَلَى هَوَسِ
أُصْغِي إلَى هَذَرِ الأُلَى خرَفُوا   فَاسْتَعْبَدَتْهُمْ عَادَةُ الهَلَسِ
مَا عَادَ دِيكُ الفَجْرِ يُوقِظُهُمْ   صَدِىءَ الزّمَانُ على فَمِ الجَرَسِ
وَإذَا أتى زَمَنُ الكَلاَمِ مَضَوْا   وَأصَابَهُمْ خَرَسٌ عَلَى خرَسِ
فَذَهبْتُ في الكَلِمَاتِ مُشْتَعِلا   حَتّى تدَاعَى حَائِطُ الغَلَسِ
أمْشِي بِلاَ حَرَسٍ .. فَلِي نُقَطٌ   وَفَوَاصِلٌ هِيَ صَفْوَةُ الحَرَسِ
وَمَعَ اخْضِرَارِ « الفِكر » كانَ غدٌ   فَنَجَوْتُ منْ مَوْتٍ وَمِنْ دَهَسِ
وَوَجَدْتُ وَجْهِي .. كيفَ أنحتُهُ ؟   وَعلَى المشارِفِ .. عَادَ لِي نَفَسِي
وَعَرَفْتُ حَتّى لمْ يَعُدْ قَبَسٌ   وَبَدَا رَبِيعٌ .. فانْجلَى فَرَسِي

... عَنْ إخوَةٍ قالُوا وَمَا فعَلُوا   أحْكِي وأحْكِي أغْرَبَ القِصَصِ
يتَآمرُونَ .. وَأمُّهُمْ قَعَدَتْ   قَسْرًا تُعانِي رَجَّةَ الغُصَصِ
دَاسُوا السَّمَاءَ وَهَشَّمُوا قَمَرًا   وَأتَوْا علَى الأزْهَارِ في الأصصِ
زَجُّوا بِتُونِسَ في اللَّظَى عَبَثًا   فتَخَبَّطَ العُصْفُورُ في القَفَصِ
قَدْ أضْمَرُوا لليَاسمِينِ أذى   بِئْسَ الَّذِي يَعْلُو مَعَ الفُرَصِ !
لَنْ يُفْلِحُوا مَهْمَا أتَوْا عَجَبًا   فَوُجُوهُهُمْ بَرَصٌ بِلاَ بَرَصِ
بِالحَرْفِ نَبْنِي نَحْنُ صَوْمَعَةً   وَلَهُمْ دَمٌ وحِجَارَةٌ وَعِصِي
نَصَبُوا وَجَرّوا .. لَيْتَهُمْ رَفَعُوا   فتذمرت صاد من الصَّص ص

يوسف رزوقه

تونس الحب .. تونس الياسمين

هذا عنوان موحد لقصائد عديدة ذات موضوع مشترك كتب فيه عدد من الشعراء الشبان منهم : سمير الحيارى ـ عبد الرؤوف بوفتح ـ هشام المحمدى ـ الحبيب الهمامى ـ وغيرهم ...

ننشر هذه القصائد فى الاعداد القادمة . كما كنا نشرنا فى عدد شهر جويلية 1985 أربع قصائد تحت ذلك العنوان الموحد للشعراء : الصادق شرف ، يوسف رزوقه ، عبد الله مالك القاسمى ، البشير المشرقى .

«الفكر» والقضية

بقلم : د . عبد السلام المسدي

ان المتتبع لمسيرة مجلة «الفكر» على مدى عقودها الثلاثة التى قطعتها يلاحظ أنها قد بلورت جملة من الثوابت وتعاملت فى نفس الوقت مع جملة من المتغيرات ، وبتعاقب السنين ترسخت الاصول المبدئية التى رسمت معالم المجلة ، وتفاعلت الفروع المتغيرات متلائمة مع ما يجد من تيارات واجتهادات حتى استقامت المجلة كالمدرسة الفكرية تحتضن وتهذب ثم تترك المنافسة لمنازع الرواج فى الخلق والابداع حتى يحسم الامر قانون الاستصفاء الطبيعى فلا يكون البقاء الا للاصلح .

ولئن كان العزم على اصدار المجلة هو نفسه اختيارا وكان اصدارها فعلا فى الفترة التى صدرت فيها ـ أى أكتوبر 1955 ـ والبلاد فى منعرج بين عتبتين تاريخيتين هو نفسه اختيارا آخر فان الذى مثل اختيارا متميزا ندركه اليوم بفعل المسافة الزمنية الفاصلة انما هو الاسم الذى اختير لهذه المجلة فاطلق عليها . فما من شىء فى تلك الحقبة بكل مفاعلاتها التاريخية والثقافية والنفسية يهيىء هذا المصطلح ليفوز بالاختيار ، بل كل شىء عندئذ يحض على الاتجاه صوب الفاظ مشحونة بالعواطف الشعورية أو الاحاسيس الوجدانية فان لم يكن ذلك فصوب سجل الالفاظ الحالمة بالقيم الروحية والمعايير الاخلاقية ، أما أن يلقب المولود عندئذ بلقب «الفكر» فذلك فى حد ذاته ابتداع كالنشاز وسط نفوس تتقد حماسا ومهج تتوثب انفعالا .

ثم ان مجلة تعرف أن حظها الاوفر من مادة الاقلام سيكون ابداعا من الادب وفنونه ثم تتسمى بتسمية الفكر فذلك موقف من الادب وموقف من الفكر

بل هو موقف من علاقة هذا بذاك : فلكأن المجلة قد اختطت لنفسها ميثاقا آلت فيه على نفسها أن تخدم كل شيء من خلال منظار العقل بما في ذلك الادب ذاته مما يجعل الفن عامة ــ وفن القول على الخصوص ــ مادة للبحث بواسطة الفكر وفي ذلك تعلق بمقاييس العقل اذ كان ممكنا أن يقلب سلم العلاقة فتعطى الغلبة للوجدان على العقل ويكون المرام أن ينظر في قضايا الفكر بمنظار الفن ويغدو الادب عندئذ قيما على شؤون الانسان وقضاياه ، وما كان ذلك ليكون بدعة لو حصل ولكن نهج الاختيار هو الذى جعل الفكر في جوهره وصيا على الانسان ليتحرر هو ذاته ثم يحرر الانسان من كل وصاية .

هكذا مثلت المواقف الفكرية جملة الثوابت التى أشرنا اليها آنفا بينما مثلت المواقف الادبية جملة المتغيرات ، وفي مطلع قيم الفكر حرية رجل الفكر بل الحرية مطلقا واذا كانت الحرية قيمة مطلقة فاجراؤها على نسيج الواقع يحولها بلا منازع الى الديمقراطية .

ألم يكتب صاحب «الفكر» منذ عددها الثالث : «نحن في هذه المجلة من انصار الحرية · ولسنا نريد حصرها في ميدان دون آخر أو قصرها على طائفة دون طائفة · الحرية كل متماسك الاطراف ، اذا أصابها الضيم في ميدان أو شخص أو فريق فانها تكون حينذاك مهددة في وجودها وجوهرها وأسسها ·

لذلك واجب علينا في هذه البلاد أن نخرج بالحرية من حيز الكلام الى طور الفعل ، ولا بد أن نضمن لجميع المواطنين حق التمتع بالحرية وحقوق الانسان (···)

وليس يحفظ الحرية ويقيم النظام غير الديمقراطية (···)

فان الديمقراطية تعلم «وتلقين ، ومن حق هذه الامة ــ بعد طول الحرمان ــ أن تباشر امكانياتها ومقومات سيادتها في ميدان التمثيل الديمقراطي » .

ثم ثنى في العدد الموالي بالقول : «لا نزال في هذه المجلة ننادي بحرية الافراد والجماعات لانها ــ في رأينا ــ من أهم مقومات «الانسان» الذي نحترمه فوق كل شيء ·

وللحرية جانبان هما كصفحتي ورقة بيضاء لا سبيل الى الفصل بينهما ، وما من شعب أو فرد حاول ذلك الا طمس معالم الحرية وشوه صورتها ومسخ معناها ٠

الحرية حق مقدس وواجب أكيد : مظهران لماهية واحدة وجوهر واحد اذا فقد أحدهما أو اختل التوازن بينهما انقلبت الحرية فوضى أو آلت الى استبداد وفي كلتا الحالتين هزيمة «الانسان» ٠٠٠

فاذا كان الايمان بالفكر وحرمته قد كرس قدسيته فى الحرية فان مظهر الانعتاق الاول هو أن تتحرر أداة الفكر ذاتها وهى اللغة ، وهنا تكمن القضية التى كانت فى مجلة «الفكر» من الثوابت الاول بل كانت أم الثوابت جميعا ألا وهى قضية اللغة العربية ٠

والناظر اليوم فى ما احتضنته المجلة من أبحاث ودراسات حول اللغة ليدرك بحق أن اتخاذ أداة التفكير قضية فى ذاتها قد جسم اختيارا مبدئيا مداره أن الفكر مشلول بغير أداته وأن تأصيله يجب أن يمر بتأصيل أداته ٠ وهذا ما يفسر التزام مجلة الفكر بابتعاث كل القيم ــ الادبية والاخلاقية والروحية ــ من صميم اللغة العربية سواء بالرجوع الى تاريخها أو بتأكيد ارتباطها الجدلى مع الواقع الحضارى ٠

فمن المعلوم أن الاستعمار السياسى قد كان حافزا دفع الشعوب العربية الى ان يعوا واقعهم التاريخى وينتبهوا الى وضعهم الحضارى بالمقارنة بينه وبين ماضيهم من جهة ، وبينه وبين واقع الشعوب الغربية من جهة أخرى ٠ فظهرت بذلك نهضة انبنت أساسا على حركة تجديد الوعى الحضارى الذى تلاه وعى لغوى فكان بين الظاهرتين اقتراب فى الغايات وأحيانا تطابق فى المنهج ، ويدل على ذلك اتخاذ اللغة معينا يستقى منه الدارسون من القيم الايجابية ما يدعم وعيهم الحضارى عموما ٠

والذى يقرب بين الظاهرتين ــ الدينية واللغوية ــ هو أن الذين اعتنوا بمشكل العربية فى مجلة «الفكر» كثيرا ما رجعوا الى معطياتها التاريخية بمجرد التنبيه الى ما تصطدم به اليوم من أزمات التطور ، معتبرين أن الرجوع الى طبيعة اللغة وخصائص تطورها التاريخى أمر يكاد يكون حتميا قبل التفكير فى بسط وسائل الاصلاح اللغوى ، لذلك نرى أن معالجة قضية اللغة ــ فيما

نحن بصدده ـ انما تقوم على نزعة «سلفية»، ولعل قيمتها تكمن فى أنها استقصاء للدوافع العميقة التى أدت الى قصور اللغة العربية فى العصر الحديث .

ولقد انبنت هذه النزعة السلفية على استجلاء بعض ما امتازت به اللغة العربية فى تطورها التاريخى ثم على تحليل ما أتى به الحدث القرآنى من تغيير جوهرى فى صلب اللغة العربية ، وهو ما سيحدد لنا موقف العرب من لغتهم وقيمة اللفظ فى حضارتهم .

ولكننا اذا ما ذكرنا ما للازمة اللغوية فى العصر الحديث من ارتباط وثيق بالواقع الحضارى ، أفلا يجدر اذن أن نتساءل عن مدى أهمية اللغة فى الكشف عن خصائص الحضارة العربية ؟

ان اللغة أحد العناصر الثلاثة التى كونت المثل الاعلى فى تاريخ العرب المسلمين وأول هذه العناصر هو الرسالة المحمدية وهى رسالة انسانية ، وثانيها اعتماد الحضارة الاسلامية على جوهر الانسان الخالص وهو الفكر ، وثالثها «ان اللغة العربية هى لغة القرآن ، وان هذه اللغة قد سمت من مستواها الانسانى الابتدائى الى مستوى العالم الربانى» (1) فلا مناص ـ لمن رام استجلاء تاريخ الحضارة العربية ـ من تتبع خصائص اللغة فى تطورها التاريخى ، ويؤكد بعضهم أن أهمية اللغة فى فهم العبقرية الاسلامية كأهمية الفقه اذ هما «البابان الرئيسيان لتفهم العبقرية العربية فى كيانها الذاتى وفى تكوينها التاريخى» (2) .

واذا بحث الدارس عن الدوافع التى تعلل هذه الظاهرة فى تاريخ العرب انتهى الى أنها ثلاثة :

أولها أن اللغة العربية عنصر اجتماعى يكاد يكون شاملا ، تتجاوز فى رسالتها التعبير والابلاغ وكل ما هو رمز اصطلاحى تواضعت عليه مجموعة بشرية ما الى التأثير الفعلى كالتوجيه والفرض وتقديم الانماط التى يذعن اليها الافراد والجماعات .

---

(1) مج 5 ص 865 .
(2) مج 5 ص 410 .

وثانيها أن اللغة هي عنصر الثقافة العربية ، فبينما تتخذ الامم وسائل كثيرة تعبر بها عن ثقافتها تكون اللغة احداها ، نرى العرب قد كادوا يقتصرون على اللغة في تعبيرهم عن ثقافتهم ويشهد بعض المستشرقين أن الثقافة العربية قد خاضت «معركة العصور وخرجت منها ظافرة بفضل اللغة العربية الفصحى، ركنها الركين وحصنها الحصين» (3) .

وثالثها أن اللغة رمز الذاتية العربية وهو ما يفسر قيام النهضة الحديثة في العالم العربي على العنصر اللغوي مما جعلها نهضة لغوية قبل كل شيء ، بل لقد تغلب عنصر اللغة في العصر الحديث على بقية عناصر الشخصية العربية .

وقيمة اللغة في ذلك كله أنها «الاداة التي نعبر بها عن قصتنا في التحسس ومشاريعنا في مصارعة الحاضر العنيف واستشراف مستقبل أمثل ... والتي هي فضلا عن ذلك وبسببه الاداة الرابطة بين كيانات وجودنا الواحد واطاره المتبادل التأثير مع محتواه» (4) .

فميزة التاريخ العربي أن عناصر التاريخ والثقافة واللغة قد انصهرت فيه انصهارا تاما جعل أهمية كل عنصر متوقفة على معطيات تفاعله مع العنصرين الباقيين ، وهكذا اكتسبت اللغة قيمة جعلتها «محور الصراع التاريخي للامة العربية في نضالها عن وجودها القومي» (5) فكانت قوة تاريخية محركة .

وأهمية اللغة في الكشف عن معطيات الحضارة العربية بعيدة الخطر فماضي العرب يكتسح حاضرهم اكتساحا نفسيا اجتماعيا ، ولهذه الظاهرة يعزو بعض علماء الاجتماع عجز الانماط الاوربية عن استنفاده «فلزام علينا اذن ان ندرس هذا الماضي لا في حقيقته الاثرية بل في استعداده وقبوله للنضال الحديث كعنصر من عناصر الحاضر» (6) .

لقد جاءت النهضة العربية المعاصرة بعد عصر الركود عندما انتبه العرب الى مشكل الملاءمة والتوفيق بين اللغة العربية والمادة العربية العصرية

---

(3) مج 5 ص 408 .
(4) مج 5 ص 654 .
(5) مج 10 ص 629 ـ 630 .
(6) مج 5 ص 413 .

واثرائها بفضل مدد المصطلحات الجديدة ، ويؤكد بعضهم أن أهم ما اتسمت به هذه المرحلة أن اللغة العربية قد ظلت محافظة فيها على شكلها وروحها ، فلم يمس هذا الحدث جوهر اللغة من حيث المادة التفكيرية ولا قالبها من حيث الجملة والتركيب (7) ٠

ولئن عجز الباحث عن استخلاصٍ بعض الاحكام اللغوية التى تخص تاريخ اللغة العربية فى حقبة ما قبل التدوين فان فترة ما بعد التدوين تبدو ثرية مما يسمح باستخلاص بعض النتائج التاريخية تفيد المؤرخ وعالم الاجتماع كما تفيد كل لغوى تصدى الى قضية اللغة العربية فى العصر الحديث ٠

وأولى تلك النتائج أن تراث العربية قد جمع بين ظاهرتين تميـزانه عن عديد من الحضارات فهو تراث قد أغرق فى أعماق الماضى ولكنه وصلنا مع ذلك صافيا ، وهو ما أكده بعض المستشرقين ممن حاولوا سبر أغوار الحضارة العربية فانتهوا الى أنه تراث «لا يعود الينا خاما قذرا ولا معدنا يحمل الادران كالذى تعود به أبحاث الغربى من زوايا تاريخية» (8) ٠

ومما يستنتجه الناظر أن أبرز ميزات العبقرية العربية يكمن فى عنصرين أساسيين هما الفقه واللغة ، وان سر بقاء هذه العبقرية لا يفسره الا نضجهما منذ حداثتهما وتكاملهما منذ نضجهما وهو ما يجسم الجانب العلمى الوضعى لما يقره الفقهاء ويسمونه الاعجاز (9) ٠

وآخر ما يمدنا به البحث اللغوى التاريخى هو تعليل بقاء اللغة العربية عبر العصور ولا شك أن هذه الظاهرة تعزى الى أن العربية قد ازدوجت رسالتها التاريخية فكانت وظيفتها اجتماعية ودينية فى آن واحد ومرد هذا الازدواج أنها قبل كل شىء لغة النص الذى جاء به الدين الاسلامى ٠

ان أول ما يتبادر الى الدارس هو أن يتساءل عما يربط مشكل اللغة فى العصر الحديث بكتاب الدين الاسلامى وهو القرآن ، ونوعية القضية ان مدار

---

(7) مج 4 ص 575 — 576 ٠

(8) مج 5 ص 413

(9) نفس المصدر ص 411 ٠

المشكل فيها يقوم على مادتين تختلفان فى الجوهر ، اذ اللغة ظاهرة اجتماعية نفسية وهى لذلك بشرية ، أما القرآن فحدث يرتبط بظاهرة دينية سماوية فهو يمثل اذن ظاهرة روحانية . فما عسى أن يكون مدى ارتباط اللغة العربية منذ ان دونت بالنص القرآنى وحدود تفاعل هاتين الظاهرتين ؟

لا شك أن أسرار العقلية العربية ــ لمن رام استكشافها ــ تكمن فى بابين أساسيين هما الفقه الاسلامى : منبع جل العلوم الاسلامية ، واللغة : مفتاح كل المعارف العربية اطلاقا . ولما كان القرآن دستور الشريعة الاسلامية الاول فلا سبيل الى الاستغناء عنه فى فك أسرار العقلية العربية منذ ظهور الاسلام ، فارتباط الظاهرتين جلى منذ الآن .

على أن هذا الارتباط يزداد توثقا اذا ما علمنا أن القرآن فى جوهره يتجاوز حدود المادة الدينية كما يتجاوز فى غايته حدود الضبط التشريعى ، وانما هو نص معجز ، والنص يعنى بادىء ذى بدء التعبير اللغوى ، وقد تحدى العرب فأعجز فصاحتهم وهى فى عز مجدها ، وندرك لذلك «ما لهذا النص من خطر جليل من حيث هو النموذج الاعلى للعربية وادركنا معه أن الاتصال بهذا القرآن ضرورة لا مفر منها لكل من يمارس فن القول فى العربية» (10)

وكما أننا لا نفهم العقلية الاسلامية الا بالرجوع الى القرآن ــ معينها الاول ــ فكذلك «لن نفهم جوهر اللغة العربية وكيانها ان نحن أهملنا أهمية هذا الحدث القرآنى» (11) .

وخلاصة القول : إن القرآن ذو أهمية مزدوجة فى التاريخ الاسلامى فهو مفتاح العقلية العربية وهو مفتاح اللغة العربية أيضا ، ولهذه الاهمية المضعفة دعا بعض الدارسين الى وصل الناشئة به على اختلاف مستوياتهم الدراسية واعطائه المكانة الاولى فى المرحلة الجامعية لمن يتخصصون فى دراسة العربية وادبها معتبرين أنه يحسم عديدا من القضايا اللغوية القائمة ويعين بذلك على حل المشكل اللغوى عامة (12) .

---

(10) مج 10 ص 631 .
(11) مج 5 ص 416 .
(12) مج 10 ص 632 .

ولقد كان للقرآن فى اللغة العربية تأثير بالغ الخطر جوهره أنه طبعهـا بطابع البيان فقضى على آثار اللهجات الاقليمية وثبت أصول القواعد اللغوية، وأهمها التزام الاعراب الذى أصبح سمة اللغة الفصيحة بعد أن كانت اللهجات تتفاوت فى التزامه وأحيانا تتحرر منه ٠

ومن مظاهر تأثير القرآن في اللغة العربية أنه اتخذ لغة خاصة تميزت عن لغة العرب عند نزوله وهى لغة استجابت لغاية القرآن التى تتمثل فى قلب أوضاع اجتماعية سائدة ، مما يقتضى تغيير المفاهيم ، وتغيير مدلول ما يجر حتما تغيير اللفظ الدال عليه ، لذلك فسر بعض المستشرقين غياب كثير من الالفاظ فى النص القرآنى ـ كالمدح والرثاء والندب ـ بالانقلاب الاخـلاقى الذى حاول الوعظ القرآنى أن يحدثه فى نفوس السامعين ، وينطبق ذلك على كل ما يمس أنماط الحياة الاجتماعية مما حكم عليه القرآن بالاعدام حكما ظاهرا أو ضمنيا (13) ٠

ونتج عن هذه الظاهرة أن بعض الكلمات فى القرآن تكتسـب معـانى لا نعرفها فى اللغة العربية وأن لغة القرآن انما هى صورة لتطور العقلية العربية عبر التاريخ أى أن النص القرآنى ـ بنوعية الفاظه ـ يدل على تطور التراكيب الذهنية تطورا ملائما للغاية التى قصد اليها ٠

ومن مظاهر تأثير القرآن فى اللغة العربية ما أدخلـه فى أدبهـا من روح جديدة ، وقد زخر الادب الكلاسيكى بالآيات المنقولة والاشـارات فكـانمـا انصهرت لغة القرآن فى هذا الادب ٠ بل ان بعض الكتاب يعتبر القرآن حدثا أدبيا قائما بذاته أمكنه أن يفتح آفاقا فى سبيل اللغة والادب (14) ٠

تلك ظواهر أبانت لنا تأثير القرآن فى اللغة تأثيرا بنيويا يمس هيكلها اللغوى وأنماطها التعبيرية ، الا أن له فيها تأثيرا آخر ذا قيمـة تـاريخية يتمثل فى ما أسداه لها عبر العصور من فضل جليل ٠ ويكاد الكتاب الذين عنوا بقضية اللغة فى مجلة الفكر يجمعون على ارجاع بقاء العربية الى أنها لغة القرآن ، وهو ما أضفى عليها سمة دينية ٠ وقد كان الحفاظ على القرآن هدفا

---

(13) مج 5 ص 476 ٠
(14) مج 11 ص 882 ٠

أسمى لدى المسلمين فكانوا يقبلون عليه بالحفظ والتبرك ، فسلمت اللغة بفضله من تقلبات الالسن وتباعد البلدان فنجت مما وقعت فيه اللغات الاخرى • ويشهد بعض المستشرقين بأن «لغة القرآن بسحر جمالها وعظمتها تهز المشاعر وتنفذ الى الافئدة وتهذب الارواح وتنقل الفصحى مصونة بجميع فيمها وتحمل الرسالة طيلة القرون المظلمة والمراحل التاريخية الشاقة» (15) •

واذا ذكرنا ما للعنصر اللغوى من تأثير فى بناء العقلية العربية ، وما له من ارتباط بكيانهم الذاتي وشخصيتهم التاريخية علمنا ان فضل القرآن يتجاوز اللغة ذاتها الى الناطقين بها عموما . ولقد صان وحدة العرب بصيانته لغتهم، ووحدة اللسان أقرب سبل الوحدة السياسية ـ خاصة عند العرب ـ ولا منازع أن القرآن قد احتفظ بهذه القيمة فى عصرنا الحاضر رغم تعدد اللهجات واختلاف البيئات الاقليمية لانه بقى مناط الوحدة الذوقية والفكرية والوجدانية كما بقى فى نقاء أصالته وعمق نفوذه وبالغ تأثيره وتفرد مكانته الكتاب المشترك الاكبر الذى تلتقى عنده كل الاقطار التى اتخذت العربية لسانا لها •

ذاك هو اثر القرآن فى اللغة وفضله عليها : تحول بها تحولا تاريخيا من لغة شعرية جمالية الى لغة الوحى المقدس فلم تعد وسيلة تعبير أو ابلاغ فحسب وانما أصبحت طاقة تحمل فى كيانها عناصر التأثير الروحانى ، وما كان ليتسنى لها ذلك لولا موقف العرب منها اذ لا يكاد شأن العرب مع لغتهم يختلف فى شيء عن شأن من سبقهم من الامم : كل قد نظر الى لغته معجبا بها ، مقدسا اياها ، مفاخرا غيره بجلالها • كذا فعل العبرانيون والآراميون والاغريق غير أن عوامل متعددة جعلت العرب يقدسون لغتهم تقديسا فريدا فألهوها أو كادوا يفعلون ، وقد اكتسبت هذه النزعة التقديسية مظاهر متعددة •

فأبرز تلك المظاهر تفضيل العربية اطلاقا على غيرها من اللغات البشرية قديمها وحديثها وقد اعتبر العرب انها فاقت سائر اللغات فى رشاقة ألفاظها ، وحسن بنائها بحيث لا يوجد فيها من الثقل والاعوجاج ما يوجد فى غيرها من اللغات (16) كما اعتبر ابن خلدون أن اللغة العربية أسمى من البربرية «من

---

(15) مج 5 ص 409 •
(16) مج 10 ص 130 •

حيث تأدية المعنى . وحجة فى ذلك ما اتسمت به العربية من فصاحة وايجاز» (17) .

ولم تخل الدراسات الحديثة من هذه النظرة ، فقد أكد بعض الكتاب «ان العربية هى قمة الاداء فى هذه الجزيرة العربية وبالتالى هى مستودع الدلالة الاصيلة لشجرة التعبير اللغوى فى منطقة الشرق الاوسط والشمال الافريقى وكل أرض ينطق أهلها بالعربية» (18) .

ونتج عن هذا التفضيل المطلق قول عديد من أيمة اللغة بأن العربية توقيف من الله بل لقد ذهب أحمد بن فارس الى اعتبار الخط العربى توقيفا من الله ايضا وجرهم كل ذلك الى عدة اعتبارات منها أن آدم كان يعرف العربية وأن لسان أهل الجنة عربى مبين وليس من سبب لما قدمنا سوى ارتباط العنصر اللغوى بالعنصر الدينى .. فالعربية هى قبل كل شيء لغة التنزيل . والتنزيل مقترن بالاعجاز فكان اللحن فيها بمثابة الضلال ، بل ان التنكب عن مبادىء الشريعة قد يعزى عند بعضهم الى ضعف الانسان فى اللغة العربية (19) .

ولعل فيما سبق ما يعلل اعتبار دراسة اللغة عند العرب علما فى ذاته وهو ما أدى الى طغيان الدراسات النحوية والصرفية تتوجها سمة الاهية هى الرغبة من فهم لغة التنزيل وتبوؤ منزلة التفسير .

وآخر ما تبلورت فيه نزعة التقديس اللغوى ظاهرة اعتزاز المجتمع العربى بلغته عبر التاريخ وهو اعتزاز موروث بلغ أحيانا من القوة ما يقارب ظاهرة المركب النفسى . ويتجلى من خلال المقالات التى احتضنتها مجلة الفكر ان لهذا الاعتزاز جانبين :

جانبا عاطفيا وجانبا موضوعيا . فأما الجانب العاطفى فيتمثل فى أن العربية منذ نشأتها قد اصطبغت بطابع العزة لانها كانت اللغة المشتركة بين القبائل

---

(17) مج 4 ص 564 .

(18) مج 15 ص 563 .

(19) جاء فى الخصائص لابن جنى «أن أكثر من ضل من أهل الشريعة عن القصد فيها وحاد عن الطريقة المثلى اليها ، فانما استهواه واستخف حلمه ضعفه فى هذه اللغة الكريمة الشريفة» ج 3 — ص 245 .

توحدت بفضلها اللهجات حتى أصبح استعمالها شرفا ونبلا ، لانها – على حد شهادة بعض المستشرقين «لغة جميلة نبيلة يستعملها الشعراء للتعبير العاطفي جميلة وبـاعثة في النفس احساسـا بالجمـال» (20) وممـا يـدل عـلى أن عوامل تطور اللغة العربية وازدهارها هي عوامل عاطفية أن ظاهرة الافتخار بدراستها قد بلغت قصاها في القرن العشرين – حسب ما انتهى اليه نفس المستشرق اذ يقول : «وفي أصل نهضة العرب الآن تجد العواطف الدائمة الحية التي تربط الاجيال بالاجيال» (21) .

وأما الجانب الموضوعي فيتمثل في المضمون الثقافي الضخم الذي تجمـع عبر العصور الماضية بهذه اللغة ووصلنا صافيا كما يتمثل في شهادة التاريخ بأن هذه اللغة قد تزعمت الثقافة العالمية ولم يكن مـن اللغـات اذ ذاك مـا يضارعها ، وهكذا تطورت عوامل الافتخار فأصحبت موضوعية عقلية تمكن العربي «من ابراز شخصيته أمام لغات الامم الكبرى وتشعره انه يملك لغة حضارية ممتازة» (22) فاستحالت وظيفة اللغة من مجرد البيان الى تـدعيم شخصية الفرد فغدت هكذا ظاهرة اجتماعية نفسية .

تلك اذن بعض مظاهر تقديس اللغة في تاريخ العرب – كما تـوحي بـه المقالات التي عالج فيها أصحابها قضية اللغة ضمن مجلـة «الفكـر» – وهي مظـاهر حـددت لنـا مـوقفهم مـن لغتهـم كمـا جلت لنـا موقفهـم مـن لغـات الامـم الاخـرى ، وبمـوقفهم هـذا جعلـوا للفظ قيمـة لـم يعرفهـا عند غيرهم حتى اصبح للفظ سلطان عليهم ما زالوا يذعنون اليه حتى يومنا هذا . ويفسر بعض الدارسين هذه الظاهرة تفسيرا اجتماعيا نفسيا معتبرا ان العرب فطروا منذ أقدم العصور على الاحساس بالحدث اللغوي فأصبح ذلك عنصرا حيا من عناصر حضارتهم ينطوي عليه تركيب بنيتهم العقلية (23) .

ولقد أبان لنا التاريخ أن علاقة العربي باللفظ علاقة جدلية تعتمد التفاعل الباطني ، فهو يضفي على اللفظ سمة سحرية وللفظ فيه تأثير فعلي يكاد يكون

---

(20) مج 5 ص 416 .
(21) نفس المصدر ص 418 .
(22) نفس المصدر ص 419 .
(23) مج 13 ص 921 .

حسيا ، وهكذا يمتزج ما يصبغه العربي على اللفظ وما يعود به اللفظ عليه فتصبح للكلمة طاقة سحرية يقوى مفعولها كلما أصابت من الانسان مواطن الوقع الشعوري ومواضع التأثير الايجابي ، وما يكسبها هذه الطاقة انما هو كيانها الباطني من وقع أو موسيقى أو درجة تنغيم فاذا تمثلنا هذه الظواهر علمنا «ان دور الكلمة في العربية هو أقدم دور ، كما أنها تعبير عن أقدم وعي مجتمعي ، وهذا هو السر في أن الانسان العربي قد وجد في سحر الكلمة من القوة بحيث انه اعتبر هذا السحر قمة الاعجاز في الاداء والتأثير والتوجيه المجتمعي وفي تاريخ النبوءات ما يكشف عن أهمية وعي العربي لهذا الاعجاز اللغوي وسعيه اليه» (24) ٠

ان الدارسين بانتباههم الى الازمة اللغوية ومظهرها قد حددوا الوجه السلبي في معطيات القضية وانهم برجوعهم الى تاريخ اللغة العربية وخصائصها النوعية قد حددوا وجهها الايجابي على أن الانصهار بين كل المعطيات وما تمخض عنها يمكن الباحث من ضبط تصور الدارسين للمشكل اللغوي ، ولا يتسنى له ذلك الا بعد أن يتجاوز حدود اللغة ، اذ أن جوهر القضية ، كما تؤكده معظم المقالات ، غير كامن فيها باعتبارها ظاهرة مستقلة وانما يكمن المشكل في علاقة اللغة بالواقع الحضاري الذي عليه أهلها ٠

ولقد انتهى البحث في ما نحن بصدده من كتابات الى بيان اتباط اللغة بالواقع الحضاري ارتباطا جدليا ثم الى تحديد اللغة ووظيفتها تحديدا قائما على معطيات العلوم الحديثة وهو ما سيؤدي بجل الكتاب الى تاكيد طاقة اللغة العربية واعادة الثقة بها لاثبات فضلها على العرب في العصر الحديث لا سيما وان الازمة اللغوية تقوم على شعور العربي بقطيعة حضارية بينه وبين ماضيه منجهة وبينه وبين العالم الحديث منجهة أخرى، فكان الشعور بتلك القطيعة حادا لهذا الازدواج الذي تنبني عليه ٠ وهذا الارتباط بين ظاهرتين انسانيتين ظاهرة لغوية وظاهرة حضارية هو الذي سيبلور أكثر فأكثر فيعديد منالمقالات حتى يشمل كل الظواهر الانسانية في المجتمع العربي فيبرز تفاعلها الباطني وتنصهر أزمة اللغة ضمن بقية المعطيات الحضارية مما يجعل الحديث عنها دون ادراجها ضمن الظواهر الاخرى متعذرا ٠

ان أول مبدإ يتحتم اعتماده هو أن اللغة العربية كما وصلتنا هي صورة لبيئتي العرب الطبيعية والاجتماعية ، شأنها في ذلك شأن أدبهم ، والدليل

---

(24) مج 15 ص 563 ٠

عليه أن الفاظها فى منتهى السعة والدقة اذا كان الموضوع له اللفظ من ضروريات الحياة فى المعيشة البدوية ، بينما الفاظها قليلة تنحو منحى الشمول فيما ليس كذلك (25) • وهذه النظرة تؤيدها البحوث اللغوية المعاصرة ، وقد أكد الدارسون ارتباط اللغة بالمجتمع والتاريخ مما ينتج عنه ظهور بعض الكلمات فى صلب اللغة أو تطور فى معانى بعضها الآخر فتدل اذن على «شكل اجتماعى واقتصادى وذوقى جديد» (26) •

فللغة اذن وثيق الارتباط بمضمون الحضارة وقد اتفق الذين عنوا بقضية اللغة فى مجلة «الفكر» على تفاعل ظاهرة اللغة بالواقع الحضارى ، وينتهى البحث بالدارس الى أن هذا الواقع يقوم على أمرين أساسيين هما ما يفرزه الفكر من ثقافة ثم ما يعيشه الناس من ظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية وهو ما يحدد حالة الاجتماع الانسانى فى صلب الجماعات البشرية وقد تأكدت ضرورة ضبط الظواهر اللغوية بالظواهر النفسية والاجتماعية (27) •

وهكذا يرتبط مشكل اللغة بوضع المجتمع أولا ووضع ثقافته ثانيا • ويؤكد بعضهم أن الدراسة اللغوية التى تغفل شأن هذا التخاصر بين اللغة والفكر والمجتمع دراسة أقرب الى اللغو منها الى اللغة (28) على أن بعض المستشرقين يرى أن اللغة والثقافة ظاهرتان يكاد انصهارهما يكون تاما لان «الثقافة لا تقوم بدون لغة ولكن لا وجود كذلك لثقافة دون محتوى» (29) •

كما يؤكد كتاب كثيرون أهمية اعتبار هذه العلاقة الجدلية بين واقع اللغة وواقع أهلها بل منهم من يرى أن اهمالها يزيد اللغة جمودا وتحجرا وهو ما وقع فيه رواد النهضة العربية فانتهوا الى ظاهرة شاذة منشؤها التناقض بين الحياة والسلوك «وكل فصل بين ميدان انسانى وآخر بله الفصل بين الثقافة واداتها ليس فقط اصطناعيا بل ومموقا دون الوصول الى نهضة حقيقية أيا كانت» (30) •

---

(25) مج 5 ص 860 •
(26) مج 3 ص 287 •
(27) نفس المصدر ص 286 •
(28) مج 9 ص 863 •
(29) مج 8 ص 765 •
(30) مج 5 ، ص 4 ـ 6 ، انظر أيضا : مج 14 ص 305 ـ مج 5 ، ص 869 •

ولئن أجمع الدارسون على ارتباط اللغة بالواقع الحضاري ارتباطا يقوم على التفاعل الباطني فانهم قد اختلفوا في تحديد اتجاه هذا الارتباط . فاللغة عند بعضهم سبب تنتج عنه معطيات الواقع الحضاري من ثقافة وغيرها . أما عند البعض الآخر فالثقافة وواقع الاجتماع الانساني هما «السبب» وعنهما تنتج معطيات القضية اللغوية . وهكذا ظهرت نزعتان فيما نحن بصدد تحليله نزعة اعتبار اللغة أساس انحطاط حضارة العرب في العصر الحاضر ونزعة اعتبار الحضارة العربية أساس انحطاط اللغة العربية في العصر الحديث ، فبعضهم قد اعتبر أن أزمة الخلق الفكري عند العرب انما هي أزمة تفاوت بين هيكل الثقافة وبنية اللغة ، وان حل القضية الثقافية يكمن في تفجير اللغة «بالهدم الصارخ» واعادة بنائها ببعث طاقاتها الكامنة . وهذه النظرة أدت الى اعتبار أن «النهضة الثقافية بتونس - مثلا - ترتكز ، أحببنا أم كرهنا على اللغة العربية» (31) .

وهكذا تعتمد هذه النظرية على اعتبار اللغة سببا والثقافة نتيجة . فهي نزعة ترضخ الثقافة وهي مادة الى اللغة وهي صورة (32) . فحركة هذه النزعة تنازلية ، على أن تفسير هذه النزعة نجده عند بعض من يعتبر أن «الازمة ليست أزمة لغة ولكنها أزمة عقول» وذلك لان «نهضة الثقافة العربية وانتفاضة الفكر العربي لا تتحققان حتما انتشار نتائج الفكر العربي وذلك راجع الى مصاعب عملية تعوق العربية عن الانتشار انتشارا كافيا وتعوقنا عن استعمال العربية استعمالا لا يشوبه الجهد الكبير والتكلف أحيانا» (33) .

وتقابل هذه النزعة ، كما أسلفنا ، نزعة اعتبار انحطاط الحضارة أساس انحطاط اللغة ، وهي في ذلك تعكس معايير تحديد نوعية الارتباط الجدلي بين اللغة والحضارة ، فمنطلقها الواقع التاريخي بمعطياته المادية والثقافية فيكون بذلك سببا من نتائجه الواقع اللغوي وبموجب هذه النظرة ترضخ اللغة وهي صورة الى ما يفرزه الفكر من ثقافة وهو مادة ، فهي اذن نزعة ذات حركة متعالية «فما تجمد اللغة العربية اليوم الا مظهر من مظاهر تخلف أبنائها بل نتيجة لتأخرهم الذهني وكلما ارتقوا في سلم الحضارة واقتربوا

(31) مج 13 ص 524 .
(32) مج 10 ص 67 .
(33) مج 5 ص 426 .

من مستوى الامم المتقدمة راضوا لغتهم وذللوها لتعبر عن أفكارهم بعد ان كانت مقيدة لتفكيرهم» (34) على حد ما يؤكده صاحب المجلة نفسه .

ويؤكد أصحاب هذه النظرة رأيهم أحيانا بالاعتماد على تتبع المعطيات التاريخية . والبحث فى تاريخ ارتباط اللغة العربية بواقع أهلها الحضارى يؤكد أن رفعتها وانحطاطها كانا دوما نتيجتين حتميتين لعزة الحضارة العربية أو انكسارها . «فاللسان العربى قد انهزم أهله فانهزم . لقد جمد أهله فتجمدت أوصاله ، انتصر حينما انتصروا وتغلب على المصاعب حينما تغلبوا على نفوسهم وعلى الاعداء ثم توقفت خطواته حينما توقفت خطواتهم وأمسى قطعة أثرية حينما أمسوا ممسخا من بقايا العصور الخوالى » (35) .

فاذا اعتبرنا حسب معطيات العلم الحديث أن لكل أمة فى لغتها الخاصة وسيلة تعبر بها عن واقعها بنواميسها أدركنا كيف انتهى القائلون بهذه النظرية الى تبرير اللغة العربية واتهام أهلها ، حتى أصبح حصر المشكل فى اللغة العربية اعراضا عن الجوهر واعتناء بالعرض . فهى اذن «بريئة من كل التهم التى ألصقت بها لان الذنب كل الذنب انما هو ذنب الساهرين على شؤونها الفكرية اذ هم تهاونوا بمستقبل الفكر العربى وأغفلوا وسائل علاجه الحقيقى» (36) .

تلكما نزعتان متقابلتان فى اعتبار تفاعل اللغة بالواقع التاريخى وما اختلاف بعض الدارسين فى مدى قدرة الانسان على خلق اللغة التى يريد أو عجزه عن ذلك الا صورة تجسم هاتين النزعتين المتقابلتين . فبعضهم يتخذ من تركز لغة الصحافة والاذاعة دليلا (على أن اللغة «تعمل» اذا ما استعملت و «توجه» اذا ما «وجهت» وتحدث اذا ما وجد «الصانع») (37) بينما يرى البعض الآخر (انه لا «تخلق» لغة بمجرد ارادة أفراد لامر فى أنفسهم . فاللغات تنشأ مع الحياة لا تصنع فى المخابر ، فاللغة التى مهدها المخبر ، المخبر لحدها ومن وضعها فقد وأدها بمجرد وضعه اياها) (38) .

---

(34) مج 14 ص 8 ـ 9 .
(35) مج 10 ص 135 .
(36) مج 5 ص 769 ، انظر أيضا مج 4 ص 36 ، مج 5 ص 430 و 444 .
(37) مج 5 ص 430 .
(38) مج 2 ص 893 .

غير ان السؤال الذى يتحتم على الباحث هو التالى : ما عسى أن يفيدنا الكشف عن ماهية ارتباط الواقع اللغوى بالواقع الحضارى فى تشخيص واقع اللغة العربية فى العصر الحديث ؟

ان أولى تلك النتائج تخص علاقة الظاهرة اللغوية بمعطيات الاجتماع البشرى وتتمثل فى أن مستقبل العربية رهين اصلاح جذرى فى صلب اللغة وتطوير أحوال المجتمع عموما لان تطور اللغة ليس رهين طبيعتها الداخلية ومطاطيتها فقط ، بل انه متوقف على تطوير أحوال البلاد الاقتصادية وبالتالى الاجتماعية السائدة الآن وتغييرها تغييرا يخرج البلاد من التخلف الاقتصادى والاجتماعى وبالتالى من التخلف الثقافى المستفحل (39) .

أما النتيجة الثانية فتخص علاقة اللغة بالثقافة أى علاقتها بما يفرزه الفكر عموما ، وهو ما أدى الى تحديد الثقافة تحديدا يقوم على ربطها باللغة . لذلك اعتبر بعض الكتاب أن «اللغة هى اطار الثقافة والثقافة هى الشاشة العاكسة لنشاط أمتها ... وقصتها عبر الوجود» (40) وما تفيده القضية اللغوية من ذلك هو أن العربية لن تستطيع حل مشاكلها ما لم يخرج العرب من مرحلة الاستعمال الى مرحلة الابتكار أى ما لم يخرجوا بمجتمعهم من حالة الاستهلاك الى حالة الانتاج وذلك فى جميع ميادين الفكر البشرى وحسبما تسمح به ظروف البلاد الموضوعية طبعا . (41) وتعليل ذلك يكمن فى اعتبار ان «العربية قابلة للتطور ، قابلة للتيسير ، قابلة للتعصير ، قابلة للاستعمال فى جميع الميادين ... لكن يجب ان يوجد العالم العربى فيكشف عن لغة العلم ، والفيلسوف العربى فيكشف عن لغة الفلسفة الاصلية والروائى العربى !.. والمفكر العربى» (42) فلعلهم بذلك يجبرون الامم الاخرى على أن تترجم مؤلفاتهم الى لغاتها أو لعلها تضطر الى تلقين أبنائها اللغة العربية .

فاذا كان انتباه الدارسين الى هذه المعطيات الاجتماعية النفسية ناتجا عن تأملهم فى واقعهم التاريخى ومقارنته بواقع الامم المتقدمة ، فان اقبالهم على

(39) مج 5 ص 443 .
(40) مج 5 ص 667 .
(41) مج 5 ص 444 .
(42) مج 5 ص 430 .

معالجة قضية لغتهم لا بد أن يتأثر بمعطيات العلوم المستحدثة ، وأشد تلك العلوم اتصالا بالقضية هو علم اللغة الحديث كما ساد الاصطلاح عليه ردحا من الزمن .

لقد تبينا موقف العرب من لغتهم عبر التاريخ ، كما انتهينا الى ضبط قيمة اللفظ عندهم مبينين كيف اعتبر الكتاب فى معظمهم أن تقديس العرب لغتهم وانبناء حضارتهم على أثر اللفظ فى حياتهم هما اللذان عقدا مشكلة اللغة فى العصر الحديث بل هما اللذان يمثلان جوهر الازمة اللغوية عموما .

ونتيجة ما أسلفنا أن الذين عنوا بالقضية ـ بعد أن اقتنعوا بضرورة الاقبال على انتشال العربية من وضعها الراهن ـ قد أكدوا أن أول عمل يتحتم على المصلحين انما هو اعادة النظر فى تعريف اللغة ومفهومها عند العرب بتحديد وظيفتها قبل التفكير فى اثارة مشاكلها الذاتية . ولا سبيل الى ذلك الا بالنظر فى تعريف ماهية اللغة عند الامم الاخرى . وهكذا اقبل بعض الكتاب يبحثون عن موقف المفكرين الغربيين من هذه الظاهرة عبر التاريخ فانتهوا الى موقفين متميزين هما اعتبار اللغة أداة تعبير أو اعتبارها أداة اتصال ، أما النظرية الاولى فيختص بها المثاليون ، وفى اعتبارهم اللغة وسيلة افصاح تمجيد للفرد وتقديس لكيانه الباطنى ، وأما النظرية الثانية فيختص بها الواقعيون لان أساس الاجتماع الانسانى هو الاتصال «فمحوا بذلك الفرد وأنكروا العبقريات» وكان نتيجة تقابل النظريتين أن قال الاولون : «لا لغة بدون فكـر» وقـال الآخرون : « لا لغة بدون اجتماع » (43) .

فوظيفة اللغة حسب النظرية التعبيرية تتجلى فى تمكيـن الانسـان مـن الافصاح عن عالمه الباطنى ، فهى بذلك آلة يسخرها الفرد لذاته فتبلغ عنه ما يفهمه الفكر من معان ، وتعبر عما يحس به من خلجات النفس فهى منفذ عالم العقل وعالم الوجدان ، وتعرف بأنها «تعبير عن وجدانيات وأفكار بواسطة أصوات ودوال أقرها المجتمع وأخذ بها ، فعناصرها وجدان وعاطفة ، فكر ورأي ، بيئة ومجتمع أو ان شئت مدلولات ودوال » (44) .

ومن الدارسين من سعى الى اثبات هذه النظرية الخاصة بمفهوم اللغة عن طريق البحث التاريخي فوجد فى مقدمة ابن خلدون ما يجنح الى هذه النزعة

---

(43) مج 9 ص 727 .

(44) مج 7 ص 227 .

فى الرأى . اذ أن هذا المؤرخ قد اعتبر اللغة ملكة يكتسبها الانسان كاكتساب الصناعة ولكنها «ملكة فى اللسان للعبارة عن المعانى» وقد انتهى البحث به الى تحديد معنى البلاغة اعتمادا على مبدا اعتبار اللغة تعبيرا عن المعانى المقصودة مع «مراعاة التأليف الذى يطبق الكلام على مقتضى الحال (...) وهذا هو معنى البلاغة» فلم تعد البلاغة - كما اعتبرها القدامى من قبله - نمطا جماليا ترتديه اللغة فى احدى مظاهرها وانما أصبحت هى مناط اللغة ويصبح التعبير بهذا المعيار ابلاغا (45) .

أما رواد النظرية الثانية فيوكلون للغة وظيفة مختلفة اذ تصبح أداة تفاعل بين عناصر بشرية ينتمون الى مجموعة لغوية واحدة ، فليست اذن وسيلة تخدم الفرد فى ذاته وانما هى مطية الافراد فى اتصال بعضهم بالبعض الآخر فجوهر تقابل النظريتين أن الاولى تعتبر غاية الفرد من الكلام هى الافصاح عن عاله الباطنى وما يفصح عنه قد يتجاوزه فيدركه الآخرون ، وأما النظرية الثانية فلا ترى فى الافصاح غاية فى ذاتها لان غاية الكلام هى افهام مشترك: أى تفاهم وهو معنى الاتصال ، فهؤلاء يذيبون الفرد فى الجماعة اذ قيمة الفرد لا تتحدد لديهم الا بارتباطه العضوى بالمجموعة البشرية التى حوله بينما يسخر أولئك اللغة للفرد لان الاجتماع الانسانى انما تحصل قيمه بالتئام قيم الافراد كل على حده .

ويحلل بعضهم جوهر هذه النظرية تحليلا اجتماعيا نفسيا فيقول : «ان الكلمة أسلوب تفاهم يشترك فيه الناس . فكلماتك وكلماتى وكلامك وكلامى يبحث هذا العالم الذى أريد أن أعبر عنه وأريد أن أتجاوزه وأنفلت منه.وفى الحقيقة إنى ألقي وأرمي بالكلام لأتجاوز الحاجز وأتجاوز الصورة ولأصل بينى وبين العالم وهذا ما سماه العلماء اللغويون بالميدان أو الحقل المعنوى اللغوى (46) .

ومن الكتاب من سعى الى التأليف بين النظريتين فعرف اللغة بأنها «تستند الى روح جماعية من حيث الاتصال وتستند الى روح فردية من حيث التعبير» (47) وينتج عن هذا الاعتبار ان اللغة تتجاوز مجرد التعبير ومجرد

(45) مج 4 ص 563 .
(46) مج 8 ص 754 .
(47) مج 9 ص 964 .

الاتصال الى تفاعل مشترك أكثر منهما عمقا يؤدى الى «امتداد فكرين» يجسمهما الاقناع والاقتناع ٠

وتنصهر بذلك النظريتان انصهارا يجعل «اللغة هدف الجماعة لكى تنتمى الى الانسانية وهى هدف الفرد لكى ينتسب لقوم فينتمى الى الانسانية» (48)

ان هذه النظرة الى اللغة تكاد تمتزج بمفهوم اللغة عند العرب القدامى لولا أن سلم القيم ينقلب فيصبح الانسان بمقتضاها متحكما فى اللغة يسخرها اليه فيفجرها تفجيرا يحولها الى طاقة محركة بعد أن كان ـ بموجب نظرة الاقدمين ـ عبدا لسحرها ٠ فاللغة للفكر بهذا الاعتبار ليست وسيلة ابلاغ فقط بل هى فاعل ومحرك ومؤثر (49) ٠

ولعل ما يعلل هذه النظرة الى اللغة هو اعتبار بعض الكتاب أن تفاعل الانسان ضمن مجتمعه مقام أساسا على الدوافع اللغوية الكامنة فيه «فاللغة شرط واجب من شروط الامتزاج الاجتماعى (٠٠٠) ولما كان لهذا الامتزاج دافع تاريخى فاللغة الاصلية هى القادرة وحدها على استمراره والمحافظة على توازنه وانسجامه لان ما نسميه عالم الواقع مقام لا شعوريا على نسيج لغوى خاص بناء» (50) ٠

تلك اذن ضروب اربعة من تحديد مفهوم اللغة عند أصحاب المقالات اللغوية فى مجلة «الفكر» وهى آراء تخص تعريف اللغة تعريفا باطنيا بغية تحديد ماهيتها ٠ ولعلها تصورات تتنوع وفى تنوعها تتكامل رغم تقابلها الجزئى ٠ على أن آراء جل الكتاب تلتقى فى بعض النقط التعريفية التى تخص مباشرة معالجة الازمة اللغوية ٠ ونقط الاتفاق هذه تمثل نتائج تحديد اللغة ووظيفتها فى ضوء معطيات العلم الحديث وأبرزها اعتبار اللغة ظاهرة انسانية متكاملة مع بقية الظواهر الانسانية الاخرى ٠ واعتبار المواقف اللغوية أحد العوامل التى تحدد الانسان المثالى الذى تفترضه الثقافة مهما كانت ٠ فاللغة والدين والوطنية معطيات عضوية طبيعية من عناصر التعريف المبدئى والنهائى وهى عامل انسانى مشترك أساس روح الجماعة المنسقة الموحدة (51) ٠ واعتبارها

---

(48) مج 10 ص 78 ٠
(49) مج 14 ص 309 ٠
(50) مج 14 ص 315 ٠
(51) مج 14 ص 314 ٠

أيضا مؤسسة اجتماعية ذات وظيفة حضارية تاريخية . ونتيجة ذلك أن فض أزمة اللغة العربية رهين اعتبار طبيعة اللغة الداخلية المتمثلة في بنيتها وتعامل أعضائها واعتبار ما بين علم الاجتماع ومعطياته وحلوله وبين مشكل اللغة من تفاعل اذ للاحوال الاجتماعية والسياسية أثر في نشأة اللغات وترعرعها (52). وأخيرا اعتبار اللغة كائنا حيا ينمو أبدا وفي نموه يتطور حسب مقتضيات الاجتماع الانساني وتغيرها ، لذلك اعتبر وقف قضية العربية على مشاكلها الخارجية دون اعتبار تطورها البنائي سببا يزيد القضية تعقيدا ، بل أن القصور الذي آلت اليه اللغة إنما يرجع الى غفلة العرب عن هذه الحقيقة الاساسية وهي أن اللغة « كائن حي ينمو حتما ويتطور ضرورة وظاهرة اجتماعية تخضع للبيئة الاجتماعية والمعطيات الاجتماعية ، وبنية المجتمع» (53)

على هذا الاساس يذهب من عنوا بموضوع اللغة في مجلة الفكر الى أن ما يسند الى العربية من قصور هو أمر مبالغ فيه وانما أعان عليه الاستعمار محاولا القضاء على حيوية العربية بترويج دعاوى ضدها ترميها بالعجز «عن التوغل في أعماق الوجود الانساني» (54) بينما تتمتع هذه اللغة بمؤهلات ايجابية عديدة أهمها خصب ذخيرتها اللغوية ، والقيمة الايجابية في هذه الظاهرة أن كثيرا من المشاكل اللغوية العصرية لا يعزب حله اذا ما رجعنا الى كلمات المعجم العربي القديم لبعثها بعثا يعتمد الاستعمال (55) .

ومن أبرز مؤهلات اللغة العربية ما تمتاز به طبيعتها من مرونة أكدها تاريخها ولا سيما عندما اضطلعت في الماضي بريادة الحركة العلمية وما كانت تؤدي ما أدته لولا طواعيتها للفكر فلم تقصر عن أداء مختلف التصورات الذهنية (56) .

* * *

ان نهضة اللغة العربية اليوم رهينة ثقة أهلها بها ، وتأكيد مثل هذا المبدإ يعيد صهر موضوع اللغة من جديد في صلب معطيات الحضارة وهي هنا موقف

---

(52) مج 5 ص 431 .
(53) مج 5 ص 426 ، مج 6 ص 542 ، مج 5 ص 406 .
(54) مج 10 ص 633 .
(55) مج 5 ص 433 .
(56) مج 10 ص 635 .

مجموعة بشرية ما من لغتها واللغة أخص المجتمعات . ونزعة اعادة الثقة باللغة العربية قد انبنت على معطيات تدعمها ، بعضها تاريخي وبعضها حضاري وبعضها الآخر نفسي اجتماعي.

فأما التاريخي منها فيتمثل فى معجزة اللغة العربية التى استطاعت أن تخرج من معركة العصور ظافرة رغم ما نهشها من عوامل الانحطاط ، وأما العامل الحضارى المعاصر فهو ما اضطلعت به اللغة العربية فعلا من رسالة فى العصر الحديث مكنها من المحافظة على ذاتيتها بتأكيد استقلالها عن اللغات الاخرى وقد اتسعت فعلا الى التفكير الحديث على صعوبته وتشعب مناهجه ، كما وفقت فى نقل المفاهيم العلمية بما خلقته من مصطلحات ملائمة ، ومما لا شك فيه أن اللغة العربية قد حييت بعد انبثاق فجر النهضة الحديثة فأصبحت من جديد لغة العلم والثقافة وأداة التفكير المتجدد .

ويتجسم العامل النفسي الاجتماعى فى محافظة اللغة العربية على سمة الاعتزاز بها فكل لسان مهما كان نوعه ومهما كان أهله لا بد ان يستوعب الواقع الحضارى المعيش لان الفكر البشرى لا يستقيم نسقه إلا وهو مفجر لنفسه من اللغة متافذه ، ولذلك كان تحديا أن يعتنى بالفكر من خلال أداته، وهذه هى الرسالة التى أدتها للفكر مجلة «الفكر» وهى الرسالة التى أدتها له عبر احتضانها لقضية أداته ، وما قضية أداته الا قضيته ، وما قضيته الا القضية الكبرى لمجتمع جذوره فى التاريخ وأطرافه اليوم تنتظر التاريخ .

د. عبد السلام المسدى

الفِكْر

شعر: فاضل خلف
(الكويت)

مجّدتُها في المُلتقى المؤْنِسِ … في مُلتقى الأحبابِ في تونسِ
وتونِسٌ منذُ بزوغِ الهُدى … وهي تنيرُ الدّربَ كالمقبسِ
فَعقبَةٌ في أفقِها كوكَبٌ … ينيرُ رحبَ المغربِ المؤنِسِ
سارَ بنورِ الفتْحِ حتّى غدتْ … راياتُه في ساحلِ الأطلَسِي
مَسجدُهُ في القيروانِ اغتدى … في كُلّ آنٍ مُنيةَ الأنفُسِ
وَتونسٌ تخفِقُ اعلامُها … شامخةً تعلو عَلى الأرؤسِ
تزهو بِثوْبٍ يتجَلّى عُلا … ثوبِ الحضاراتِ الذي تَكتَسِي
جهادُها من أجلِ أمجادِها … قامَ به كُلّ فتى أقْعَسِ
يقودُهُ مُجاهدٌ مُلْهَمٌ … أكرمْ بهِ من قائدٍ أشْوَسِ
لمْ يخشَ في الحَقّ ملاما ولَمْ … يهجَعْ بمسعاهُ ولمْ ينعَسِ
ولَوْ سمعْنا نُصحَهُ مرّةً … لَمَا بكتْ عيْنٌ على المَقْدسِ
خمسونَ عاما بين سُوحِ الوغى … غيرَ رداءِ العِزّ لم يَلْبَسِ
يَخرجُ من نَصْرٍ مَجيدٍ الى … نصْرٍ مَجيدٍ باهرٍ أقدسِ
كِفاحُهُ وهو كِفاحُ الحِجَى … لم يستكِنْ يوما ولمْ ينكِسِ
في منطِقٍ مُبتكرٍ مُقنعٍ … وفي بَيانٍ لَيِّنِ المَلْمَسِ
شَهمٌ كريمٌ في خُصُوماتِهِ … لم يَستلبْ حقا ولم يَبخَسِ

فهوَ معَ الحقّ على مَوعدٍ   وفي سبيلِ الحقّ لم يخرسِ

* * *

مَجّدتُها – وهيَ تحثّ الخُطى –   عَروسةً زُفّتْ إلى مُعْرِسِ
تَسْعَى إلى ذُروةِ إبداعها   في غَفَواتِ اللّيلِ والحِنْدِسِ
حتّى غدَتْ معشوقةً في الحِمى   وزينةَ المكتبِ والمَجلسِ
مرّتْ ثلاثونَ ولمّا تزلْ   تميسُ بينَ الفُلِّ والنّرْجِسِ
عروسةٌ تخطرُ في سَيْرِها   مِنْ كيِّسِ الفكرِ إلى أكيَسِ
عَروسةٌ سابحةٌ في النّدَى   كريمةُ المَنْبَتِ والمَغْرِسِ
وتَمنحُ الحبّ وحُسنَ القِرى   عُشّاقَها من قدّها الأمْيَسِ
تُعيدُ ليلَ الصبّ في المُنتَدى   للحُصْريّ الشاعرِ الأسلسِ
ولابنِ هاني في محاريبِها   ترنيمةُ المنشدِ والمُحْتسي
والعبقريّ الفذّ بلقاسمٍ   مُغرّدٌ في رَوضِها السُّندُسِي
وتَنشرُ الإبداعَ فيهِ الشّذيّ   على تُرابِ العَربِ الأقدَسِ
من تونسَ المجدِ إلى ينبُعٍ   إلى رُبَى مصرَ إلى الأطلَسِ
بِهمّةٍ عليا مزاليّةٍ   لم تشكُ في المَسْرَى ولمْ تيأسِ
فتًى مُعنّى القلبِ في حُبِّها   لغيرِها بالحُبِّ لمْ يَهْمِسِ
لهُ يَراعٌ عربيُّ الهوى   سارَ مَسيرَ الأنجمِ الخُنّسِ
وفِتيةٌ لا يعرفونَ الوَنى   سَاروا على دَربِ الفتى الكيّسِ
فقدّموا الزّادَ لأهلِ النُّهى   رُغْمَ المُعاناةِ ودَرْبٍ قسي

* * *

يا تُونسُ الخضراءُ شوقي إلى   حِماكِ لمْ يهدأْ ولمْ يُدرَسِ
حقّقتُ للغابِ وللمُنْحَنى   وللربيعِ الدّائمِ المُشمِسِ
حَنَنْتُ للشُّطآنِ في شَدوِها   والحُورِ في رَوّادَ أو مَحْرَسِ

حَنَنْتُ للشَّعْبِ الذى خَصَّنِي بالحُبَّ بالاغْلَى وبالأنْفَسِ
وَالبُلْبُلِ الشَّادِى وسِرْبِ القَطَا وَعندليبِ السَّفْحِ والنَّوْرَسِ
والنَّخلِ والرّوضِ وأدواحِهِ وَزَهْرةِ مَرْجِهِ السندسِي

* * *

وَيَا رِفَاقَ الدّربِ شُكرا لَكُمْ ذَكرتُموني فَانتَشتْ أكْؤسِي
وَافَى بَشِيرُ الخيرِ فِي أُنْسِهِ وَهْوَ بِغيْرِ الحُبِّ لمْ يَنْبِسِ
فَفَاضَ شعري بَعدَ غَيبوبَةٍ وَكنتُ قبلَ اليوْمِ كالأخرَسِ
ألُوذُ بالصَمْتِ فَفِي رُحبِهِ تَسْلِيَةٌ للشَّاعِرِ المُفْلِسِ
فَلاَ تلُومُوا شاعِرا هائِمَا إنْ باحَ بالشَّوْقِ إلىَ تُونِسِ

فاضل خلف

دواوين من مكتبة الشعر التونسى

دفتر الحب .. والحلم .... **الحبيب بن فضيلة**
يا حادي الطلق .... **محمد الامين الشريف**
كتابات على حائط الليل .... **عبد الله مالك القاسمى**
برنامج الوردة .... **يوسف رزوقه**
كلمات للحب والوطن ...... **محمد المهدى بن نصيب**
حروف تجر الفعل الماضى .. **الصادق شرف**
احبتى والليل والوطن ...... **البشير المشرقى**
ملصقات على جدار الذاكرة .... **احميده الصولى**

النقد في مجلة "الفكر"

بقلم : الحبيب الشاوش

1) النقد وأغراضه :

اضطلعت مجلة « الفكر » منذ نشأتها والسنوات الاولى من انبعاثها وانطلاقها بمسؤوليتها كاملة في مجال النقد . وأولته أقلام الكتاب والادباء ما يستحقه من عناية وبوأته المكانة اللائقة به من بين مختلف الفنون الادبية الاخرى ونظرا الى غزارة المادة في هذا الباب وتعدد المقالات وتنوعها على مر السنين في ميدان النقد عموما والنقد الادبي خصوصا فسنقتصر في هذه الدراسة على عينات ونماذج تكون بقدر الكفاية بمثابة الامثلة المعبرة البليغة لما طفحت به أعداد « الفكر » . قديمها وحديثها ، من المقالات النقدية ، الناقدة أو المتناولة لموضوع النقد وأغراضه وشتى مجالاته أو مظاهره .

فهذا محمد الحليوي يخصص مقالا بعنوان «اتجاهات الشعر التونسي» (1) للنقد الادبي بوجه عام ويبرز ماله من مكانة عالية ، ودور عام في مجال الخلق والابداع وحركية الانتاج الفكري وتطويره كما وكيفا . ويتناول بالنقد وضع الأدب التونسي في مختلف أطواره وينكب خصوصا على دراسة الشعر في شكله ومضمونه موليا اياه عناية كبيرة . ويبدأ محمد الحليوي مقاله هذا مؤكدا على أن موضوع الشعر التونسي الحديث لم يلاق من العناية والبحث ما هو جدير به رغم ما يوجد لدينا من ثروة ضخمة من الشعر وعشرات من الشعراء المحدثين الذين كتبوا في كل الاغراض منذ نصف قرن ولم يألوا جهدا في التعبير عن مظاهر حياتنا في كل أطوارها منذ عهد الخلافة العثمانية الى عهد الاستقلال . ولكن هذا الشعر وهذه الثروة الضخمة من الكلام المنظوم بقيت مطوية في بطون

(1) انظر مجلة « الفكر » السنة 6 ، العدد 5 — فيفري 1961 .

الصحف والمجلات . لا تظفر بمن يزيح عنها الغبار فينشرها فى كتب ودواوين ، ولا تجد من يرفع عنها الستار ويفحص محتوياتها ويتعقب اتجاهاتها، وينقد ما فيها من غث وسمين .

وبخصوص النقد فى حد ذاته يرى أديبنا أنه « ركن من أركان الأدب ، ووظيفة لازمة لكل حركة أدبية . فلا مناص لكل انتاج أدبى من النقد الذى يقيم الأثر ، ويدل على مواقع القوة أو الضعف وينبه الى سمات الصدق أو الزيف ، ويشجع القرائح الناشئة ويكشف النقاب عن الادعياء والمهرجين » .

ويرى محمد الحليوى أن الادب التونسى فى كل مراحله ، ولا سيما الشعر ، قد بقى انتاجا بلا تقييم . مهملا أو شبه مهمل ، لا يتصدى له أحد من أصحاب الملكات النقادة ليقول فيه كلمة النقد ، وليميز جيده من رديئه حتى ازدحمت سوقه بالادعياء والمرتزقة وكثر فيه اللجب والضوضاء (2) .

ثم انه يتساءل لماذا كان النقد فى أدبنا الحديث منزويا ، ولماذا طغت فنون الادب الاخرى وظل النقد منكمشا على نفسه لا يرفع صوته ولا يدل على مكانه ؟ ولماذا كان الشعراء عندنا يعدون بالعشرات ولكننا لا نجد الناقد بازاء الشاعر يجلو المحاسن وينبه الى العثرات ويحارب الاسفاف والركاكة، ويدل على المذهب الأصيل والطريق السوى؟ ألأننا نكره النقد ونفزع منه ونعتبره عنوان العداوة الشخصية ؟ أم لأن الناقد يرهب الخصومة ويخاف التعرض لعداوة الشعراء فيؤثر السلامة والعافية ويعتصم بصمته ؟ أم لأن الشعر بلغ من هوان أمره علينا الى الدرجة التى لا تثير اهتمام الناقدين وأصحاب الأذواق السليمة ؟

كل هذه الأسئلة جالت بخاطر محمد الحليوى حين رأى ما أسماه بتلك الكثرة الكثيرة من الشعراء وهذه القلة القليلة من النقاد ، مما جعله يصرح قائلا : « إذن فلا مندوحة لنا من استعراض هذا الشعر الكثير النائم فى مطاوى الصحف والمجلات ، ونفض غبار النسيان عنه وتبويبه وتعقب مختلف اتجاهاته ومعرفة مكانه فى ديوان الادب العربى الحديث وتقديم قيمته فى تراثنا الثقافى . وقد أحس أديبنا الناقد بضرورة القيام بهذا العمل منذ أن قرأ كتاب الاستاذ أنيس المقدسى الذى أسماه « الاتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث » واستقصى

(2) نفس المصدر ، ص 2 .

فيه كل الانتاج الأدبي ـ شعرا ونثرا ـ في البلاد العربية والمهاجر . ولكنه أهمل الانتاج المغربي اهمالا ، ولم يتعرض للانتاج التونسي الا تعرضا خفيفا في شخص أبي القاسم الشابي،مع أنه اجتهد في أن يعطي صورة متكاملة عن الادب العربي المعاصر في مختلف أطواره . ولعل للاستاذ المقدسي عذره في ذلك الوقت . فان الشعر التونسي موزع في عشرات المجلات أو الصحف التونسية التي لا تصل الى الشرق ولا تروج فيه . ولولا مجلة « أبولـو » لما كان الشرقيون يعرفون شيئا عن الشابي . ولعل الشرقيين كلهم يحملون نفس الفكرة التي تحملها مجلة « الآداب البيروتية » حيـن وجهت للأستاذ المسعدي هـذا السؤال في جملـة ما سألته عنـه :

« ما هي في رأيكم أسباب تأخر الادب التونسي عن الادب العربي في الاقطار الاخرى ، بصرف النظر عن اضطهاد الاستعمار الفرنسي للفكر التونسي ؟ »

وهنا يقف الاستاذ محمود المسعدي موقف الناقد الحصيف المتبصر، داحضا هذه التهمة ، تهمة التأخر ومدافعا عن كرامة الأدب التونسي . فيقول في بعض جوابه (3) : « كان في الماضي ولا يزال في الحاضر بتونس انتاج فكري ليس في كميته ولا في قيمته قليلا كل القلة ، ولكـن مراكز الاشعـاع ونقط الانطـلاق ومصادر التصدير ـ ان صح هذا التعبير ـ لم تزل منذ القديم واقعة بالشرق ـ فكل كلمة تقال بالشرق تسمع بالمغرب العربي ، وكل حديث يـدوي صداه هناك ، وكل شويعر أو كويتب يظهر بالشرق يصل صيته الى المغرب وقد فخمته الابعاد ودوت به أبواق الصدى المترامي وعلى العكس لا يكاد يصل الى الشرق من المغرب صوت ولا يصدى لديه صدى ، حتى التيارات التجارية جاريـة على ذلك ، فانه لا يكاد يصدر بالشرق ، وبمصر وسوريا ، ولبنان خاصة كتاب إلا استوردته تونس وطالعه الناس . أما اذا صدر بتونس تأليف مـا ، فانه قـل ما يستورده بالشرق مستورد ، أو يسمع به سامع .. واني شخصيا واثق في غير زهو في أدب بلادي ولا جحود جائر لقيمته ، بانـه ليس متأخرا عـن أدب الشرق الى الحد الذي قد يظن .. الخ (4) .

(3) نفس المصدر ، ص 3 .

(4) انظر مجلة الاداب البيروتية عدد 9 (1957) ونقلتـه عنها الفكـر عدد 1 ص 78 (السنة الثالثة) .

وبنفس هذا العدد ونفس المقال وردت مواقف نقدية جريئة تارة ومجحفة طورا لكل من الطاهر قيقة والدكتور الخميري وعامر غديرة تجاه الادب التونسي والثقافة القومية والانتاج الفكري بوجه عام وقد نفسر حدة هذه المواقف بما كان عليه الانتاج الادبي التونسي قديما من ضحالة أو من عدم رواج هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى قد نفسر ذلك أيضا بما كان يحدو هؤلاء النقاد من غيرة على الادب وحرص على وجوب النهوض به وحفز الهمم وايقاظ الوعي في النفوس المسعى في الانتاج ورفع مستواه كما وكيفا .

فمثلا يقول الاستاذ الطاهر قيقة مجيبا عن سؤال وجهته له مجلة « الفكر » .

« لا يمكن أن نتحدث عن وجود ثقافة قومية بتونس :

« الانتاج الادبي ضئيل . عديم القيمة أو يكاد والمسرحيات مجرد هراء يذاع على أمواج الاثير . والاغاني سمجة مائعة لا تساير الواقع القومي مطلقا » (5) .

وفي باب النقد وبشأن نفس المسألة ، يقول الدكتور الخميري مجيبا عن السؤال :

« لماذا لم يقع انجاز ما من شأنه أن يبلور عناصر ثقافتنا الوطنية في صورة قصص ومسرحيات وكتب تاريخية ونظريات فلسفية ؟ »

« .. ان العناصر غير موجودة ، فتونس لها شخصية دينية تكونت في مئات السنين ولها شخصية سياسية بارزة معروفة باتجاهاتها ومواقفها. ولكن ليس لها شخصية ثقافية بارزة يمكن أن تبلور عناصرها ، فاذا ذكرنا الادب فهو باستثناء ما يعد على أصابع اليد الواحدة . تلك المترجمات الضعيفة والمقتبسات الظاهرة والمستترة ، والا فهو ــ عائشة القادرة ــ ومجنون ليلى ــ وكمية ضخمة من شعر المناسبات » .

أما الأستاذ عامر غُديرة ، في مقاله بمجلة « الفكر » فهو يرى بأن المتطلع الى الحياة الثقافية التونسية قد يعتريه شيء من الملل وشيء من الانصراف لاحد له كلما شاهد في عالم الادب ما يشبه التطفيف والغش والاحتكار ، أو ما يشبه الضعف والرداءة وقلة الابتكار . وان هذا الميل قد يصرف جيلا كاملا عن

---

(5) مجلة الفكر عدد 9 ص 100 (السنة الاولى) .

القراءة باللغة العربية ، وقد يلجأ الى المنتوج الفرنسي والى الاساتذة الفرنسيين فيتخذ الشبان من الكتب الأجنبية غذاءهم ومن الأساتذة الغربيين مرشدين وأصدقاء لابتعاد الاساتذة التونسيين في كثير من الاحيان عن دور الارشاد والصداقة ، ولارتقائهم الى عليائهم وانصرافهم الى الأنانية وحب الذات والادعاء الفارغ (6) .

وقد اعتبر تصريح عامر غديرة بمثابة الانذار علق عليه محمد الحليوي بأن له معناه ودلالته ، ولابد أن يقرأ له حسابه المخلصون من قادة الفكر في بلادنا » (7) .

وعقب على ذلك بقوله مستجيبا لتلك المواقف أو مجيبا عنها : « إن واجب الوفاء لأدبنا التونسي يحتم علينا أن نجند أقلامنا ، كل في ناحية اختصاصه لخدمة هذا الأدب وابراز شخصيته وخصائصه ، والبحث عن اتجاهاته حتى يمكن العمل لتقويتها اذ كانت ضعيفة أو اكمالها ان كانت ناقصة أو تقويمها ان كانت منحرفة ، ثم التفكير الجدي في مسألة تيسير النشر . فنبدأ بنشر ما هو مطوى في بطون الصحف والمجلات من شعر ونثر جدير بالجمع والحفظ الى جانب ما ننشر من الادب النائم في قمطرات الادباء والشعراء . وما يستحدث في هذا العهد الذى بقي علينا أن نقيم فيه أمر الأدب كما أقمنا فيه أمر السياسة . ولعله اذا اصبحت لنا مجموعات من الكتب والدواوين المنشورة أمكن لمن ينكر وجود الأدب التونسي والقرائح المنتجة أن يعدل من رأيه . وأمكن لثقافتنا القومية أن تنطلق وتتابع سيرها وتتطور مع تطور حياتنا لتصل الى المستوى الذى يتطلبه المتطلعون .ويهددون من أجل فقدانه باللجوء الى الآداب الأجنبية » (8) .

وقد كانت لكل هذه المواقف وان شئت قلت : لكل هذه الدعوات صداها البعيد في استنهاض الهمم وحفز القرائح على الخلق والابداع فراجعت - بعد الستينات - سوق الادب ببلادنا وعكف المسؤولون على حظوظ الثقافة بهذه الديار على تشجيع حركة الانتاج الادبي والفكرى . نثرا وشعرا ، وعلى طبع

(6) مجلة « الفكر » العدد 6 ، ص 503 (السنة الخامسة) .
(7) مجلة الفكر - العدد 5 (فيفرى 1961) السنة 6 - ص 5 .
(8) نفس المرجع - ص 5 .

ما كان نسيا منسيا من التراث والتعريف بمن كان مجهولا مغمورا مـن سالف الكتاب والشعراء عندنا ولا تزال الجهود تبذل دائبة دؤوبـة فى نفس الاتجاه ، ولئن كان لمجلة « الفكر » فضل ، وحركة النقد فيها قيمة ووزن ولرسالتها النبيلة اشعاع وحظ فهى متجسمة كلها فيما لقيته من صدى لدى هؤلاء المسؤولين على مر السنين وخلال الاعوام القليلة الماضية حيث ازدهرت الحياة الثقافيـة وعم الانتاج الادبى ـ نثرا وشعرا ـ كافة الميادين وشمل شتى الاجناس والانواع واستوعب مختلف الابواب والاغراض ، وها هى « بيت الحكمـة » تبعث بعـد أحقاب مرت على ما ظهر من مثيلاتها فى ربوع المشرق والمغرب العربيين ـ لتدعم النهضة الثقافية وتضمن لها مسيرتها الموفقة نحو ما تصبو اليه من بعيد الآفاق وفسيح المـدى .

ومن أبرز ما نشر فى باب النقد بمجلـة « الفكر » بعض المآخـذ التى كان يأخذها الباحثون على الشعر التونسى الحديث ، من ذلك مثلا أنه « لم يواكب الثورة التونسية ، ولم يشارك فى معركة التحرير مشاركة فعالة كما هو المأمول من كل حركة أدبية تشهد كفاح أمة وتعيش فتـرة نضالها فتساهم فى تغذية الشعور القومى وتوجيه المعركة وجهة قومية وتسجل أطوار الكفاح ـ ومن هذه المآخذ قول الأستاذ عامر غديرة فى العدد الخامس من مجلة الفكر لسنة 1960 .

فقد تساءل : « ماذا فعل الذين تناولوا القلم للكتابة أثنـاء الحرب العالميـة الثانية وبعد انتهائها ؟ وماذا كتبوا عن الشخصية التونسية المكافحة المتحررة؟ وما اهتموا به فى مؤلفاتهم ؟ وكيف حددوا القيم وكيف عالجوا المشاكل ؟ وهل وصفوا العقلية الجديدة أم ما بالهم سكتوا عن الثورة كانها لم تكن !؟ الخ...»

وقد رد عليه بعضهم بقوله : (9)

« ونحن لا نريد أن ننكر على الاستاذ غديرة تساؤله فربما كان هناك ما يبرره وانما نريد أن نجيب على جانب منه ، هو الجانب الخاص بالانتاج الشعرى . ان الشعر التونسى الحديث لم يسكت ازاء الثورة ولم يقصر فى أخـذ قسطه من الكفاح التحريرى وان كان المنتوج الذى شارك بـه هزيلا مـن الناحية الفنية

(9) انظر : محمد الحليوى : « اتجاهات الشعر التونسى » مجلة الفكر السنة 6 ـ العدد 5 ، فيفرى 1961 ـ ص 6 .

ومحصورا في دائرة ضيقة من شعراء الشباب . فأول ما نلاحظه في هذا الشعر أنه لم يسهم فيه من تعودنا أن نسميهم بكبار الشعراء ، ولعل ذلك راجع الى تعودهم التقية في عهد الحماية وميلهم الى المجاملة « والتعايش السلمي » ــ كما يقولون ــ فأغلب هذا الشعر ــ ان لم يكن كله ــ كان لجماعة من شعراء الشباب، ممن نشأوا في صلب المعركة وحملوا في قلوبهم الفتية آلام أمتهم وامالها وعاشوا في صباهم مأساتها الدامية وتغذوا من دمائها ودموعها .

وقد قلنا : ان هذا الشعر كان هزيلا من الناحية الفنية وهذا هو رأينا في هذا الشعر الحر الذي طغى سيله في السنوات الأخيرة ، وأصبح هو القالب المختار لهؤلاء كلما أرادوا التعبير عن مشاعرهم أو تسجيل خواطرهم ، ولا شك أننا لا نستطيع حمل اولائك الشباب الثائرين على القيود أن يتقيدوا بأوزان الخليل وقوافي القصيد العربي الموحدة وأن يرزحوا تحت أعباء البحور المتعددة وتفعيلاتها المتشعبة ، ولكن معظم النقاد لم يقروا هذه الطريقة الجديدة في نظم الشعر ولم يقبلوا منها الا ما كان على جانب وافر من القيمة الفنية التي يقرها الذوق ويقبلها الفن الخالص .

وبقدر ما عنيت مجلة « الفكر » بالنقد على الصعيد القومي التونسي ، فقد عنيت به بوجه أعم على صعيد العالم العربي ، وقد خصصت عددا كاملا ــ وهو العدد 3 من السنة 7 بتاريخ ديسمبر 1961 ــ لدراسة واقع الادب العربي المعاصر وذلك بمناسبة انعقاد مؤتمر لدراسة قضايا الادب العربي المعاصر ، حضره بروما مدير هذه المجلة بين السادس عشر والواحد والعشرين من شهر نوفمبر 1961 ، تحت اشراف معهد الشرق الايطالي ومجلة « تمبو بريزنتي » الايطالية والمنظمة العالمية لحرية الثقافة ، وقد شارك في هذا المؤتمر عدد كبير من الأدباء العرب من مختلف البلاد العربية وبعض من كبار المستشرقين ، الايطاليين منهم على الخصوص ، وقد زخر هذا العدد بالمقالات الدراسية والتحليلية والنقدية ، تناولها المشاركون في هذا الملتقى ، المنتسبون الى شتى التيارات الفكرية والمدارس الأدبية ، وتصدوا لمناقشتها وابداء الرأي فيها بكامل الجدية والعمق .

وسنقتصر على نموذجين مما جاء في هذا العدد في مجال النقد أولهما : ما ورد على لسان محيي الدين محمد في مقاله : « الأدب العربي بين التقليد والتجديد : موقف الأدباء العرب » حيث وقف موقف الناقد الجريء لواقع العالم العربي ووضع الاديب العربي ، فصرح قائلا : (15) .

---

(15) انظر : مجلة « الفكر » ــ السنة 7 ــ العدد 3 ــ ديسمبر 1961 ــ ص 48 .

« لست أعرف وطنا يمكن أن يصبح الماضي بالنسبة اليه مشكلة وحنينا ، أكثر من وطننا العربي .

وكذلك لست أعرف أديبا فاقدا للصلة بينه وبين حاضره أكثر من الأديب العربي الحديث . واذا كان سبب ذلك موقفا حضاريا يعانيه الوطن العربي جميعا أو أزمة خلخلت بين جيل قديم ومهترىء وجيل حديث ينادي بالتغير والتطور .. أو مرضا نفسيا اسمه «فقدان الثقة». اذا كان سبب منها صحيحا، أو كانت كلها صحيحة أو خاطئة . فان نظرة فاحصة للفكر العربي الحديث يمكنها أن تشعر بانفصام محزن بين الحياة التي يعيشها الأديب العربي الشاب . وبين ما يمكن أن نسميه « جذوره الثقافية » وذلك لأن هذه النظرة سوف تكشف للوهلة الأولى أنه ما زال هناك أدب تقليدي يكتبه شعراء قدامى الروح ، ويقرؤه ويتنفسه جيل مازال فاقد الانتماء والاتجاه ، وفي نفس الوقت يجد الملاحظ أن هناك شعرا مكتوبا على الطريقة الاوربية الحديثة ، وبالمناهج نفسها .. » .

وها هو نفس صاحب هذا المقال يتحدث عن النقد عند العرب فيقول : (II)

« .. ان النقد العربي قديم كالشعر ، وهو كالشعر أيضا ، يستمد وجوده من القيم الشكلية التي احتضنها صنيعة ، ومعظم ما كتبه الجرجاني وأبو هلال العسكري والآمدي وابن المعتز وقدامه ، يخضع لتعريفات النقد الشكلي ،بالرغم من اعتراضات الدكتور محمد مندور وبرغم مؤلفه القيم « النقد المنهجي عند العرب » .. وعلى ذلك فقد ظلت هناك مدرسة نقدية كاملة تحاول أن تطور النقد الشكلي ليصبح ذاتيا ، وقد نجحت في ذلك . في نفس الوقت الذى عادت فيه بعض العقليات الممتازة من دراساتها في أوربا ، لتحاول أن تدخل بعض التعديلات ، ثم بمرور الوقت بعض التغييرات الجذرية في حركة النقد الحديث ، وكان على رأس هؤلاء : طه حسين ومندور ولويس عوض ، والعقاد ، والزيات ومحمد عوض محمد » .

ويرى نفس الكاتب أن قد « وقع المحظور – على حد قوله – بأن أصبح الادب بفروعه جميعا ، خاضعا في كثير من جوانبه للحركات الفكرية الاوربية ، يتأثر

(II) نفس المرجع ، ص 54 .

بها وينسج على منوالها ويحقق ، فيما يكتبه ، نفس القيم التى تتحقق فى الكتابات الغربية التى يعجب بها، بل ان الشعر العربى نفسه، وهو ـ باستثناء الزخرفة . الفن الوحيد الذى يملك خلقية عربية أصيلة ، يقع فى المحظور نفسه .. »

والى جانب هذا الموقف النقدى الحاد نجد نفس الشدة والحدة ـ ان لم نقل: الاجحاف ـ فى موقف نقدى آخر لجبرا ابراهيم جبرا تجاه الأدب العربى الحديث، فى مقال له بعنوان : « الرواية والقصة القصيرة والمسرحية ودورها فى المجتمع العربى » صدر بنفس العدد المشار اليه آنفا ، حيث يصرح قائلا : (12)

« لم يعرف العالم العربى يوما مثل هذا العدد الكبير من الكتاب ، وان يكن الكثيرون منهم كتابا لا وجه لهم ، وأغلب الظن أن ما يكتب اليوم من شعر ونثر يزيد عما كان يكتب فى أى فترة من فترات التاريخ العربى . ولئن يكن المستوى فى بعض الحالات رفيعا ، خليقا بأمة ناهضة فانه يكاد يكون معدوما فى معظم الحالات . فبين قطب البلاغة الكلاسيكية التى ما زالت عزيزة على المتمسكين بالاسلوب القديم ، و « قطب الهذر السقيم الذى لا يخلو منه اى عصر ، نجد الجزء الاكبر مما يكتب بالعربية اليوم ، مراهقا تافها ، لا عضل له ولا عصب . ولئن تتواتر أحيانا اسماء الروائيين ، فان المتمعن فى مطولاتهم ليدهش حين يراهم ينتسبون خيالا وهدفا الى كل ما هو سوقى ومبتذل فى مطولات المجلات القصصية المصورة فى الغرب حيث يتقاسم الابطال الفضيلة والرذيلة على السواء ، وينتهجون الطريق الى الاولى عن طريق الثانية .. » .

وقد حظى الادب المغربى بعناية خاصة من قبل الدارسين والنقاد . فهذا الاستاذ الاديب الطاهر قيقة يبدى مجموعة من الخواطر حول القصة الجزائرية (13) التى بدت له « صورة نابضة فاترة ، ملتطمة أحيانا ، لمحنة شعب أرغم على مجابهة جميع مشاكله الحياتية من سياسية واقتصادية واجتماعية فى وقت واحد » ويرى ان القصاص الجزائريين ، وان افتتنوا بالواقع المحلى المحيط بهم ، مثل مولود فرعون ، تجنبوا حصر

---

(12) نفس المرجع ، ص 64 .

(13) أنظر « مجلة الفكر » ـ السنة 13 ـ العدد 7 ـ أفريل 1968 « خواطر حول القصة الجزائرية » ، ص ص 22 ـ 23 .

أدبهم في المحيط الضيق الذي يعيشون فيه بل أبرزوا تأثر مجتمعهم الصغير بما يحدث في المجتمع الجزائري الكبير حتى أصبحت تلك المجتمعات الصغيرة لها أبعاد كسبتها من انعكاس احداث الوطن الكبير عليها ومن توقها الى جمع اشلاء مجتمع أكبر مزقه الاستعمار وما فتىء يؤكد على فوارقه فيضخمها بهتانا وافتراء . ويرى كذلك أنهم اذا تحدثوا عن قضية البطالة في تلمسان أو في منطقة القبائل أو في قسنطينة ربطوها بقضية وجوب القضاء على الاستعمار وتحرير الامة الجزائرية .

ولذا فان التزام القصة الجزائرية لم يكن سطحيا لفظيا ، يتناول ناحية من واقع الامة ولكنه التزام شامل عميق يتوق الى تحول جذري وثورة عارمة مجددة للمجتمع .

وفي تقييمه المجمل للادب الجزائري . يرى الاستاذ الطاهر فيقه ان القصاص الجزائريين عرفوا كيف يجتنبون مزالق الادب المبتذل من ميل الى التقاط النواحي الشاذة أو الغريبة ، في السلوك أو العادات ، أو من إثارة الحمية والغضب بالفات النظر الى المظاهر المفزعة الفظيعة للواقع ، أو من توخي أساليب الشتم والسباب والسخرية اللاذعة للحكم على الواقع ومجابهته (14) .

وحظي الادب التونسي ـ على وجه الخصوص ـ قديمه وحديثه بعناية الباحثين ، واستقطب النقد الادبي اهتمامهم ، ومن أطرف ما جاء في هذا المجال ، استعراض لفن النقد عند الحصري القيرواني ومحاولة نقد هذا النقد (15) وتقييمه وقد جاء ذلك على لسان عبد الجبار الشريف في درسه لصاحب « زهر الآداب وثمر الالباب » اذ يقول متحدثا عن الموازنات التي أوردها الحصري بين الشعراء ما يدعم براعته في فن النقد : أما بالنسبة لآرائه النقدية فنجد له رأيا طريفا في الاسلوب والمعنى يقوم على ان الفن الأدبي موهبة وثقافة . فلا أدب بدون موهبة كما لا أدب بدون ثقافة ، كما لا أدب من غير صناعة يؤازرها طبع قوي . فاذا كان الطبع قويا واللغة

(14) نفس المرجع ، ص ص 22 ـ 23 .
(15) انظر : مجلة « الفكر » ، السنة 19 ـ العدد 1 ـ أكتوبر 1973 « أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني ، صاحب زهر الآداب وثمر الالباب » ـ لعبد الجبار الشريف .

والأسلوب ضعيفين . سقط الأثر الأدبي . وإذا كان جهد الأديب انصرف الى الجانب الشكلي وأهمل المعنى سقط الأثر الأدبي أيضا . والاتجاه القويم عنده هو أن يكون الأدب مظهرا للطبع والصنعة معا . ويرى صاحب المقال أن الحصري ، في طريقة نقده يسير على منهج المتقدمين ، وهو لا يخرج عن هذا المنهج إذ وسيلته تتبع اقتباسات وسرقات الكتاب والشعراء . وهذه الطريقة نستشف منها ثقافة الحصري واطلاعه الواسع حيث نراه يتتبع أصل المعاني الشعرية والنثرية المقتبسة أو المسروقة ، ويقرر أن هناك معاني كثيرة مشتركة لا يمكن أن يتهم أحد فيها بالسرقة أو الاقتباس . ومن أمثلة ذلك ما ذكره عن ابن بسام ، وعلي بن خليل ، فقد قال الأول :

« لا اظلم الليل ولا ادعي ان نجوم الليل ليست تغور »
« ليلي كما شاءت ، فان لم تزر طال وإن زارت فليلي قصير »

إنما أغار ابن بسام على قول علي بن خليل ، فلم يغير الا القافية :

« لا اظلم الليل ولا ادعي
ان نجوم الليل ليست تزول »
« ليلي كما شئت قصير إذا
جادت ، وإن ضنت (16) فليلي طويل »

★ ★ ★

② انواع النقد وخصائصه :

لقد استعرضنا أهم أغراض النقد كما نشرت وانتشرت بمجلة « الفكر » وها نستعرض الآن بعض عينات مما جادت به أقلام روادها من الساهرين على حظوظها بوجه خاص وعلى الثقافة بهذه الربوع بوجه عام وهي مناسبة تنصاع لمثل هذا العرض ـ مناسبة الاحتفال بثلاثينية « الفكر » ، وما تنطوي عليه من تكريم واحتفاء .

---

(16) كتبت « ظننت » والصواب « ضنت » أي بخلت ، ويقابلها « جادت » (نفس المرجع ، ص 67) .

فهذا نوع أول من النقد يتوجه به عبد العزيز قاسم فى دراسة له بعنوان الأدب بين الحقيقة والواقع ، إلى معشر الشعراء ببلادنا فى لهجة تتراوح بين خفة الاريحة من ناحية وحدة اللسان وسحر البيان من ناحية أخرى ، إذ يقــول :

« لقد كثر الشعر وتضخمت عملته في بلادنا (وفي هذا الكلام من التورية ما فيه ...) فالشعراء يشكلون الأغلبية بين محترفي الأدب عندنا ، ويبدو أن هذه الأغلبية فى صعود مستمر ، فهذا « بريد الفكر » وبريد الاذاعة يكادان لا يحملان إلا المحاولات الشعرية ، ومن حقي التصفيق لهذه الظاهرة بوصفي من أنصار الشعر ولكن الغالب على الظن أن هواة الأدب إنما هم أميل إلى الشعر لأنهم يعدونه أسهل من سواه ، ويحس القارىء المطلع من هلهلة قصائدهم أنهم يجهلون معاناة الخلق » .

ويعود عبد العزيز قاسم بعد ما يزيد عن الست سنوات ليتخذ موقفا نقديا لم يقصره هذه المرة على الشعر وإنما شمل القصة والمسرح وامتد الى وضع النقد بالبلاد ، فى لهجة لا تقل حدة عن الأولى ، فيصرح قائلا (18) :

«... استوقفني الشعر الممزق الضائع بين ماض يشده فيحكم وثاقه باسم الأصالة ، وبين حاضر يحمله فيه بعضهم إلى تفجيره باسم التحرر تفجيرا مخبطرا ، واستوقفتني القصة المتخبطة فى تجارب مرتجلة لتقنيات غريبة لا تخلو من مجانية وابهام أو واقعية مسفة ، واستوقفني المسرح المتعثر فى خطى طفولته ، واستوقفني النقد بل استوقفني مكان شاغر ينتظر اليوم الذى يحتضن فيه النقد العلمى الصحيح ، ذلك النقد الذى يكون سمادا ولقاحا لحقول الأدب ، لا عشبا طفيليا يخنق جذوره ، نعم استوقفني النقد وفكرت فى الموضوع طويلا وكنت أود أن أحدثكم عن الأخطار والمضار الكثيرة المنجرة عن تلك الحملات الجوفاء والتعاليق المسمومة التى هى ليست من النقد فى شىء ، اذ لعل النقد فى الأدب التونسى يمثل أشد جوانبه مأسوية .. »

---

(17) « الفكر » ، السنة 11 ، العدد 3 ـ ديسمبر 1965 ، ص 50 وما بعد .
(18) « الفكر » ، السنة 17 ـ العدد 5 ـ فيفرى 1972 ـ ص ص 4 ـ 9 ـ (الادب وقضية التجديد) .

على أن مجلة «الفكر» لم تستأثر بهذا النوع من النقد على ما فيه من صدق وبعد نظر الى جانب ما اكتساه من حدة أحيانا ، بل قد نقع على نقيض ذلك اذ يصطبغ النقد بصبغة الثنـاء والاطراء فـي نطاق الموضوعية ، والواقعية لا محالة ، والـبعد كـل البعد عن المجاملة والمحاباة . فهـذا أحمد خالد « مع ابن خلدون فى منهجه التربوى » (19) لا يخفى اعجابه بصاحب المقدمة فيمـا أبداه من آراء تربوية أصيلة ومناهج تكوينية قويمة . فيقول فى نهاية درسها وتحليلها ، ناقدا صاحبها نقدا ايجابيا فى لهجة المتسائل المثبت :

« وفى تغنى ابن خلدون بالتعليم ما ينعش المربين ويحبب اليهم شدة الصبر على إفهام المريضين ويجعلهم يتقاوون على ما قد يصيبهم من إعيـاء ، تخلفـه صناعة صعبة المراس فيتغنون معه بقوله : « وحسن الملكـات فـي التعليـم والصنائع وسائر الاحوال العادية يزيد الانسان ذكاء فـي عقله واضـاءة فـي فكره بكثرة الملكات الحاصلة للنفس اذ قدمنا ان النفس إنما تنشأ بالادراكات وما يرجع اليهـا من الملكات فيزدادون بذلك كيسا لما يرجع الى النفس مـن الآثار العلمية » .

ويعلق أحمد خالد على ذلك بقوله :

« فخبرنى هل تعرف كلاما أبلغ وانفذ إلى نفس المعلم المقبـل على معانـاة البحث عن أنجع سبل التبليغ من تلك الحقيقة التى تغنى بها ابن خلدون التى وضعت تحت لوائه جامعتنا التونسية فعساها تبعـث الخلدونية مـن جديـد وينجم فى رحابها ألف خلدون » .

أما الاستاذ محمد الطالبى فلم يخف اعجابه وتنويهه بابن خلدون لكن فـي أسلوب مغاير لما رأينا منذ حين ، فـي أسلوب انشائـي هـادىء هدوء طبـع صاحبه ، بسيط بساطـة العالم المتواضع حصافـة الدارس الفضولى (فـي المعنى الايجابى) والباحث المنقب المتتبع للاسرار والمتعمق فـي الاغوار ، فيبدى حكمه فى صاحب المقدمة « ونظريته فى سلطة الدولة » ، قائلا : (20) .

(19) « الفكر » ، السنة 19 – العدد 3 – ديسمبر 1973 (« مع ابن خلدون فـي فىمنهجه التربوى ») ص ص 28 – 35 .

(20) « الفكر » ، السنة 6 ، مارس 1961 – (34 – 38) محمد الطالبى : نظريـة ابن خلدون فى سلطة الدولة .

« لاحظ (ابن خلدون) فاحســن الملاحظة ، وخرج من ملاحظتـه بآراء واقعية ، هـي نتيجة التجربة ، تجربة ما كان ، لا أمر فيها البتـة بما يجـب أن يكون ، وإن كانت للكاتب ككل كائن حـي ، ميول واهواء . فموقفه اذن كان موقفا علميا ، كان موقفا **موضوعيا** ، يكاد يكون عصريا : ففى عصر كان فيه كل شيء يوزن بوزن الدين ، ويفسر تفسيرا ماورائيا ، نرى ابن خلدون لا ينظر للدين ، فيما يخص سلطة الدولة الا كعامل مـن العوامـل العديـدة المتشابكة المتفاوتة تأثيرا فى هذا الصدد . »

ويردف الاستاذ الطالبى قائلا فى نهاية بحثه ، فـي نفس السياق التقييمى لابن خلدون :

« وهكذا يبدو لنا ابن خلدون ، فـي نظرته الى السلطة ، شديد الواقعيـة متجردا ـ بقدر ما يمكن أن يتجرد انسان عاش في بيئته وتكون تكوينه ـ مـن قوالب الآراء الموروثة .فهو يتعرض طبعا لآراء الفقهاء ويعرضها علينا ، وهـو يتعرض لآراء الفلاسفة فى الموضوع ويبسطها غير مخف عدم الارتياح اليها . وفى الحقيقة فانه لم يجد ما يرتاح اليـه أثناء علاجه لهذا الموضـوع سـوى الواقع الذى حاول أن يفهمه ويدرك سر بعض قوانينه . فالفرق كبير والبـون شاسع بينه وبين الماوردى وابن جماعه ، وابن تيميـه ، وأمثالهم ممن بذلوا جهد اليأس كى يخضعوا الواقع الى النظرية التـى صاغهـا الفقهاء مـن دون مراعاة هذا الواقع واستشارته كما يجب .

وبنفس الوضوح والبساطة على السواء يختم صاحـب المقال تعبيره عـن رأيه فى ابن خلدون بقوله :

« ابن خلدون عالم . فموقفه من سلطة الدولة موقف الملاحظة . ثم تاويـل تلك الملاحظة قصد البلوغ الى ادراك بعض السنن التى تمكننا من ان نفهـم فهما أحسن حقيقة هذه السلطـة وجوهرها . وتعيننا علـى تصورهـا تصورا يجعلنا ندرك كنههـا . واذا ما نحن أدركنا ذلـك ، لعله يتـاح لنـا أن نحسن اخضاع هـذه السلطة الـى ما نريده منهـا . اذ الحكم علـى الشيء وحسـن استخدامه فرع عن تصوره تصورا واقعيا » .

واستأثرت الحياة الادبية بتونس عموما بعناية الاستاذ البشير بن سلامـة فتناولهـا بالدرس والنقد وذلك فـي مقال له بعنوان : عودة الـى لغة الشعر

العربي ولئن جاء نقده شديدا متشددا فانما ذلك حبا في أن يكون لتونس مستقبل افضل مما كان في مجال الوعي الثقافي الصحيح والانتاج الادبي الخصب والنقد الموضوعي المتجرد مما يساعد على الخروج من التخلف والانطلاق نحو الخلق والابداع والتحلي بروح الانشاء البناء والبعد عن نزعة التهديم الاعتباطي والمجاني ، من ذلك قوله (21) :

« والواقع هو أننا في تونس نعيش في المجال الادبي فترة غريبة ، ليست هي اللامبالاة وركود الحياة الادبية ، وليست هي الحيوية والنقد البناء والغوص في المشاكل الجوهرية ، وانما هي اليقظة بالكتابة في الصحف والمجلات نقدا وخصاما وسبابا ، ولكن في أمور هامشية ؟ أما في المسائل الهامة التي تقتضي الدراسة والمعرفة والشعور الحاد ، فالقوم يركنون إلى الهمس ، والمناجاة واللوم المقنع ، والاسف المبهم والاشارات العابرة ، والنقد الضعيف المتستر بالوكالة .

ويرد مؤلف هذه الدراسة القيمة على فئة النقاد ـ أو قل المنتقدين ـ الذين تهجموا أو تحاملوا عليه عوض نقده نقدا موضوعيا مجردا ، واخذوه عوض محاورته حوار الادباء النزهاء أو الزملاء الاصفياء فيقول دون أن يذكر منهم أحدا (22) .

« فمن هؤلاء القوم من فهم من آرائي أنني أدعو الى كسر بناء اللغة العربية فانبرى لائما أو ذائدا عن كيان هذه اللغة ، وهو في الحقيقة غاب عنه انه بموقفه هذا يدعو من دون وعي الى تحنيطها ، ومنهم من لامني على سكوتي عنه وهو الذي كتب في الموضوع وأجاد ، ومنهم من اعتبر تفريقي بين اللغة والاسلوب هو مجرد وهم أو هو ضرب من السفسطة .. »

وفي مكان آخر يكتسي النقد عند البشير بن سلامة صبغة أدبية لا تقل حدة أحيانا وطرافة أحيانا أخرى عما عودنا به في مقاله السابق الا ان هذه الحدة وهذه الطرافة نابعتان من قوة ايمان ورسوخ عقيدة بما يراه الصواب

(21) « الفكر » ، لسنة 14 ـ العدد 10 ـ جويلية 1969 ص ص 2 ـ 13 (عودة الى لغة الشعر العربي) .

(22) نفس المرجع ، ص 2 .

عند اصدار حكمه . ونلمس ذلك فى نقده لابى القاسم الشابى من خلال مقاله: « ماذا بعد أربعين سنة » (23) وفـى نقده بالخصوص لبعض آراء أبى القاسـم ومواقفه من الشعر العربى كما عبر عنها فى « الخيال الشعـرى عند العـرب » ولا سيما قولته الشهيرة بل صيحته المدوية . (وهذا نصها) :

« انما الذى يغض منا معشر التونسيين ان نتخذ من هذا الادب (أى الادب العربى) الذى لم يخلق لنا ، غذاء لارواحنا ورحيقـا لقلوبنـا لا نتـرشف غيره » (24) ـ وقد لخص البشير بن سلامه رأيه فى أبى القاسم بقوله تعقيبا على تلك الصيحة :

« ... إن شاعرنا فى الاغراض وفى الصور وفى الخيال فانـه بقي سجينـا فى الاوزان العربية القديمة ، فكلفه ذلك ثمنا باهظا . اذ أنها طمست فى كثير من القصائد العواطـف الجامحة والصور المشرقـة والآراء النيرة المبثوثـة فى كتابه : « الخيال الشعرى عند العرب » وفى رسائله ومذكراته .

والدليل على ذلك أن أحســن قصائده وأقواها شحنـة شعريـة وأكثرهـا انسجاما مع آرائه ومذهبه فى الشعر ، هى التـى لم يلتزم فيها قافيـة واحدة بل تصرف فيها تصرفا مكنه من تخفيف حدة القيود التى أحكمها رواد الشعر العربى فى الجاهلية ... » (25) .

مسـك الختـــام :

أما الاستاذ محمد مزالى ، مدير هـذه المجلة ، فلم يفتأ يشدنا فى مختلف مقالاته ومحاضراته واستجواباته وخاصة افتتاحياته المنشورة « بالفكر » منذ تأسيسهـا الى أفكـاره وخـواطره ومواقفه النقدية البناءة وما تتسـم به من قوة الحجة وسعة العارضة وعمق النظر وما يرنو اليـه دوما مـن بعد المـدى وعلو الأفق . فها هو يتوجه ، فى احدى افتتاحياته الى الشباب فى لغة الاستاذ والمربى والولى والمسؤول والاديـب الناقد على السواء فـى لهجة صادقـة

(23) « الفكـر » ـ السنـة 15 ـ العدد 4 ، جانفـى 1970 ، ص ص 11 ـ 13 .
(24) الخيال الشعرى عند العرب (سنة 1929) ، ص 107 ، الطبعـة الثانيـة ، تونس 1961 .
(25) « الفكر » ، المرجع أعلاه ، ص 12 .

حماسية حارة ، هدفه حب الخير له من خلال دعوته اياه الى وعي مفهوم السعادة والعمل الجاد الدؤوب على تحقيقها في أسمى معانيها وأنبل مقاصدها فيقول (26) . إن القضية تتمثل – اذا تصدينا لواقع شبابنا – في أنهم عندما يطالعون ما ينشر في جرائد الغرب ومجلاته أو هم يشاهدون مسرحياته وأفلامه أو يجوبون أقطاره ، لا يأخذون الا الجانب السلبي ولا ينبهرون الا بنقط الضعف التي يعتبرها مفكرو أوربا أنفسهم سوسة تنخر حضارتهم (نذكر في هذا الصدد رأي « مالرو » مثلا في أزمة الشباب الفرنسي) بينما السعادة التي ينشدونها لا تحصل بالتقليد او مجرد اشباع الرغبات المادية أو الانسياق مع التيارات المتضاربة في سلبية يتفاقم معها الشعور بالعجز والعقم .

ويردف الاستاذ محمد مزالي قائلا ، موضحا وجهة نظره في السعادة الحق كما ينشدها الشباب عموما والمثقفون خصوصا : « إن السعادة التي يطمح اليها الشباب – والمثقفون منهم بالخصوص – لا تكون الا اذا أدركوا أن لحياتهم معنى وهدفا ، وان قيمتهم في تغيير الواقع تغييرا يجعله أقرب ما يكون لتصورهم الحق والخير والعدل والجمال .. وإن الاقدام على عملية « رفض » الواقع واحكام الخطة لتطويره بالعمل وغرغرة الفراغ وترديد الشعارات الجوفاء ، يقتضي شجاعة وعزيمة ومثابرة وروح تضحية وصبرا على الحرمان وقدرة على مغالبة الفتور واليأس .. إنه التحدي المقدس الذي كم يحتاج الشباب الى رجع لوائه مهما كان الموضوع والاختصاص : في السياسة ، في الاخلاق ، في البحث العلمي ، في الفن ، في الرياضة في الادب ، في الطب ... » .

الخاتمة : ولا نرى خاتمة أحسن لهذه الدراسة وبهذه المناسبة السعيدة – مناسبة الاحتفال بمرور ثلاثين عاما على مجلة « الفكر » والاحتفاء بمديرها ومؤسسها – من الخاتمة التي أنهى بها محمد العياري – وهو من خيرة ما انجبته كلية الاداب – مقالا له نشره بمجلة « الفكر » « حول فن الادب في فكر محمد مزالي » . حيث قال : (27) .

« وهكذا يبقى محمد مزالي مفكرا متحررا بالدرجة الاولى ، مؤمنا بان

---

(26) « الفكر » ، السنة 16 – العدد 10 – جويلية 1971 .
(27) مجلة « الفكر » ، السنة 29 – العدد 1 – اكتوبر 1983 ص ص 8 – 16

للادب دورا رئيسيا في حياة المجتمعات الانسانية رافضا القيود مهمـا تكـن أشكالها ومهما تكن الاثواب التـي تتشح بها . وبذلـك يبقـى محمد مزالـى منضويا تحت لواء فلسفي أقرب ما يكون الى الوجودية التي لا تعتـرف بأي سلطان خارجي على سلطان الانسان فـي كل ما يقول ويفعل لعلهـا الفلسفة الفكرية التى رافقته فى الدفاع عن الحرية والديمقراطية لخلـق مناخ سليـم خال من الضغوط بمختلف أشكالها ، حفاظا على صيانة الفكـر وصفاء الفـن وحماية الادب من التقهقر والاسفاف » (28) .

وبفضل قوة الايمان بالانسان وبرسالته الفكريـة والثقافيـة والحضارية كما هى متجسمة فى شخص مؤسس « الفكر » ومديرها ، يمكـن أن نضيف القول : إن فى كل ذلك سـر استمرارية المجلة وتعميرها ثلاثين عامـا وان فى ذلك سبب تواصلها على نفس النسق السنة تلو السنة ، مشعة بمضامينها المتنوعة الثرية ، ومن بينها شتى فصول النقد الادبى والعلمى البناء الـذى بفضله تتأصل الثقافات وتتأمل الامجاد وتبنى الحضارات .

الحبيـب الشـاوش

(28) نفس المرجع ، ص 16 .

السّفينة والرّياح

شعر: عبد الله مالك القابسي

لقد هيأت نفسي للأغاني ... وذابت في فمي أحلى المعاني
قلت ولم أقل إلا غراما ... ففاض تكتمي قبل الأوان
مع الكلمات أمضي ثم أمضي ... أترجم ما أحس .. وما أعاني
ولست سوى فتى قد تاه عشقا ... يفتش عن ينابيع الحنان
إلى أن لاح في الصحراء نبع ... فطرت إليه محموم اللسان
ورحت أعب من ماء مصفى ... فعاد توهجي وصحا كياني
وعرش في مدى الصحراء ظل ... وأزهر في دمي عشب الأماني
وحط الطير محتفلا وغنى ... وطوقني الشذا حتى سباني
لمن أهدي مواويلي وعشقي؟ ... لمن أحكي وهذا الدهر فان ؟
ورغم فنائه الكلمات تبقى ... وتبقى في العلا درر البيان
أرى « فكرا » تسامى رغم قيد ... ورغم الكيد ظل مع الزمان
وها إني أتيت وبي اشتياق ... أبث حبيبتي أغاني التهاني
هي الفرح الملاذ وإن عشقي ... لها فوق التوقع والأماني
أمد لها مدى و بنا رياح ... تطوحنا إلى أقصى الموانى
فطوبى للسفينة إذ تهادت ... بهدي « محمد » في كل آن
وطوبى للذي عانى طويلا ... « بشير » زانها في كل شان
ولا ننسى « أبا و جدان » خلا ... صدوقا ليس يحدوه التواني
وذا رأيي الصريح وليس مدحا ... فمثلي لا يطير مع الدخان
أنا طفل ، وطفلا سوف أبقى ... أغني الحب في شتى المعاني
طويت الأرض من صغري رحيلا ... وتونس لم تزل صدر المكان

براعة استهلال .. وفاتحة نضال

بقلم : محمد العروسي المطوي

كان الوقت صيفا ـ فيما أذكر ـ وكانت العطلة المدرسية ما تزال مغنم استراحة للكثير منا ـ معشر الاساتذة والمربين ـ فيها من المتعة و « الخلاعة » ما يخفف العبء ويهيىء للنشاط ، وكانت عند البعض منا فرصة انجاز لأعمال متبقية أو متواصلة أو فرصة استعداد لأعمال مستجدة . وكنت ـ والحمد لله ـ ضمن تلك القلة التى كتب ـ لها أو عليها ـ أن تلتذ بنوع من الشقاء ، وأن تنشط لنوع من التعب أبى أبو الطيب المتنبى الا التنويه به .

فى ذلك الوقت كنا جمعا من شباب التدريس وشداة الادب والفكر نتطارح الافكار ، وندعو الى عمل . وكانت ردهات المدرسة الخلدونية وبعض النوادى الادبية خير ما ينتهزه أولائك الشداة لاستنهاض الهمم ، والتحريض على الانجاز . والحق أن واحدا منا كان أكثر حماسا وإقداما لخوض المغامرة . وكانت مخايل علو الهمة تبدو فى أعمدة ما كتب ، وعلى منابر ما حاضر ، وعلى مجالس ما تحدث .

وذات يوم ـ لا أذكره بالضبط ، لكنه كان يوما من تلك العطلة على كل حال فيه الشغل المحبوب والتعب الممدوح ـ كنت فى مطابع الشركة التونسية لفنون الرسم الكائنة ـ اذ ذاك فى نهج سيدى البناء . وكنت مشغولا بنشر كتاب مدرسى . وعندما كنت خارجا من المطبعة لمحت من بعيد الاستاذ محمد مزالى يحمل محفظته المعتادة . وما ان اقترب مني حتى حياني مبتسما . وقال لى : لقد شرعنا فى العمل . وقد أتيت بالمواد الاولى لاول عدد من مجلة « الفكر » . وفعلا صدر العدد الاول من مجلة « الفكر » فى شهر أكتوبر 1955 . وكانت افتتاحية ذلك العدد شحنة من العزم والامل ، و « براعة

استهلال » لعهد كان من حسن طالعه تحقيق الخطوات الاولى للوصول بالشعب والانسان فى هذا القطر الى التخلص من كبت الاستغلال ، والى نوال العزة والحرية . ولن يتم ذلك الا اذا أدرك الانسان « المعرفة » معرفة النفس قبل كل شيء . ولهذا قالت : « براعة الاستهلال » فى العدد الاول من مجلة « الفكر » : « .. ان المجتمع التونسى اليوم يجتاز مرحلة دقيقة فى حياته هو أشد الحاجة فيها الى أن يعرف نفسه ، ويعي منزلته ، ويوضح أهدافه ، ويضبط سبلها » (1) .

وتحدد « براعة الاستهلال » رسالة مجلة « الفكر » بأنه : « اذا امكن لهذه المجلة أن تكون ملتقى المثقفين فى هذه البلاد حتى يعالجوا مشاكلهم على ضوء الفكر فانها تكون قد قامت بنصيب متواضع من عمل انشائى أكيد » (1) ولن يتم ذلك ويؤتى مفعوله المرتجى الا اذا تحرر المجتمع من ربقة الاستغلال والعبودية « .. لاننا نعتقد أن الحرية هى أقدس حقوق الفرد وأعظمها قيمة ، وأدلها على كرامة الانسان وحرمته . وهى ضرورة له وللجماعة ضرورة الهواء للرئة » (2) .

ومنذ ذلك العهد انطلقت مجلة « الفكر » — بقيادة مؤسسها — تسد الفراغ ، وتكون المدرسة ، وتحدد معالم الطريق . واذا كان لى شرف أن أكون ضمن أسرة تحرير مجلة « الفكر » منذ صدور عددها الاول ، فان هذه المجلة أدت لى خدمات لا أنساها فى بداية عملى الديبلوماسى بعيد الاستقلال ، سواء بحكم عملى مستشارا ثقافيا وصحافيا بالقاهرة ، أو بحكم اتصالاتى وميولى الفكرية والادبية وأنا سفير فى كل من المملكة العربية السعودية والجمهورية العراقية ، ذلك أن التبشير بالفكر والادب التونسيين فى بلاد المشرق كان محتاجا الى زيادة جهود كبيرة . وكان تبادل التصور والمعلومات بين المغرب والمشرق العربيين غير متكامل وغير متواز . ولهذا كان توزيع مجلة « الفكر » والتحاور حولها خير مساعد لى على التعريف بالادب والفكر التونسيين خاصة فى المرحلة الاولى من ذلك الاتصال والتواصل بين تونس والمشرق العربى . وهو ما كان محل التعليق والاشادة فى الصحافة والمحافل الخاصة .

وواصلت مجلة « الفكر » نضالها دون انقطاع رغم الصعوبات والعقبات التى كانت تعترض الطباعة والنشر فى تلك الايام . وأمكن لهذه المجلة أن

---

(1) مجلة « الفكر » عدد (1) أكتوبر 1955 .
(2) مجلة « الفكر » عدد (2) نوفمبر 1955 .

تصمد وتستمر مما جعلني أكتب عنها بمناسبة مرور ربع قرن على صدورها ـ قائلا : « وقد استطاعت هذه المجلة أن تعطي بوضوح الابعاد السياسية والفكرية والاجتماعية لمن آمنوا باصالة هذا البلد وعروبته ، وآمنوا بضرورة الحفاظ على مقوماته ربطا أمتن للمسلك الحضاري العربي الاسلامي في هذه البلاد . وهو المسلك الذي تصدى لأشد العواصف عنفا ، وأقسى التيارات جرفا ، فلم ينله الوهن أو الترهل ، ولم يصبه التمزق أو التقطع .

ويعرف أولائك « المدركون » مدى الصعوبة التي كانت تلقاها أمثال مجلة « الفكر » من عزوف ومن اعراض ومن منافسات متعددة الجوانب مختلفة الاهداف والمقاصد . ولهذا فان التغلب على تلك السلبيات يعتبر شيئا هاما جدا . الا أنه ينبغي ان يسجل هنا وبكل تأكيد أن شيئا من ذلك لا يحصل لو لم تكن عزيمة صاحب « الفكر » ونضاله وصموده اللبنة الاساس لكل ذلك النجاح . وذلك ما ينبغي أن ينوه به الاستاذ المفكر محمد مزالي الذي جعل مجلة « الفكر » جزءا من وجوده . وذلك سر استمرار مجلة « الفكر » طيلة هذه المدة وفي هذه الرقعة من الوطن العربي بالذات (1) .

واليوم اذ تحتفل مجلة « الفكر » بمرور ثلاثين سنة على انبعاثها دون انقطاع أو تعثر فانما ذلك تنويه آخر . وبرهان جديد على ما يكنه الاستاذ المفكر محمد مزالي للفكر وللادب من تقدير دائم . وما يبذله من جهد متواصل جاعلا من رسالته تلك الرسالة الاقوى والابقى . ولهذا فان أعلى المناصب الادارية والسياسية (وزارة أولى .. أمانة عامة للحزب .. الخ) لم تلهه لحظة عن مجلة « الفكر » ، ولم تبعده قيد أنملة عن محيطها وحركيتها . وذلك مظهر آخر من مظاهر العظمة وقوة الشخصية ، وطاقة الاستيعاب .

واذا كانت التهنئة بوصول مجلة « الفكر » لهذه المرحلة من سنوات الجد والاثمار تشمل الاجيال والعقود من السنين بما فيها مئات ومئات من الكتاب والمحررين ، وآلاف وآلاف من القراء في المشرق والمغرب والشرق والغرب فالمعذرة اذا أنا خصصت التهنئة الحارة الممتازة لمؤسسها الاستاذ محمد مزالي ولصفيه رئيس تحريرها الاستاذ البشير بن سلامه وزير الشؤون الثقافية وعما من هما : طيب عشرة وصدق مودة وصحة عزم وسمو بذل . وكل سنة وكلكم طيبون .

محمد العروسي المطوي

---

(1) مجلة « قصص » عدد (50) أكتوبر 1980 .

من "سورة الإخلاص"

والد .. في كل شهر .. يولد ..!

شعر: الصادق شرف
(أبو وجدان)

01 — تتردّدُ الأخبار .. هل أتردّدُ ؟   إن قلت: لي خبـرٌ به أتفـرّدُ ..
02 — قالوا: وماهو؟ هاته، الأخبارُ إن   راجتْ .. فكمْ بالصدق لا تتقيَّدُ .
03 — خبري انا صدقٌ صُرَاحٌ قلت لا   كذبٌ به يأتي اللسانُ .. ولا اليدُ .
04 — كم صادقٌ فقدَ الكثيرَ لصدقه   لا آسفا عما رأيتُهُ يَفْقِـدُ .
05 — فقدان ما ملكتْ يداه يهونُ إنْ   لم يفتقدْ خبرا يَجلُ .. ويَعبُدْ
06 — قالوا .. أتعبدُه إلاها ! اشتقوا   وثنية في شاعرٍ تتجسَّـدُ .
07 — عبدوا الكواكبَ والنجوم وماسما   في الكون ؛ لا خبرا بدَا يتردّدُ
08 — وفتحتُ ثغري كي أقول، فقاطعوا   صوتي بصوتٍ صَاحَ فيهم : ابعدُوا
09 — فتفرّق الجمعُ الذي قد همّ بي   وتقدمَ العلمُ الهُمامُ المُفْـرَدُ .
10 — فاذا هما علَمَان في علَمٍ ولم   أفْرِقْ سوى أنّ البشيرَ مُحَمَّـدُ
11 — قال البشيرُ : لقد عرفتُ مُحمَّدا   يأتي على غصنَيْنِ لا يتـأوّدُ ؟
12 — الغصنُ ذا أملٌ يَمُدّ لغيره   والغصنُ ذاك به يشُدّ ويَصعَـدُ
13 — قلت: الغصون مع النسيم تميل لي   ومع الرياح لها برأسي أسْنِـدُ
14 — قال : الرياحُ لواقح انداحت على   خبرين : يُقْبِلُ ذا .. وذلكَ يبعدُ
15 — قلت: الذي لم يأت أرْهبُ خطوَه   والأمْنُ في خبـرٍ به اتفـرّدُ
16 — قال : التفرد ليس في خبر مضى   بل في الغد المفتوح إذ له نَصْمُدُ

17 – قلت : الغد المحجوب عنا لم يزل   غيما .. وكيفَ يكذِّبُ الخبرَ الغدُ ؟
18 – خبرٌ أتى حدثا على حدثٍ . وكم   حدثا به ما قبله يتأيَّدُ !
19 – قال : الحداثةُ في البداية مجدُها   لمحمّدٍ .. قلتُ : التواصلُ أمْجَدُ
20 – هذي الثلاثون المجيدة شاهدٌ   وعلى السنينَ العشرِ منها .. أشْهَدُ
21 – مافي الثلاثينَ المجيدةِ واحدٌ   إلا وجاءَ بعشرةٍ يتأكَّدُ
22 – قال : التواصل يفحم الاعداء.لا   حتى شعاعُ الشمس – قلتِ – له عدو
23 – ضحك البشيرُ وقال : تلك عيونهم   إن تبكِ بالزّيفِ التواصُلُ يشْهَدَ
24 – قلت : الدموع إذا تواصل فيضُها   قدْ تطفىءُ اللَّهبَ الذي يتوقَّدُ
25 – لكن دموعُ الفرحة الكبرى لها   كلّ الخدود نضارةٌ وتوَرّدُ
26 – قال : التوردُ ليس متَّحدا بها   يبدو لنا .. سُرْعانَ ما يتبدّدْ
27 – قلت : التوحد ليس بالجسد الذي   يبلى .. بغيرِ الفكرِ هل نتوحَّدُ ؟
28 – والفكرُ ليس مجلة .. هو كائن   حيّ .. بنا عطشٌ له متجدّدُ ..
29 – الفكرُ لا كفؤا له أحد .. ولكن   والدٌ .. في كلّ شهرٍ يُولَدُ ..
30 – متولّدٌ من سورة الإخلاص عن   خبرٍ بشيرٍ مُبتَداهُ محمّدُ .

ابو وجدان

مجموعات شعرية لأبى وجدان الصادق شرف

شواطى، العطش	1978
الحب مع تأجيل التنفيذ	1979
حروف تجر الفعل الماضى	1980
بحجم الحب أكون	1981
وأجهش بالغضب	1982
هروبا من الهروب	1983

مجلّة "الفكر"
في مسيرة النهضة الفكرية التونسيّة

بقلم: د. عيسى الناعوري
(الأردن)

منذ أن أنشأ الاستاذ محمد مزالي مجلة (الفكر) في تونس عام 1955 ، شاء لها أن تكون منارة على طريق النهضة الفكرية التونسية ، وأن تشارك في خلق الوعي الوطني ، الى جانب النهضة الفكرية . والنهضة الفكرية اذا لم يرافقها وعي وطني ، هي نهضة ناقصة ، بل هي نهضة مبتورة الساقين .

كانت تونس يومئذ ما تزال في بواكير عهد الاستقلال ، وما تزال آثار الاستعمار الفرنسي الطويل الصارم مغروسة في حياة تونس ، وحياة الشعب التونسي . وكان لابد للاقلام من أن تخوض المعركة حتى خواتيمها ، فمعارك الحرية لا تنتهي بخروج العسكر المستعمر ، بل تبدأ من هناك معركة البناء والاعمار والتوعية الوطنية . لكي يقطف الشعب ثمار كفاحه ، ويعرف كيف يستفيد من الحرية ومن الاستقلال الوطني .

هنا يأتي واجب الصحافة الوطنية ، وواجب المفكرين وحملة الاقلام . انهم الجنود الذين يحاربون لاجل تثبيت النصر ، واقامة دعائم الحرية الوطنية . وقد كان محمد مزالي واحدا من هؤلاء الجنود المحاربين من أجل تثبيت النصر ، ومن أجل اقامة دعائم الحرية الوطنية ، واشاعة الوعي الوطني في البلد الذي خرج منه الاستعمار حديثا بجيوشه ، ولكنه لم يخرج بثقافته ، وعقابيل استعماره ، وذيول حكمه الطويل ، وببقايا أمله في أن يعيش ويعشش في روح الشعب الذي طرده من أرضه .

وانني أنظر الآن في الكتب الاربعة التي جمع فيها محمد مزالي افتتاحياته لمجلة الفكر ، منذ انشائها ، كما جمع فيها محاضراته ، واذاعاته ومقالاته المنشورة في عدد من الصحف الأخرى . هذه الكتب هي :

من وحي الفكر ـ وجهات نظر ـ مواقف ـ دراسات .

هذه الكتب الاربعة هي كلها مؤلفات لا يربط بينها موضوع واحد ، بل يتألف كل منها من مجموعات مقالات أو محاضرات . فيها مجموعة أفكار وآراء ، تؤلف في مجموعها فكر محمد مزالي الهادف الى خلق الوعي الوطني والثقافي ، لأجل تحويل الكفاح الوطني ، الذى كان يوما ضد الاستعمار الفرنسي ، الى كفاح من أجل نهضة وطنية حقيقية ، تحارب الجهل والخمول والتأخر ، وتتحقق فيها معاني الاستقلال والحرية .

ولأقف وقفة قصيرة عند بعض العناوين العامة التي كتب فيها صاحب (الفكر) من مثل : (سبيلنا ـ الحرية والديمقراطية ـ الحرية الحق ـ نحو مذهب فكرى تونسي ـ الى البكائين على الادب التونسي ـ الى من يظلم الادب التونسي) وغير ذلك من الموضوعات التي يركز فيها صاحب (الفكر) على تونس ، والنهضة الثقافية التونسية .

هذه بعض العناوين التي جاءت تحت عنوان عام هو (قضايا ومواقف) وأغلبها فى الأدب وحده . أما فى التوعية الوطنية ، فهذه أيضا بعض العناوين التى جاءت تحت عنوان عام آخر هو (فى سبيل الوطن) : (تونس فى دروب الديمقراطية ـ تونس تستقل ـ تونس جمهورية ـ التحرر الاقتصادى ـ ثورة متواصلة ـ ثورتنا ـ جبهات ومعركة واحدة ـ نخوتنا بعد الجلاء ـ الجلاء الزراعى ـ الشعر وملحمة الكفاح التونسى) .

وهكذا كانت افتتاحيات (الفكر) التى كتبها محمد مزالى ، موزعة بين خلق النهضة الفكرية ، وخلق الوعى الوطنى معا .

يقول مزالى تحت عنوان « الحرية والديمقراطية » :

« نحن فى هذه المجلة من أنصار الحرية . ولسنا نريد حصرها فى ميدان دون آخر ، أو قصرها على طائفة دون طائفة . الحرية كل متماسك الاطراف ، اذا أصابها ضيم فى ميدان أو شخص ، أو فريق ، فانما تكون حينذاك مهددة فى وجودها وجوهرها وأساسها . لذلك وجب علينا فى هذه البلاد أن نخرج بالحرية من حيز الكلام الى طور الفعل . ولابد انّ نضمن لجميع المواطنين حق التمتع بالحرية وحقوق الانسان » .

وفى حرية الفكر يقول محمد مزالى فى افتتاحيته « انعظمة فى أصالـة الفكر الحـر » :

« نحن نؤمن أن أهم مظهر للحرية ، وأجل صورة لها ، هى حرية الفكر ... انه من الغبن فى ذات البشرية ، ومن الاجرام فى ذات الفكر ، كبت حرية التفكير أو حصر الحقيقة فى فرقة دون فرقة ، أو مذهب دون مذهـب ، أو عصر دون عصـر » .

وأنا وقفت عند هذه المعانى لان الحرية هى المشكلة الكبرى ، وهى المطلوب الاعظم فى العالم العربى كلـه : كان العالم العربى كله محروما منهـا فى العهد العثمـانى ، ثـم فى عهـد الاستعمار الغربى ، وحيـن تخلص مـن العهديـن الاستعماريين : العهد العثمانى والغربى ، وقع فى عهـد الثورية والانقلابات العسكرية ، فظل محروما من الحرية : حرية الفكر ، وحرية الممارسة والعمل .

لذلك حين يقوم قلم ينادى بالحرية ، تتطلع اليه الانظار ملهوفة ، وتسأل فى منتهى العطش والجوع : « وأين هى الحرية ؟ أعطونا الحرية ! نشقونـا هواءها المنعش ، آجركـم الله ! » .

لقد كانت السجون والمنافى وأعواد المشانـق هى وحدها نصيـب الأحرار والمنادين بالحرية فى كل ديار العرب فى عهود الاستعمار ، فلما خرج الاستعمار بكفاح الشعوب ودمائها ، ظلت السجون والمنافى وأعواد المشانق هى وحدها نصيب الاحرار والمنادين بالحرية فى كل ديار العرب ، ولكنها هذه المرة صارت من العرب للعرب ، لا من الغرباء والاعداء ، وزاد عليها التعذيب والبطش الذى لا رحمة فيـه .

هذه الحرية فى الفكر والممارسة ، كانت ميدانا فسيحا خاض فيه قلـم محمد مزالى على صفحات الفكر طويلا ، وكان مؤمنا بدعوته ، منافحا عنها ، وقد فتـح المجال للمناداة بها أمام الاجيال الجديدة التى فتح لها صفحات (الفكـر) على مصاريعها ، وهو بعد فى أول الطريق ومبتدأ الشوط .

وأود أن أقف كذلك عند افتتاحية العدد الاول مـن السنـة الاولى من مجلة (الفكر) ، ففيها دعوة ، ومنهج ، وخطة عمـل ، ومصباح على الطريـق . يقول مزالى تحت عنوان « سبيلنا » :

« ان المجتمع التونسي اليوم يجتاز مرحلة دقيقة في حياته،هو في أشد الحاجة فيها الى أن يعرف نفسه ، ويعي منزلته ، ويوضح أهدافه . فسنة الحياة تقتضيه أن يخرج من السلبية الى الايجابية . وأن يصهر ما في نفسه من امكانيات ، وأن يتميز ككائن حي سوي ، وينفرد كشخصية مستقلة .. ونحـن شاعرون بقوة التيارات الفكرية الاجنبية التي تحاول جرفنا الى ما لا ارتياح معه ولا وثوق به .. فنحن أحوج ما نكون الى مذهب أصيل ، منتزع من واقعنا ، ومستلهم من ماضينا وحاضرنا ، يكسب أعمالنا معنى ساميا » .

ويضيف قائـلا :

« بالفكر نوفق الى وضع المشاكـل الوضع الصحيح ، والى علاجهـا الناجع ، وبالفكر نتمكن من السير على هدى نحو مذهب تونسي صميم أصيـل ، يزيل حيرتنا ويسمو بنا » .

ويختم افتتاحيتـه بقوله :

« فاذا أمكن لهذه المجلة أن تكون ملتقى المثقفين في هذه البلاد ، حتى يعالجوا مشاكلهم على ضوء الفكر ، فانها تكون قد قامت بنصيب متواضع من عمل انشائي أكيـد » .

هكذا بدأ محمد مزالي مجلته (الفكـر) ، رأى هذا دعا المثقفيـن ليجنـدوا أقلامهم في خدمة الفكر التونسي الوطني الجديد الحر ، الذي يحاول أن يبني تونس الجديدة ، الحرة المستقلة ، بناء سليما عـلى أسس وطنيـة ، وبسواعد واثقة أمينة . فالفكر لاجل البناء ، والفكر في خدمة الوطن والشعب ، والفكر في خدمة الحرّية والاستقلال .

ولكن فكر محمد مزالي لم يتقوقع داخل الشرنقة التونسية ، بل كان واعيا لما حوله من قضايا وأحداث ومشاكل . وحدة المغرب العربي الكبير ، مثلا ، كان لها نصيب من فكره . ونضال الجزائر الدامي الباسل كان له نصيـب كذلـك ، والقضية الفلسطينية لم تغب عن تفكيره وعن جولات قلمه .

في وحـدة المغرب كتـب مزالي كثيرا مـن الافتتاحيات والمقالات ، منهـا : (أساس وحدة المغرب ـ تضامن المغرب العربي ـ معركة الوجود الاكمل ـ كيف نحقق وحدة المغرب الكبير ؟ ـ في سبيل ثقافة مغربية ـ مسؤولية رجال الثقافة في وحدة المغرب الكبير » .

فى افتتاحية بعنوان « فى سبيل ثقافة مغربية » ، يقول محمد مزالى :

« اليوم وقد انتصرت الجزائر المجاهدة . وانبرى أبناؤها ينشئون الحياة ويبنون ، لعله أصبح من اليسير أن نصمم برنامج النهضة بالادب والثقافة فى ربوع المغرب الكبير ، ونضبط الوسائل الكفيلة بتمتين العلاقات بين أدباء الاقطار الاربعة ، وارسائها على قواعد ثابتة ، وتوحيد الجهود كى يستفيد كل بتجارب الآخر ، فتطوى المراحل ، وتختصر المحاولات » .

والدعوة الى وحدة المغرب العربى الكبير ، بأقطاره الاربعة المسلمة : ليبيا ، تونس ، الجزائر ، والمغرب ، هى أخت الدعوة الى الوحدة العربية الكبرى : كلتاهما مخلصة مؤمنة ، وكلتاهما حلم من احلام العرب الكبرى ، ولكنها لا يمكن أن تتحقق ، لأن دعوات الانفصال والتشرذم والقوقعة أقوى منها بما لا حدود له ، فوراء دعوات الانفصال قوى كبيرة تدعمها فى الداخل والخارج ، وتريد لها أن تبقى ، وأن تقوى وتشتد ، لأن فى وحدة الاقطار العربية قوة هائلة للعرب ، تخيف وتهدد . ولذلك تظل قوى الاعداء جميعهم تدعم الانفصال ، وتساعد على التمزق ، لأجل بقاء الامة العربية ضعيفة خانعة . ثم ، أين يذهب أصحاب السلطان يوم تقوم الوحدة بين الدول والشعوب ؟ ومن منهم سيتنازل عن كرسى مجده وسلطانه للآخرين ؟ ومن منهم سيحكم دون سواه ؟ .. وهكذا تتوحد المصلحة فى الخارج والداخل ، وتضيع قضايا الشعوب وتهدر .

لا أريد أن أسترسل فى الحديث عن كل ما عالجه قلم محمد مزالى فى افتتاحيات مجلة (الفكر) ، ولا فى محاضراته ، واذاعاته ، ومقالاته فى الصحف الأخرى ، فهذا حديث واسع جدا . ولكننى أريد أن أقول فى ختام كلمتى هذه ان مجلة (الفكر) قد انفتحت صفحاتها لأقلام كثيرة جدا ، من تونس ومن خارج تونس ، على مدى ثلاثين سنة من عمرها ، تبدأ بعد الاستقلال بقليل ، وتمضى قدما مع التاريخ الحديث . وقد استطاعت فعلا أن تخلق فى تونس نهضة أدبية مرموقة ، تجنى تونس اليوم ثمارها الخيرة .

لقد خرجت (الفكر) أجيالا من الأدباء وحملة الأقلام ، يشاركون اليوم فى نهضة الأدب التونسى المعاصر . وسيسجل لها التاريخ التونسى الحديث أنها ساهمت فى نهضة أدب الاستقلال ، وأنها كانت مصباحا على الدرب فى تونس العربية المستقلة .

الدكتور عيسى الناعورى

وَيَبْقَى الفِكْر

شعر: محمد الشعبوني

شعاعٌ من سَنا (الفكـر) سما في (أول الشّهْـر)
وفي (أكتوبـر) وافـي بـوحي خـالص بـكـر
وفي (خمسينَ معْ خمْسٍ) من القرن الذي يجري
هو (العشرون) يا (قرنـا) به عشنا مع (الفكـر)
لـه في عـامنـا هـذا (ثلاثون) مـن العمـرِ
ويبقى الفكـر جوّالا ويبقى آيةَ العصـر
وأقلامٌ بـه تـوحي بـأي الصدق والخيـر
(وربّ الفكـر) في عـزّ يشق الـدّربَ في صبـر
ولاَ يَـرضي بـتأخيـر عن الإصدار والنّشـر
يبيتُ الليلَ تفكيـرا وحبّ (الفكر) في الصدر
(ثلاثون) استوت تمضي ولا دعـوى لمضطـرّ
اذا ما الشّهـرُ وافـانـا بدت في طلعة الفجر
تجـرّ الذيـلَ إيمانـا بنُبل القصد في السّيـر
فـلا زيـف ولا زيـغٌ سجِـلّ صيغَ من تبـر
حـروفٌ كلهـا نـورٌ سرت سطـرا على سطـر
بها للعقلِ تنويـرٌ وفيهـا روعة السحـر

رأيت (الفكر) مجلوّا ومحبوبا مدى الدهر
يفك القيد عن روح وما للروح من أسر
واهل الضاد قد صَاغوا له انشودة الفخر
رأيت (الفكر) مرفوعا مهيب الجاه والقدر
كأني اليوم في أمسي بجنب الكاتب الحر
يقود (الوفد) معْتزا منيعَ الصف والأزر
وحولي من بني عمي نجوم النثر والشعر
وربّ (الفكر) يُهديهم من (الأعداد) ما يغري
وقد حَيَّوْهُ إجماعا ليحيا الفكر للفكر
قد اعتزوا لمرآهْ وسلْ عنه: بني الذكر
فيا (فكرُ) اتَّقدْ واشمَخْ وسرْ في موكب النصر
وفي (الخمسين) ملقانا إذا ما زيدَ في عمري
تحياتي و تقديري لمن أحببت في جهر
و إعجابي بمنشيها ومما لاقى من الضر
ولولا المبدأ الأسمى وإيمان بما يدري
لكان الفكرُ يا ويلي رمادا ذرّ من جَمْر
ولكنّ الفتى يعلو إذا ما احتاط للأمر
أرَبّ (الفكر) سدْ واصعَدْ وجاوزْ قمة النسر
فنور (الفكر) لا يخفى وتخفَى هالة البدر
أتمّ (الفكرُ) اسفارا (ثلاثين وفي العشر)
ولا زالت على عهد من الإيمان والبرّ
واهل الحرف قد جاءوا بباقاتٍ من الزهر
عبيرُ الحرف مَمْزُوجٌ بانفاسٍ من العطر
وفي الاعماق يا صحبي نشيد صيغ من طُهر

به أعتدُّ معتزا … بأبيات الهنا الخضرِ
لمن ضحَّى على صدق … بعزم قُدَّ من صخْرِ
وحق الفكر إن يسمو … وحق الحرْف إنْ يَسْرِي
وحقِ العشرة المُثلى … لأُوفي – الفكر – بالنَذْرْ
وعفوا اخوتي عفوا … لكم يا سادتي عذري
يطول القول أحيانا … وتدرون مدى السر
دعوني انتقي لفظا … لمعنى الحبّ (للفكر)
فحب الفكر اغراني … بحب الخير للغير
(بشير الفكر) أدرانا … ويلقى الفكر في بشر
نعم للفكر ابناء … حموه ساعة العسر
وكانوا جندَه حقًا … ليوم المد والجزر
فكم من كاتب ضحى … وكم من عالم حبر
وكم من شاعر أوحى … بما في القلب والصدر
وكم من مصلح أبدى … حديث اللين والجبر
وكم من ثائر دوّى … بلا ضعف بلا قهر
وكم من ناقد أبقى … على الآثار بالشكر
(إلى القاري) تحيات … إلى قرائها الكُثْر
وفيها (ندوة) قامت … على التأصيل والجذر
(بريد الفكر) جوّالٌ … جميل العرض والسبْرِ
و(أصداءٌ) قد امتدت … فمن طور الى طور
بحوث كلها فن … عميق السّبك والغوْر
واشعار قد انسابت … وقد مالت عن البحر
اقاصيص ارتقت روحا … وصانت حرمة المهر
ينابيع الهدى ثرّت … وفيها حكمة الدهر

هما شهران إن حلاّ يعيش القلب في ذعر
وما ارتحنا إذا غابت وقد بتنا على الهجر
وفي اكتوبر نهفُو إلى وصل مدى (العَشر)
تباهت باسمك الدنيا أيا عقدا من الدر
ويا روضا به السقيا أفاضت من ندى القطر
فدنيا الفكر جنّات وزرع خالص البذر
واغصان قد التفّتْ وانهارٌ بها تجري
قُطُوفٌ لم تزل تُحيي رصيدا طيب الذكر
ونور اللّه يحميها مدى الأيام من خسر
وسبحان الذي انشا من الافكار ما يثري
حياة المرء إحساس وتفكير بلا قسر
(مجلات النهى) تبقى ويبقى الحرف من تبر
يُغني وحده حبرا إلى الوجدان (والفكر)

أوت 1985

محمد الشعبوني

من مكتبة القصة التونسية

الصعب	**شريفه عرباوي**
امرأة تعترف	**شفيقه الساحلي**
الزحف	**نعيمه الصيد**
أعمدة من دخان	**نافله ذهب**

أدبُ النفسْ وأدبُ القلم

بقلم : مصطفى الفارسي

الرجل ذو خصال تأصلت فيذاته فاصبحت بعضا من كيانه وسليقة فيه فهو بها الرائد وهو القدوة وهو المثال يحتذى ويقاس عليه . لم يركب محمد مزالى ـ يوم أسس مجلة الفكر فى هذا البلد منذ ثلاثين سنة ـ مطية طيعة ولم يؤمن بجدية مشروعه :لا أنفار قليلون،لم يفتح الساحر «سمسم» أبواب الرزق أمامه ولم يبسط كنوز الدنيا تحت قدميه بل لقد قامر الرجل وجازف وغامر لعلمه أن النصر دائما حليف المناضلين الحقيقيين الذين يركبون المخاطر من أجل فكرة أو مبدإ أو رسالة . وكان مزالى يعلم مسبقا ان الرسالة صعب تحملها شاق ومنهك لكنها دائما تشرف صاحبها وتسعده فى نهاية الامر .

كان لابد للثقافة ولقضايا الادب فى منتصف الخمسينات من نصير ومن سند ومن « ميسان » (Mécène) تونسى للرفع من منزلة الكاتب وللاخذ بيده والتعاطف معه وكان لا بد من توفير مناخ رحيب وفسيح لانتاج المادة الفكرية والعكوف على الخلق الفنى وممارسة الهواية الادبية ولم يكن من هيكل أو ادارة أو مؤسسة رسمية أو شبه رسمية للقيام بهذه المهمة بل لم يكن أحد فى البلد يؤمن بان الكتابة وظيفة اجتماعية وبأن الادب الجيد مركبة الشعوب الى الخلود لما كان يطبع الكتابة من سفساف القول وضحالة المعنى وسخف التصور وركاكة الديباجة والتعبير . كان الكلام الفارغ يملأ صفحات الجرائد ويصم آذان المستمعين وكانت الخطب الرنانة مطية الانتهازيين الى المراتب والمناصب . فصاح محمد مزالى فى القوم يحملهم مواقف ويزج بهم زجا فى معمع كفاح من نوع خاص ومن طينة متميزة وندد بلغو القول ونافلة الكلام مناديا ببعث واجهة فكرية قوية لتحقيق المناعة للفرد وللجماعة .

كان لابد للرجل أن يكون منزها عن العقد والمركبات فاتحا صدره للحوار الى اقصى مداه عازفا عن الاحكام المسبقة متسامحا على الدوام ولربما يكمن سر نجاح مجلة الفكر وفشل ما سبقها من المجلات ـ التى أفل نجمها وأصبحت نسيا منسيا ـ فى ذلك التسامح الذى خلق الارضية المشتركة التى استطاعت ان تجمع بين الدستورى والشيوعى والمتمشرق والمتمغرب وكل أصناف المتمذهبين والمتذبذبين بسبب ما كان يفرق بينهم من اعتبارات جمالية أو مشارب ايديلوجية أو إحن طبقية أو ميول نفسانية .

كان محمد مزالى يستمع الينا ـ نحن جيل التمزق والحيرة جيل الألم والأمل ـ افرادا وجماعات ويعلمنا المرة تلو المرة ـ واحسن به من معلم ـ كيف يكون الصمود أمام النائبات وكيف يكون الثبات على المبادىء وكيف يجب أن يكون ايماننا بالذات ـ الذى هو فى نظره فرع من الايمان بالوطن ـ لنصبح خلاقى حضارة بسلوك الراشدين لا بتلعثم وتردد وغيبوبةالقاصرين.وان ما ميز مجلة الفكر عنغيرهافىالمشرقالعربىومغربه هو بحق ذاك الطابع الفريد الذى جعلها مرآة عاكسة لمجتمعها بمتناقضاته جميعها بغثه وسمينه فقيره وثريه رجعيه وتقدميه مسفه ومجيده اى ذاك التضامن والتكامل اللذان جعلانا كتلة واحدة وعائلة واحدة طوال كل هذه السنين ، فلقد كان مزالى ـ واعتقد انه لا يزال ـ دائم التشهير بكل الخلافات المبنية على سوء التفاهم وببذور الحقد والبغضاء وبكل الاعراض والاعتبارات المصلحية العاجلة اذ للرجل رؤية مستقبلية وفكرة واضحة عن العلاقات التى ينبغى ان تكون بين افراد المجتمع الواحد من جهة ثم وبالتالى ان تسير العالم من أقصاه الى أقصاه . كان ولم يزل ينادى بالاعراض عن عوارض الزمان والمكان وبالتمسك بالجوهر والجوهر عنده هو وفاؤه الى الوطن والى الحضارة التى ابتكرتها تونس وغذتها وشاركت بها ماضيا وحاضرا فى بناء صرح الانسانية الشاملة . ذلك الاعتزاز بالانتماء الى تونس هو ما بهرنى شخصيا فى محمد مزالى واعرف انها خاصية فيه لم تؤثر فيها الحوادث اى تاثير .

ايمان الرجل بأن للتونسى ما يقوله وما يكتبه كان فى مستوى ايمانه بان لا أدب يبقى ويرسخ فى اذهان الاجيال المتعاقبة ويقهر النسيان والعدم سوى ما اعتمد الفكر واخذ بناصية العلم والمعرفة وهو ما جعلنا نسعى دائما الى ارقى أساليب التعبير من جهة والى ربط انتاجنا بواقع مجتمعنا فأصبح الادب عندنا شيئا مهما وجديا لا يجوز التهاون به أو ارتجاله أو التسرع فى نشره وترويجه

بين الناس لذلك كانت مجلة الفكر ولم تزل الى يوم الناس هـذا مدرسة للنقد تؤمن بالجدلية القائمة بين الشكل والمضمون وتريدها صورة مـن تلك التي تقوم بين السياسة والثقافة والتي تجعل الفكر قوام كل عمل بشرى يهدف الى خدمة الغير ويندرج فى رؤية حضارية من شأنها كما يحلو لمحمد مزالي أن يقول « أن ترغم المستحيل على الامكان » ومحمد مزالي كان ولم يزل دائب السعى الى جعل الحلم يتحول الى واقع ولقد حقق ببعض احلامه كثيرا مـن احلامنا عندما شرفه المجاهد الاكبر بتكليفه برئاسة الحكومة فوضع الرجل فى مقدمة اهتماماته مشروع النهوض بالقطاع الثقافي حتى يواكب المسيرة الشاملة ويمثـل جزءا لا يتجزأ من النهضة التي يشهدها البلد، فكان بدءا ونعم البدء، والبقية تأتي إن شـاء الله.

لقد أخلص محمد مزالي لمبادئه اخلاصه لمجلـة الفكر التي تحتفـل اليوم بعيد ميلادها الثلاثين فأمكن لهذه المجلة ان تصبح بحق ملتقى للمتثقفين وناديا لارباب الخلق الادبي والفني يجتمعون فيه لمعالجة قضاياهم وملء الفراغ المروع الذي كان يطغى على الزمان والمكان فيغمض السبل ويعمى البصائر ويجـرف الناس الى ما لا ارتياح له ولا اطمئنان لغيبته وعقباه. ولم يكن لمجلة الفكر ان تعاهد المثقفين على أمور فتوفي بالعهد لولا تلك الحرية التي ارادتها شعارا لها منذ البـداية ونبراس هداية وزادا للطريق وهواء ضروريا للفرد وللجماعة على حد سواء، فما استبد صاحبها والله برأى في يوم من الايام ولا انحاز لكتلة دون كتلـة ولا ضرب عصفورين بحجر واحد ومعنى ذلك ان الفكر كانت مدرسة للديمقراطية تحتك فيها الآراء ولا تحاك فيها المكائد وتتساوى الحظوظ ويقتنع داخل الاسرة الجميع مخلصين بان نصيب الناس من الحقيقة ومن التوفيق الى معرفة الحقيقة واحد. وبان التعصب كالجهل عمى وظلمة وبلية البلايا يحجـب عـن صاحبه الواقع الحي ويجعله عاجزا عن التفتح الى الجديد والتطور مع الحياة وكما يقول محمد مزالي يفقد المبتلى بدائه « أدب النفس من حيث انه يسعى الى أدب القلم ».

هكذا علمنا مزالي فى الفكر كيف نضيـف الى عمرنـا أعمارا والى تجربتنـا تجارب أخرى فنستولى على الأمد « ولا نكون لشيء أشد ضنا منا بحرية الرأى ولا أشد تعلقا منا بملكة التمييز » كما علمنا أن نغربل أنفسنا ونحاسبها عسير الحساب وان نأكل خبزنا يابسا اذا كان في اقتناء الزيت والعنب والزيتون أكراه أو مسخ أو انسلاب أو انبتات أو أدنى تفريط فى حريتنا وفى كرامتنا كبشر

وكنا معه طوال هذه السنين الاريضة العريضة مفعمين بالأمل وبحب الناس ومليئين بالتوق المتجدد الى تحقيق الافضل والامتع والامنع للجميع وبنشدان الحقيقة التي بواسطتها ينار السبيل ويتذوق الانسان حياته على وجه هذه البسيطة .

وبعد فان فضل صاحب الفكر معروف ومجده مشهود ويقصر الكلام مهما طال عن ايفائه بحقه ، وانى لأتمنى أن تسير مركبة الفكر أعواما طوالا مقبلة حتى يتسنى لمحمد مزالى ان يقطع بها وبنا اشواطا أخرى من الاهداف التى آمن بها وتزخر بها نفسه المعطاء .

فلنعم الرائد هو .. قلبه فى سعة البحر رحابة وامتدادا .

مصطفى الفارسي

ننشر فى الاعداد القادمة

الفِكرُ النَّبض..

شعر: الحبيب الهمّامي

اللَيْلَةَ أحْمِلُ حُلْمي قنديلا
وأقولُ : دمي البَحْرُ
ودُروبي أضواءٌ
وفصولي الغبطَةَ
لَسْتُ جَرِيحَ الضوءِ لِيَنْساني العُمْرُ
ها أنّيَ. انهضُ،
اخرجُ عَنْ أحْوَالِ اليابِسِ
أمضي مجنُونا بصَبَاحاتٍ
فَتَحَتْ في القلْبِ
زغاريد الأقواسِ
في الكلماتِ
قناديل الأعراسِ
ها انّيَ أحْمِلُ اغنيتي
وأجيء قتيلا ليْسَ يَمُوتُ
وفي بَدَنِي النار المجهولَةُ مُوقَدَةٌ
وصباحي يعزفُ خضرتهُ

فِي نَبْضِـي
لا أدْرِي
هَـلْ كُنْتُ
أم السّاعَةَ جئتُ نبِيّا مَالِيًا
يـدعــو الأشيَــاءَ

* * *

يـا تُونسُ انْشَائِيَ الأولَى اغتصَبَتْ شجرِي
ومَضَــتْ
ذَبَحَــتْ دَرْبِــي
والحلمُ هُـوَ الـدَّرْبُ
هَلْ كُنْتَ سُؤالا صَعْبا حاورَهَا ؟
بلُغَـاتِ المَـاءِ فلم تَفْهَمْ
ونمَـا فيهـا الرُّعْـبُ
هَلْ كنْتَ سُؤَالا صَعْبَ الحُلُمِ ؟
وأحلى الاسئلةِ الصَعْبُ

* * *

يـا تونِـسَ فَـاضَ الحلْمُ
فـأيْنَ أفتحُ ازْهـارِي ؟
يَـا تـونِـسُ فَاضَ العِشْقُ
فـكيف أفسِّـرُ أمْطـارِي ؟
يَـــا تـــونسَ
هَـا أنّـي أمْشِـي
والفتش عَنْ أنْثـى

تتوسّد أخطالي
وتُرَقّعُ أعضائي
وتُناديني باسْمِ الماءِ
اذا انتشرَ اليابِسْ
وتُناديني باسم الضوءِ
إذا ابتدأ الزمن العابِسْ

★ ★ ★

ها أنتِ يا « فكرُ »
أتنفّسُ فيكِ
وأرفعُ حلمي منكِ
احبّك كيْفَ أفسّرُ
قد عيلَ الصبْرُ
انتِ الأنثى الأم / الأم / الأختُ / الأرضُ
ها أنتِ أقرأ أفراحي
وجراحاتي لكِ ، لن انساكِ
كمَا ارتكَبَ البَعْضُ .
فلكِ الدّمُ .. والنَبْضُ .

الحبيب الهمّامي

"الفكر" حرم آمن بلا جدران

بقلم: د. صالح جواد الطعمه
(أمريكا)

ما زلت اتذكر بحثا قيما عن الفكر قدمه احد طلبة الدراسات العربية العليا فى جامعة انديانا قبل بضع سنوات (ربيع 1982) ـ وذلك فى حلقة دراسية حول الادب الحديث فى المغرب العربى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . أما البحث ذاته فقد كان موضوعه : اللغة العربية كما عالجها كتاب الفكر خلال ربع قرن (1955 ـ 1980) وقد استطاع صاحبه ـ وهو اليوم استاذ فى احدى جامعات الاردن ـ ان يوثق ـ فى جملة ما اوضحه من امور ـ مساهمة عدد كبير من كتاب تونس والعالم العربى وبعض المستشرقين فى تناول قضايا اللغة كالتعريب والازدواجية والكتابة وتيسير الطباعة العربية والمصطلحات العلمية والمجمع العلمى العربى بدمشق ومشكلة ترقية اللغة واللغة العربية والتقدم الفكرى والتونسة والتعريب وغيرها من المسائل أو المشكلات التى وردت فى ما يزيد عن مائة دراسة او مقالة .

هذه معلومة قد تبدو لاول وهلة من معاد الكلام عن الفكر ، وقد ترددت كثيرا فى ذكرها لهذا السبب أو لسواه ولكنى اخترت البدء بها شهادة قارىء يعتز بالفكر ـ ونحن نحتفل بمرور ثلاثين عاما على تأسيسها ـ لسببين :

أولهما : تأكيد ما قيل من قبل عن مكانة الفكر كمرجع لا يستغنى عنه عالميا سواء كان ذلك فى اطار الحياة الثقافية فى تونس والمغرب العربى أو فى مجال العربية وحضارتها وآدابها فى وطنها الاكبر ..

وثانيهما : ـ وهو الاهم ـ لما تعكسه المعلومة من مزايا الفكر كمجلة تنشد تأصيل النهضة الادبية والفكرية فى تونس ـ وهى جزء لا يتجزأ من النهضة العربية ـ على دعائم متينة من المعرفة والتحرى المتصل والمنهج الموضوعى والحوار الحر المتواصل .

لقد تجسدت لى هذه المميزات وانا أتابع الفكر منذ صدورها كما تجسدت بفضلها ظاهرة نادرة فى مجلاتنا المعاصرة وأعنى بها: قدرة الفكر أو حرصها على أن تستقطب عددا متناميا من الكتاب بغض النظر عن اتجاهاتهم او

منطلقاتهم دون ان تفرض منحى فكريا موحدا تتمسك به وتتعصب له ، وهي تفعل ذلك لا عجزا عن الالتزام برؤية وموقف ورسالة ـ فلها رؤيتها ومواقفها ورسالتها ـ بل انطلاقا من ايمانها بضرورة التعددية في التفكير او الاجتهاد والنهج الموضوعي واحترامها لحرية التعبير . ولعلني لا أعدو الصواب ان قلت بأن هذه ـ اي التعددية والموضوعية وحرية التعبير ـ معالم بارزة تلخص حياة الفكر ورسالة الفكر وتجعلها مجلة رائدة في طليعة المجلات العربية الحديثة وهي معالم رسمها مؤسسها ومديرها الاستاذ محمد مزالي ونص عليها اكثر من مرة وفي مناسبات عدة منها مناسبة الاحتفال بمرور ربع قرن على تأسيس الفكر حين قال : « ... لم نضع أنفسنا في سجن مذهبي بل أردنا دائما ان يكون للفكر صولة وجولة واقدام وقدرة على الابتكار والنقد ولم نتعصب لمذهب أو لجيل أو لمدرسة دون غيرها فلقد تفتحنا وتسامحنا وتقبلنا كل ألوان الانتاج من غير ان نحكم على الانتاج من وجهة مذهبية بل حكمنا عليه من وجهة الصدق والاصالة والذوق الادبي والرفعة من حيث الخلق والابتكار » (*) .

ان من يتصفح محتويات الفكر منذ ظهورها حتى اليوم لا يستطيع الا ان يكبر فيها الممارسة المطردة الى حد بعيد للتعددية والموضوعية وحرية التعبير وان يلمس ما انبثق عنها من آثار ايجابية تتجلى في تنوع الآراء والمعرفة وتعدد مناهلها ، ومن ثم في الطابع الموسوعي العالمي بالرغم من ان التراث التونسي العربي جوهر رسالتها حتى ليخيل الي ان الفكر استحالت الى حرم آمن بلا جدران هداه التفتح الواعي لا التمذهب القبلي المسدود ورائده مواكبة أحداث العصر وتياراته الفكرية والادبية دون الانبهار الاعمى أو فقدان الشخصية .

لقد اشاد من قبل بعض الباحثين الى محاور ارتكزت عليها حياة المجلة كمحور أصالة الشخصية التونسية وتفتحها والكفاح من أجلها ومحور خدمة العربية والفكر والادب العربي تأصيلا للكيان واثباتا للذات ومحوري النتاج القصصي والشعري وما اسهمت به المجلة في سبيل اثرائهما وتطويرها كما قال الاستاذ البشير بن سلامة [الفكر 26 (1981/80) 2 ـ 3] ومنهم من ذكر اسسا مماثلة كرعاية الادب العربي في تونس والمغرب العربي وخلق حركة نقد ادبي فاعلة ورعاية المواهب الجديدة وتطبيق مبدأ الثورة الدائمة من الداخل وتشجيع الحوار الايجابي بين مختلف الافكار والتيارات واقامة الجسر الفكري بين جناحي الوطن العربي على حد تعبير الدكتور حسام الدين الخطيب [الفكر 26 (1981/80) 232 ـ 233] .

(*) [الفكر 26 (1981/80) ص 201] .

اما الدكتور عبد الله شريط فقد أجمل ميزات الفكر في قوله بأنها «تصوير صادق لمسيرة ربع قرن من تطور تونس في ميدان الادب والفن وهي صورة كاملة للنفسية التونسية المتحضرة الشفافة ، وهي ديوان صادق من روائع النثر ومستجد الشعر لفترة تستغرق اكثر من جيل من رجال القلم التونسيين وهي عنوان كبير لقوة التوازن والاعتدال ومد الجسور بين الاجيال والتيارات التي يزخر بها عصرنا الحديث وهي صورة أمينة لروح الامة التونسية المتشبعة بعروبتها العميقة واصالتها الناضجة واسلامها المتفتح» [الفكر 26 (1981/80) 223] .

هذه المحاور او الاسس او السمات التي اشار اليها الكتاب من قبل تنعكس بلا شك في محتويات الفكر وقد يكون من العسير أن يضاف اليها شيء آخر غير أني أرى ـ مع ذلك ـ ان ينص على مالها من بعد عالمي ـ وان جاز القول بوروده ضمنا فيما ذكر من المحاور والاسس او السمات ـ بفضل معالجتها او معالجة كتابها لتجارب وقضايا تخص شعوبا وثقافات اخرى ، او نشرها مترجمات من الآداب العالمية ، او التعليق على ما ينشر في غير العربية عن مختلف جوانب الحضارة العربية الاسلامية والتعريف بما يستجد من الاتجاهات او المذاهب ، بدءا من الادب الايسلاندي للاستاذ عثمان الكعاك (1955) ووجوزيف كونراد» للاستاذ حسن عباس الى سلسلة مقالات الطاهر الخميري عن النقد الادبي في امريكا (1957/56) وملاحظات المرحوم محمد فريد غازي عن دائرة المعارف الاسلامية (1960/59) و (1961/60) ودراسة مصطفى الفارسي عن اللاقصة ثورة في الادب الاوربي الحديث (1963/62) وأحمد القديدي عن «الهيكلية تواجه قضايا الانسان» (65/64) ومحمود الدرويش عن «النزعة الانسانية في أدب ڤوڤول» (75/74) وحبيب المخ «ملاحظات حول تعريب الماركسية» (1977/76) الى «موجة النقد الادبي الجديد في فرنسا» للشاذلي الساكر (1983/82) وآخر المحاولات لحسونه المصباحي « تراجيديا الموت في روايات غبريال غرسيا مركيز » (1985/84) .

اما المترجمات المنشورة في الفكر ، من دراسات وقصص وقصائد وبعض المسرحيات فهي تتصل بعدد ملحوظ من آداب شعوب العالم : الاتحاد السوفياتي ـ الارجنتين ـ اسبانيا ـ المانيا ـ أمريكا (الولايات المتحدة) ـ انكلترا ـ ايران ـ ايطاليا ـ الباكستان ـ البرازيل ـ بلغاريا ـ تشيكوسلوفاكيا ـ تشيلي ـ فرنسا ـ المجر (هنغاريا) ـ النمسا ـ اليابان ويوغسلافيا . واذا اضفنا الى هذه القائمة اقطار العالم الثالث التي تناولتها محتويات الفكر كالهند والصين وتركيا ونيجيريا لتجلت لدينا عناصر البعد

العالمي الذي اشرت اليه ، وتجلى لنا كذلك مدى التزام المجلة بمبدأ التفتح على الثقافات الاخرى ، والتفاعل مع الاحداث او التيارات العالمية ، وحرصها على الاسهام في تحقيق التواصل بين العرب والشعوب الاخرى ، والفضل في ذلك كله لا يرجع الى صاحبها والمشرفين عليها فحسب بل يعزى كذلك الى من اكتسبتهم من الكتاب والمفكرين .

غير ان من حقنا وحق الفكر علينا ـ ونحن نتطلع الى مواصلتها مسيرتها في سبيل اداء رسالتها ـ أن نشير الى ان المترجمات لم تحقق التمثيل الوافي او التعادلية في تمثيل الآداب العالمية ، وانها لاسباب تاريخية وثقافية معروفة اولت الادب الفرنسي او اللغة الفرنسية كوسيط للترجمة من الآداب الاخرى دورا طغى على غيرهما من الآداب واللغات ، وان آداب العالم الثالث الذي ننتمي اليه ونشاركه الهموم والتجارب والمطامح لم تنل ما تستحق من اهتمام واخص بالذكر الآداب الافريقية التي لا تكاد تجد لها اثرا بين مترجمات الفكر ، والادب الياباني الذي مثل ببضع فقرات .

ليس الغرض من هذه الملاحظة تحميل الفكر مسؤولية هذا الاهتمام بآداب العالم الثالث او الآداب العالمية عامة ، فهي ليست مجلة للآداب العالمية ، بالرغم من أنها تحملت قسطا كبيرا من المسؤولية في هذا المجال ، والاهتمام بآداب العالم الثالث بعد ذلك كله مسؤولية عربية مشتركة ، غير ان اعتزازنا بالفكر وبالتفتح الذي تتمسك به وتدعو اليه ، وايماننا بالدور التاريخي الذي لعبته او يمكن ان تلعبه افريقيا العربية كجسر بين العرب وبقية افريقيا ، يدعواننا الى ان نتوقع منها دورا رياديا آخر تؤديه اسهاما منها في تحقيق التواصل المنشود بين ثقافتنا وآداب العالم الثالث او افريقيا بخاصة (*) .

وللفكر من انجازاتها ورؤيتها المتفتحة ، وخبرتها الفنية المكتسبة عبر ثلاثين عاما من كفاحها ، ما يشد أزرها ، ويكفل لها مواصلة الاسهام في هذا المجال او غيره من المجالات .

جامعة انديانا / الولايات المتحدة
صالح جواد الطعمة
أستاذ العربية والادب المقارن

(*) الملاحظات المذكورة مبنية على مسح ببليوغرافي قام بها كاتب المقال لمحتويات الفكر (1955 ـ 1985) ومن المؤمل ان تنشر نتائجه قريبا تحت عنوان «البعد العالمي او بعد التواصل بين الثقافات في مجلة الفكر : 1955 ـ 1985» .

الشراع المسافر

شعر: عبد الرؤوف بوفتح

مِنْ أينَ أبدأُ والشراعُ مسافرٌ　　ودَمي على طبقِ السؤالِ مُباحُ ؟
كلُّ الجهاتِ تقودُني نحوَ الشذا　　ويقودُني عبرَ الدجى مصباحُ
حتى اكتشفتُ يدَ الصباحِ ولم أكنْ　　إلا الغريقَ تجرُّهُ الأنواحُ
ورأيتُ في الأفقِ القصيِّ سفينةً　　وأنا الرياحُ وإنني الملاحُ
هلْ أمخرُ البحرَ المزمجرَ عاتياً　　والموجُ في زبدِ الخطى ينداحُ ؟
لنْ أطمئنَّ ولوْ تكسَّرَ مركبي　　لنْ أشمخرَّ ولوْ أهيضَ جناحُ
فالحلمُ مجدافي وتاجُ الشمسِ لي　　وأنا على قلقٍ .. فلا أرتاحُ
تتعانقُ الكلماتُ في حقلِ الرؤى　　ينأى الجرادُ وتختفي أشباحُ
ووجدتُني في لجةٍ متعمداً　　أطوي المحيطَ كأنني سبَّاحُ
مِنْ أينَ أبدأُ والبدايةُ صعبةٌ　　والدربُ بابٌ والهوى مفتاحُ ؟
إني فتى لمْ آتِ من بلدِ اللظى　　إلا ليشنقَني الهوى الفضَّاحُ
قدْ هالني ليلٌ فقلتُ له : ارتحلْ　　لستُ الذي تلهو به الأرياحُ
لكنني طفلٌ وجهتُه المدى　　حيثُ انتهى تتغابُه الأفراحُ
والآنَ هلْ آنَ الغرامُ لأختلي　　بحبيبتي فيضجُّ بي إفصاحُ
« للفكرِ » هيأتُ القصيدةَ كلَّها　　فتناوبَتْ تشرابي الأقداحُ
لمْ يبقَ ليلٌ كيْ نموتَ فهذهِ　　كلماتُنا للتائهينَ صباحُ
تاهوا، وبوصلةٌ لهمْ كُنَّا..متى　　عصفتْ بهمْ في النائباتِ رياحُ
للشعرِ صومعةٌ .. ولي وهجُ الصدى　　فتجمعوا .. إنَّ الجراحَ رماحُ
تنسابُ قافلةُ الحروفِ وخلفَها　　يعلو غبارٌ عابرٌ .. ونباحُ
لمْ تعلمِ الصحراءُ أنَّ « محمداً »　　عبرَ الأذى لمْ يثنِه تمساحُ
ومعَ « البشيرِ » مضى إلى أقصى غدٍ　　وطغى اللقاحُ فأينعَ التفاحُ
نحنُ الأخلاءُ الذين... وإننا　　في روضةِ الفكرِ التي... سيَّاحُ
لمْ يبقَ لي إلا غدي فلكمْ غدي　　وإلى غدٍ فلتزهرِ الأفراحُ

ذكريات من ملحمة «الفكر»

بقلم : أحمد القديدي

اعترف انني برغم التصاقي اليومي بشؤون الثقافة في بلادي اصطدمت بعظمة الرقم الذي تأملته : ثلاثمائة عدد من مجلة الفكر تكون صدرت في موفى الموسم المنقضي ، ثلاثون مجلدا دسما مسفرا تملأ مكتبة بأسرها تكون جاهزة للدخول في التاريخ الثقافي الوطني والعربي بشرف وتجد نادرين ، ثلاثون عاما كاملة تكون مرت على ملحمة الفكر عزما انسانيا عجيبا وارادة فولاذية صلبة واصرارا وطنيا جريئا ومغالبة للزمن والمردة وللرداءة ووقوفا حازما الى جانب الشخصية التونسية الاصيلة وتطلعا للافق الرحب حيث تكتب الحياة لذوى الجهاد الحق نصرا من الله جزاء وفاقا وعطاء حسابا .

ثلاثة عقود مرت ، ثلث قرن لم تهن خلالها مجلة « الفكر » ، ولم تضعف ولم تخفض صوتها ولم « تتلاءم » مع وضع لا ترضاه ، ولم تنسق وراء موضة عابرة وبدعة ظرفية ، ولم تحن هامتها للاحداث بل هي طوعت الاحداث وصنعتها وطالما صمدت أمام تيار معاكس جارف بل لعلها في بعض الاعاصير التي عاشتها ازدادت سفينتها قوة وتمرس قائدها أكثر على مراوغة الرياح .. وبعضها كان عاتيا يهب علينا من « الشرق » أو من « الغرب » أو منهما معا فلا نجاة لسفينة الفكر الا بفضل قائدها البحار الصامد .. وكان ـ ولا يزال ـ يتأمل بوصلته الرشيدة الصحيحة الحكيمة وهي تهديه ـ رغم تكاثف الضباب وتناقم الضلال ـ الى حيث شاطىء السلامة والخير والاصالة وسخاء الفكر ونور الحقيقة ..

ولقد كنا بعض ملاحيها !

كنا بعض ملاحيها ، وياله من فخر نادر وشرف عزيز ان جمعتنا بالاستاذ محمد مزالي ورفيقه الاستاذ البشير بن سلامة جملة من القيم العليا والمثل

الوطنية والتعلق بالشخصية التونسية وانتمائها المغربي والعربي والاسلامي مما جعلنا نشعر ــ ونحن نمخر عباب اليم في سفينة الفكر ــ اننا نناضل من أجل مبادىء ترسيخ استقلال الوطن ثقافيا ولغويا وفكريا دون السقوط في مجانية التطرف من جهة ودون مصادمة « الانتلجنسيا » الوطنية التي تكونت في فرنسا وتشبعت بالثقافة الفرنسية واعتبرت تبعا لذلك وعن حسن نية ان موضوع اللغة موضوع ثانوي ازاء قضايا التنمية وان اشكالية الشخصية التونسية هي اشكالية فرعية تجاه تحديات الاقتصاد .

هذه كانت الارضية الثابتة لجهاد (الفكر) .

وفضل التوفيق في بلوغ اهداف الفكر يرجع أساسا الى شخصيـــة الاستاذ محمد مزالي . وانا عشت شاهدا ومساهما في خضم تلك الملحمة واعرف صعوبة بلوغ الهدف باجتناب التطرف في مواقف التعريب من جهة واجتناب التصادم مع المتمسكين بالعقلية الفرنكوفونية التغريبية مـــن جهة ثانية . ولـــم يكن من اليسير على مجلة (الفكر) المجاهدة ان تصمد ازاء عداء المتطرفين مـــن سلبيين ورجعيين من جهة وعداء الشيوعيين الذين كانـــوا ينددون بتحليلنـــا لمكونات الشخصية الوطنية ويدعون الى استعمال الدارجة والتخلي عن العربية تحت شعار ما كانوا يسمونه « لغة الشعب » وانك لواجد في افتتاحيات مجلة الفكر المجموعة اليوم في كتب او في دراسات الاستاذ البشير بن سلامة او في كتابات اعضاء أسرة الفكر ما يؤكد لك صعوبة تلك المعركة،فقد الهمالله صاحب الفكر وضوحا دقيقا في الرؤية والتحليـــل ومعالجة هـــذه القضية فجنبـــه مزالـــق السهولـــة والمانوية والتطرف بما أسبغه على مواقفه الفكرية من اعتدال الحقيقة ووطنيـــة المنهج ، ولا عجب ان يمضي صاحب الفكر بنفس الثقة في رؤيته ليجعل الحديث متبوعا بالفعل ، ويجسم ما آمن به من مثل في سلوكه السياسي ونضاله التربوي وسيرته الادبية وكفاحه الرياضي ، باعتداد في النفس يشبه العناد لكنـــه عناد فيما اعتقد صاحبه انه الحق ، وفيما اعتقدنا معه ايضا انه الحق .

صحيح ان اروع درس تعلمناه نحن شباب الستينات في 13 نهج دار الجلد هو درس استقامة المفكر وملاءمة السيرة السياسية للعقيدة الفكرية وتجنب الحكم المسبق والتحلي باحترام الرأي المخالف مع اصرار على الدفاع عن الموقف والى جانب ذلك توظيف الابداع وتوجيه الثقافة الى خدمة المثل العليا لا بفرض الزام عليها كان البعض يسميه التزاما .. بل بشحن الادب بالفضيلة وارجاع الثقة بالعقل التونسي الخلاق للتونسيين انفسهم حتى يعتقدوا انهم ليسوا ادنى منزلة من اهل المشرق ولا دونهم صناعة ادبية وليس لدينا بضاعة ترد الى اهلها .

لقد ولجت باب 13 نهج دار الجلد منذ واحد وعشرين سنة ربيع عام 1964 وانا اشعر بأني محمل بعد بتلك الروح . فلقد طالعت ضمن سلسلة كتاب البعث ما قاله الاستاذ محمد مزالي عن (الديمقراطية) ثم تابعت مواد مجلة الفكر الى جانب تشبعي بارادة الحياة لابي القاسم الشابي ومعاشرته لشعراء القيروان الوطنيين الخلص .. فاذا بي اكتشف ان مزالي اقدر اساتذتنا على التجاوب العميق مع طموحات الشباب وتوقه وجموحه وجرأته وتطلعه للتغيير .

فهو القائل مثلا :

« ان رجل القلم يعتريه احيانا ما يعتري رجل السياسة او الاقتصاد او العلم من شك في جدوى عمله وتأثير نضاله واشعاع انتاجه وقد يميل الى مسايرة العدد او يتواطأ مع الواقع الموروث او المفروض . ولكنه اذا كان اصيلا ومحترما لنفسه . يتقاوى على جاذبية الارض ويرنو الى الاعلى ويتوق الى الافضل والا بقى ان المثقف الحق يعيش من اجل المبدأ ويصمد لاعلاء ما يراه حقا وخيرا ويستمد طول النفس من الامل الذي يغمر وجدانه والايمان الذي يملأ حياته ان لكل مثقف ما سعى .. »

ان هذه الفقرة من فكر رجل الفكر لكفيلة برسم الارضية الفلسفية لكل المعارك التي خاضتها المجلة ضمن ملحمة عسيرة تجتمع فيها البطولة بوضوح الافق والجسارة بتحديد الغايات والمغامرة بالتفاؤل . ولئن فاتتني شخصيا معارك العشرية الاولى من ملحمة الفكر ، فقد عايشت وعاشرت معاركها خلال العشرين سنة . ولكم اسفت على ان عمري لم يسعفني بالاشتراك في اولى معارك الملحمة اى من 55 الى 65 حينما كانت الفكر قلعة حصينة تجمع المرابطين بالقلم من اجل استقلال تونس اكاملا وفرض السيادة التونسية ثم تجسيم ارادة الشعب باقامة النظام الجمهوري والتحلي بالجرأة البورقيبية في تحرير المرأة التونسية ثم المساهمة في المعارك السياسية والثقافية لنيل استقلال الجزائر مع الصمود الدؤوب في احياء روح طنجة للمغرب العربي وتولى الريادة الفكرية بعد ذلك في معارك بنزرت والصحراء ثم الدفاع عن الوحدة القومية من محاولات تكسيرها او صهرها بالفتن والتصدعات واخيرا تحرير تونس نهائيا من الاستعمار..ثم من الاستعمار الزراعي،واقرار اركان مناعتها السياسية واللغوية وترسيخ شخصيتها التاريخية والوطنية ودعم لغتها العربية الاصيلة والايمان بان لها رسالة خالدة وتأكيد انتمائها الى رقعتها الحضارية العربية الاسلامية .

تلك بعض حلقات الملحمة التى فاتت جيلي ان يسهم فيها ، ولم يمنعه حرمانه من دراستها وتحليلها والارتواء من ينابيعها . تعلقا من شباب الستينات بالقيم الثورية التى حركت جيل محمد مزالى والبشير بن سلامة وايمانا بنفس المثل واعتقادا منا ان الملحمة ما تزال متصلة الحلقات وان المتربصين باستقلال تونس ما يزالون أقوياء مهما تغير شكل الاستعمار ومهما تزين لنا بلبوس التعاون الفنى وحوار الثقافات وعالمية الثقافة .

ولقد كتب الاستاذ محمد مزالى بشجاعة الفكر المقدام قائلا فى اواخر الستينات : « لا بد من يوم يوفق فيه رعاة التراث وحماة الضاد والغيورون على الاوطان الى استئصال شعرة الاستعمار الثقافي والتمهيد الى التفتح الحق والحوار المجدى بين الثقافات .. » .

ان مثل هذه التعريفات لعقيدة الفكر هى التى هزتنا واثارت فينا ما سماه الاستاذ محمد مزالى فى غرة اكتوبر 1970 : « الحماس للثأر ممن دفنوا امجادنا التاريخية .. » ، فانبرينا نكتب فى الفكر وعلى أعمدة (العمل) و (الصباح) مقالات دحض مخططات التشويه والاستلاب والمناداة بالتعريب والتونسة والتأصيل ، وكان لى شخصيا شرف المشاركة فى فصول من ملحمة الفكر تندرج كلها فى اطار عقيدتنا الثابتة . وهذه الفصول من الملحمة هى فى الحقيقة معارك ضارية تسلحنا فيها بايمان قوى لا يأتيه الشك وصبرنا فيها على المكاره والاسفزازات العديدة التى ربما أثرناها فى مجال قادم وقاومنا خلالها مرابطين ضد اجهزة اعلام عالمية عاتية تهب ضدنا ومنها جريدة لوموند مسموعة الكلمة لدى النخبة الوطنية آنذاك وصاحبة « القول الفصل » فى قضايانا الثقافية حسب مفهوم بعض « المثقفين » . أوْل فصول الملحمة كان الاقدام على اقامة اسبوع التعريب ، وقد كان الاستاذ محمد مزالى متفرغا لشؤون الفكر لا تشغله من المسؤوليات الا عضوية مجلس الامة . وهو الذى تحمل قبل ذلك الوزارات الجسام وتحلى بالكفاءة والاقتدار الى جانب الانضباط السياسى والتعلق بالمبادىء البورقيبية . وأذكر ان معركة التعريب تميزت بذلك الاجتماع المشهود فى دهليز دار الثقافة ابن رشيق والذى نظمه الاستاذ البشير بن سلامة واشرف عليه الاستاذ محمد مزالى . فاذا بما سميناه منبرا حرا حول التعريب يتحول الى تظاهرة حضارية فكرية توافد عليها أهل الثقافة والادب والتربية والاعلام من كل حدب وصوب وجاءت مجموعات من طلبة الجامعة بين مؤيدة ومعارضة ولا أذكر شخصيا انى رأيت مثل ذلك الجمع من الحاضرين فى اية مناسبة ثقافية فى العشرين سنة الماضية . فاكتظ الدهليز وضاقت الدار بأسرها ونصبنا

مضخمات الصوت في شارع باريس لتتوقف حركة المرور وسمعنا الاستاذ محمد مزالي يجمع بين الحماسة المشروعة والشجاعة السمحاء واستعمال قوة الحجة والاقناع بأحداث التاريخ قريبه وبعيده . ودار النقاش بعد ذلك حامي الوطيس وسمعنا من تسلح بالسباب والشتائم من يمين متحجر الى يسار متخلف ضد دعوة (الفكر) الى تأصيل التربية ومقاومة الاستعمار الثقافي واحلال العربية منزلتها . واذكر ان الندوة التي كانت تلك جلستها الاولى والاخيرة احدثت الرجة المنتظرة في المجال الثقافي وحتى السياسي التونسي مما عجل بعد ذلك بردود فعل من يحنون الى الاستعمار الثقافي ممن سميناهم بالمصابين بعقدة احتقار انفسهم .

وجاءت المعركة الثانية : مقاومة الحملة الاستعمارية « التعاونيه » الشرسة بعد صدور مقال بجريدة لوموند يشوه صورة تونس الحضارية ويقدمها من خلال اقلام واهية تلثغ بالفرنكوفونية على انها ثمرة « التعاون الثقافي » وعلى ان شعبها هو الحمل الوديع في زريبة المحيط الفرنكونوفي فكتب الاستاذ مزالي في نوفمبر 1970 قائلا :

« التعريب مقوم من مقومات التونسة كالدين الاسلامي الحنيف فهو ضرورة حتمية ما دامت لغة البلاد التونسية هي العربية ولابد من مجهود شجاع لتعريب المواد الاساسية . . »

كما كتب في غرة فيفرى 1971 في مقال بعنوان (الالتباس الكبير او ما أبعد ما بين الكأس والشفاه !) قائلا :

«ونقول بكل هدوء للذين يرومون الاستعاضة عن الامبراطورية الاستعمارية المفقودة بامبراطورية ثقافية والى « الرفاق » الذين يطمعون في تجريب نظرياتهم الماركسية أو المركوزية أو الفوضوية بأوطاننا فيمارسون نوعا من الارهاب العقائدي تجاوزته الاحداث انه يجب ان نرفع هذا الالتباس الكبير الذى علق بمعنى التعاون الثقافي لان طبيعة الاشياء وارادة هذا الشعب ماضيا وحاضرا جعلتا من هذه البلاد أمة عربية اسلامية ذات شخصية مميزة منيعة ابد الدهر » .

ويمكن للدارس اليوم ان يزن مدى الجسارة التي تحلى بها رجال « الفكر » آنذاك حينما يعلم ان النخبة الوطنية لم تكن مهيأة لاعطاء هذا الموضوع ما يستحق من أهمية . بل ان الخطاب السائد في مطلع السبعينات هو ان قضية التعريب

قضية مغلوطة وان المهم اشاعة العلوم والتكنلوجيا وان الثقافة العالمية في شعورهم الباطن هي الثقافة الفرنسية المهيمنة .

ويمكن التأكيد ان الاستاذ محمد مزالي عندما يولي هذه القضية الاساسية ما تستحقه من عناية وتعريف انما لايمانه انها تمثل المنعرج الحضاري للفكر الوطني حتى يتحمل اعباء رسالته وينهض بتونس متى عادت للمثقف التونسي ثقته بذاته وقدراته ولغته وتراثه وامجاده فيعود يلقى على الثقافات الاخرى نظرة الند للند . نظرة خالية من عقد الاستنقاص والانحناء . ولو لم يحصل للفكر غير شرف اذكاء الجذوة الوطنية لكفى ذلك اهل الفكر فخرا .

.فالفكر كانت المدرسة النضالية للثقافة الوطنية الحق ، بل يمكن ان نعدها البعد الثقافي الضروري الحي للحركة الوطنية ولدت في غمرة الاستقلال السياسي لترسخه وتدعم اركانه ولتبشر بالاستقلال الاصعب والاعسر : استقلال الفكر التونسي من رواسب الاستعمار الثقافي والتنصيري واللغوي وبعث جيل من الوطنيين الخلص المجاهدين بالقلم المهتدين بنور الحق ضد جحافل الباطل .

ولقد عشنا معركة بيان المثقفين ضد ما صدر بجريدة لوموند عدد الاحد والاثنين 11 و 12 افريل 1971 ، في كنف نفس تلك المبادىء التي نعتنقها ، فكنت ممن طاف بالبيان اعرضه على امضاء اخواننا المثقفين الذين هبوا موقعين عندما تأكدوا ان الاستاذ محمد مزالي امضاه ، وامتنع البعض ممن كان يتحمل مسؤوليات متوسطة خوف اثارة « من له النظر » . وأعترف انني الى اليوم وبعد خمسة عشر سنة لم انس جسارة بعض الممضين على البيان في حين لم اكن اتوقع امضاءهم كما لم انس امتناع البعض عن الامضاء في حين كنت اعتقد ان امضاءهم مضمون وانهم عندما تهدد شخصية البلاد الفكرية لا يترددون عن الصدع بكلمة الحق . . وعرفني البيان بمن اخلص للثقافة الوطنية ومن كان يتعامل مع مواقفه بحسبان والجدير بالذكر ان افتتاحية ماي 1971 بعنوان (الى من يظلم الادب التونسي) تعد وثيقة هامة في سجل هذا الملف الدسم .

ولعل المجال يضيق باستعراض فصل آخر من الملحمة عشتها بحماس وهو فصل تأسيس اتحاد الكتاب التونسيين اذ كنت من بين من طالب منذ 1966 بالملحق الثقافي لجريدة (العمل) بتأسيس اتحاد للكتاب وكنت اعلم ان بعض اساتذتنا مترددون ازاء بعث هذه المنظمة لما يمكن ان يوحى به هذا الاتحاد من

املاء وتوجيه ورقابة وتدخل ، لكنى كنت معتقدا ان هذه المنظمة ستتسامى عن السلبيات لترفع من منزلة الكتاب وتجمع جهودهم وتحلهم المحل الارفع ..

وأذكر ان زملائى الكتاب شرفونى بتحميلى مسؤولية عضوية اول هيئة مديرة لاتحاد الكتاب وكانت جلساتنا الاسبوعية بمقر الاتحاد الذى هو مقر الفكر مناسبات للالتفاف حول رئيسه والاستماع الى تحاليله الجامعة بين الهدوء والحماس ولا أذكر انه فى أية لحظة من العامين والنصف استبد برأى او فرض منهجا او رفض فكرة وقد كان لتلك الهيئة شرف تنظيم المؤتمر الثامن للادباء العرب بتونس فى مارس 1973 ولنا مع هذا المؤتمر قصص وطرائف وذكريات سوف نرويها فى غير هذا المجال .

تلك بعض الخواطر والهواجس الحبيبة الى القلب ، عسر على قلمى اختزالها او استحضار أهمها نظرا لتزاحمها على الذاكرة المتعبة وشق على النفس كتمانها او انتقاء ما ينفع هذا الجيل منهـا لانها ارتبطت بالشباب المتوهـج ، والشباب اسعد مراحل الحياة واسخاها واعنفها واشدها تعلقا بالمطلق .

فهيهات ان استحضر تلك الروح الجياشة فى عمق عواطفها وجلال عواصفها، وهيهات لهذا القلم الذى هجره الادب من سنين طويلة ان يحيط بالذاكرة الهاربة وحسبه اليوم ان يمسك بجزء يسير من تلك الملحمة وهو متأثر للسنوات الثلاثين التى نحتفل بمرورها على ميلاد مجلة الفكر ، حيث كتب لى ان اعيش عشرين منها بفضل ما حبانى به الاستاذ محمد مزالى من معانى الرعاية والعناية بتواضع جم لا انساه كان له الاثر على توجيهى لمناهج الاصالة والاعتزاز بالذات وكذلك بفضل رحابة صدر الاستاذ البشير بن سلامة الذى كان اول من شجعنى ونشر لى فى (الفكر) منذ اثنتين وعشرين سنة ولم اجد فيه الا الاخ الاكبر والمعلم المتعاطف .

فاليهما والى كل من ساهم فى ملحمة الفكر عرفان من الاعماق .

أحمد القديدي

دَوْحَةُ الفِكْر

شعر: حمادي الباجي

هيَ الفِكرُ فَلْتَصْدَعْ بآياتها المُثْلى   وَقُلْ: هلْ لنُور الفِكرِ قد أبصَرُوا مثلا؟
ثلاثونَ عاما وَهيَ تسعَى ولَمْ تَزَلْ   إلى أفُقِ العَلياءِ لا تعرِفُ الكَلا
وَمنْ كانَ منْ صُنعِ مزَالي مُحمّدٍ   أيُقعِدُهُ عجزٌ في (مواقفِهِ)؟ كلا
وَمَا الفِكرُ إلاّ مِنْ صَنيعِ نُبُوغِهِ   يُرِيكَ جمالَ النّفْسِ في مثلِ أعلى
مَجلّتُهُ الغرّاءُ إنّي أخالُهَا   من الصّحفِ الأولى على السمع إذ تتلى
هِيَ الفِكرُ غَرْسٌ في ثرَانا مُبارَكٌ   وَقدْ أثرَتِ الأفكارَ أثمارُهَا فِعْلا
وَمدّتْ على وَجْهِ البَسيطَةِ ظِلّهَا   فاسعد به نورا ، وأطيب به ظلا
أكادُ بِها منْ كَوْثرِ الخُلدِ أنتشي   وَمن جنّةِ الفرْدَوْسِ أستنشقُ الفُلا
وَللبُلغاءِ الفُصْحِ فيها حدَائِقٌ   بَلابِلُها منْ فَوْقِ أغصانِها جذلى
يُمَلّ أريجُ الرّوْضِ إلاّ أرِيجُهَا   وَمنْ عَجبٍ أن كانَ قد أنعشَ الطلا
فِداها دِمائي عندَ نَشْرِ قَصائِدي   بِها فَهِيَ من أزْكى صَحائِفِنا نُبْلا
وَلا غَرْوَ انْ مَجّدْتُ فِيها بَشيرَهَا   وَأكرِمْ بهِ ما بَينَ أحضانِها نَجْلا
فتى هامَ بالفُصْحى فَجدّدَ رُوحَهَا   وَحرّرَ من آيَاتِها المَنْطِقَ الفَصْلا
فكان الصّدى الأعلى لِفكرِ مُحمّدٍ   مِنَ الصّغَرِ النّامي إلى أن غدا كهلا
وَقالوا: وَهذا الشّرْق للشّمس مطلعٌ   وَكُتّابُهُ مِنّا بِآدَابِهِمْ أوْلَى
ألمْ يَنْظُرُوا شَمسا لِفِكرٍ مُفتّحٍ   بتونِسَ وَهيَ اليوْمَ من شمسِهِم أجلى

وَما الفكرُ إلاّ وَمْضَــةٌ تُونِسِيَّةٌ   أبى اللهُ إلاّ أنْ يُنِيرَ بها العقْـلاَ
لَها السِّحْرُ طَبْعٌ وَالجَمالُ سَجِيَّةٌ   فلا سامريٌّ حَوْلها يُنطِقُ العِجْـلاَ
وَأَلوَاحُ موسى قدْ مَحاهَا مُحَمَّدٌ   بِقُرْآنهِ الأَسْمى وَآيَاتِهِ المُثْلَى
وَفي تونس الخضْرَاء عُرْبٌ فطاحلٌ   يُرِيكَ يَرَاعُ المجدِ قوْلهُمو الجزْلاَ
أشَاعوا على الدّنيا فرَائِدَ حِكْمَةٍ   فَكانوا بِحقّ في مرَابِعِنا رُسْلاَ
وَهاهِي ذي (الفكرُ) امتدادٌ مُجدّدٌ   لماضٍ لهُ التَّاريخُ قد جدّدَ الوَصْلاَ
تناهتْ مَعانِي الخَلقِ فيها وقد بدتْ   بِديبَاجَةِ الإبدَاعِ تَستأصِلُ الجهلاَ
تُجَدّدُ للنَّاسِ الوَفَاءَ بِعَهدِهَا   وَيسبِق منها الفعلُ في جدها القوْلاَ
وَقدْ وَافقَ الإقبَالُ موْقِعَ سَعيِهَا   فما استصْعبت صَعبا ولا استطرَقت سهلا
وَصَاغتْ من الحَقّ المُبِينِ شِعارَهَا   وَيَتبعُ منها الفرْعُ في نبتِهِ الأَصْلاَ
وَقدْ عقَدَتْ تاجا منَ النُّور مشرقا   ألا حبّذَا تاجٌ منَ النُّورِ لا يبْلَى
حوَتْ من بِحار العِلمِ كلّ جوَاهر   وَقد زَادَها الرّحمانُ من فضْله فضْلا
سُطورٌ كمَشدُودِ المثانِي وَأحْرُفٌ   مُنغَّمةُ الإيقَاعِ في رِقّةٍ تُتْلَى
وَمعنى من التّنْزِيلِ أُحْكِم نَسجُهُ   وَمَضْمونُه الإعجازُ يستصْغرُ الشّكلاَ
وَيُنبُوعُ آدَابٍ وَهَيْكلُ حِكمَةٍ   رَأيتُ بها سُقرَاطَ في ظلّها صَلّى
تُقَابِلُ إعجابَ النُّهَى كلَّ مطْلعٍ   من الشَّهر كالعذرَاء إن لم أقلْ: أحلَى
فماذَا عَسانِي أنْ أقُولَ بِعِيدِهَا   وَحوْلي أرَى الأملاكَ تستعرض الحفلا

حمادي الباجي

«الفكر» مجلة عربية رائدة

بقلم: رابح لطفي جمعه
(القاهرة)

أجد لزاما علي أن أتحدث عن « الفكر » كمجلة عربية رائدة وعن اثرها في النهضة الادبية والفكرية والثقافية المعاصرة ، ان ألقى نظرة عجلى على الصحافة الأدبية في تونس اعتبارا بأن الصحافة كانت ولا تزال في كل زمان ومكان هي المتنفس المتاح للكتاب والشعراء وحملة الأقلام يعبرون من خلالها عن آمال شعوبهم وآلامها وعن قضايا مجتمعهم وتطلعاته ، كما انها المرآة التي تنعكس عليها مختلف التيارات الأدبية والفكرية والمذاهب الاجتماعية والسياسية .

ولعله أن يكون غنيا عن البيان أن مسيرة النشر والطبع في تونس من مطلع هذا القرن العشرين . كانت طول عهد الحماية لا تساعد على إبراز النهضة الأدبية والانتاج الأدبي التونسي .

على أنه بالرغم من كابوس الاستعمار الأجنبي الذي جثم على صدر البلاد وعلى الرغم من أغلال الحماية وقيودها وسطوة الاحتلال وقهره ، فلم تعدم تونس رئة تتنفس من خلالها ونافذة تطل عبرها متمثلة في مجلتي السعادة العظمى للشيخ محمد الخضر حسين ومجلة خير الدين لمحمد الجعايبي . فقد كانت هاتان المجلتان علامتين بارزتين في طريق النهضة الادبية والفكرية وحررتا الادب من تبعته للصحافة السياسية ، فبدأت الأقلام تهتم بالدفاع عن الشعب والانتصاف للمظلومين والتغني بالحرية والمناداة بالتحرر ومناهضة الاستعمار . وأخذت أصداء الحرية تتردد في النتاج الادبي التونسي وتحدد للأدباء دورهم الطليعي في تحقيق المطامح الشعبية . ونادت مجلة السعادة العظمى بأول ثورة على الشعر الكلاسيكي

ودعت الى مفهوم جديد وعصرى للشعر من حيث الشكل والمضمون فى حين أقدمت مجلة خير الدين على نشر أول قصة تونسية فى العصر الحديث ، ولم تعزل الصحافة الأدبية التونسية نفسها عن الآداب الاوربية فبدأت تعنى ولأول مرة بترجمة الشعر الافرنجي لتؤكد انفتاح الأدب التونسى على الآداب العالمية .

وعلى إثر معركة الجلاز سنة 1911 أصدرت السلطات الاستعمارية قرارا بتعطيل جميع الصحف العربية فى تونس فأصيبت الحركة الأدبية والفكرية بنكسة ثم نشأت بعد ذلك احزاب سياسية وسمحت السلطات بعودة الصحف المعطلة كما سمحت بصدور صحف أخرى جديدة ، فكان هذا القرار انتصارا للشعور الوطنى بقدر ما كان انتصارا للأدب والفكر التونسى .

ووقف وراء كل صحيفة ومجلة نخبة من الأدباء والشعراء وحملة الأقلام يشدون أزرها ويقوون من عزائم الزعماء وعادت أنغام الحرية والاستقلال تتردد على صفحات جريدة المبشر وصدى الساحل وافريقيا والنديم والاتحاد والحقيقة والعصر وغيرها من الصحف والمجلات الوطنية ، كما عاد الحديث عن الأدب مفعما بالأمل فى التجديد ومواكبة التطور الحاصل والأوضاع السياسية فى البلاد ، وأصبح الشعر العصرى حقيقة واقعة لا سبيل الى إنكارها أو جحدها ، وأصبح الشاعر التونسى صوتا لمجتمعه يعبر عن آلامه وآماله ، ومن ناحية أخرى تطورت القصة التونسية من فن المقامة فى كتابات محمد العابد الترهاني واقتربت من مقومات القصة بمفهومها الفنى فى كتابات محمد البشروش وزين العابدين السنوسى ومحمد العريبى وقد حاول هؤلاء الرواد معالجة القضايا المختلفة التى كانت تحتمها مقتضيات الواقع الذى كانوا يعيشونه .

وما ان وقعت حادثة سوق الأربعاء وحادث إطلاق الرصاص على عمال ميناء بنزرت وحادث المرسى فى الربع الأول من هذا القرن ـ وهى جميعها حوادث معروفة لا تنسى فى تاريخ تونس المعاصر ـ حتى هب الشعراء يسجلون تلك الأحداث الدامية والتحمت رسالة السياسى والصحفى برسالة الأديب والشاعر .

ثم كان أن صدرت مجلة العالم العربي في الثلاثينات من هذا القرن وتولى تحريرها الأديب الموسوعي زين العابدين السنوسي وضم الى أسرة التحرير كوكبة من الشباب المثقف وتبنى المحاولات التى ظهرت فى ادب أبى القاسم الشابي ومصطفى خريف ومحمد البشروش والهادى العبيدى ومحمد بن سالم والتيجانى بن سالم وغيرهم . ولم تلبث تلك المجلة أن احتجبت بعد ثلاث سنوات من صدورها ، وعلى اثر انقطاعها عن الظهور صدرت مجلة المباحث سنة 1938 لصاحبها الأديب الشاعر محمد البشروش فالتف حوله نخبة من الأدباء التونسيين من أمثال محمود المسعدى وعلى الدوعاجي ومصطفى خريف ومحمد الصالح المهيدى والفاضل بن عاشور والهادى العبيدى ومحمد السويسى ومحمد الحليوى وغيرهم ، إن المجلة لم تلبث أن احتجبت هى الأخرى بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية .

ومما يذكر لهذه المجلة أنها عملت على إبراز معنى الثقافة وإبراز ملامح الذاتية التونسية ووصل المثقف بأحداث حياة شعبه اليومية وأعلنت على صفحاتها أن رائدها هو الوفاء للثقافة الاسلامية العربية التى هى أعز مظاهر حضارة البحر الابيض وأشدها حيوية وأعمقها أصالة فى توطيد الصلة بينها وبين غيرها من الثقافات الأجنبية التى تستمد روحها وتستلهم وحيها من صفاء هذا البحر .

جاءت مجلة المباحث فى وقت ازداد فيه تفاعل البلاد بما حولها من الأحداث وانتشر فيه الوعى السياسى والثقافى بين أفراد الأمة وأصبحت فيه قضية التحرر الوطنى شاغلها الشاغل وهمها المقيم المقعد، يحمل شعلتها صفوة من الشباب المثقف . فاسهمت المجلة فى خلق معنى جديد للثقافة يتلاءم مع التطلعات الشعبية . بيد أنها كما سبق أن ذكرنا لم تلبث أن احتجبت الى أن ظهرت مجلة الندوة سنة 1953 فأعادت الى الأذهان ذكرى مجلة المباحث واتسم ما تنشره من نتائج أدبى بطابع التجديد والانفتاح ، ووجد الشاعر التونسى فيها نافذة يطل منها وخميلة يتفيأ ظلالها فظهرت على صفحاتها كوكبة من الشعراء أمثال محمد العروسى المطوى وأحمد اللغمانى ومحسن بن حميدة وظلت تلك المجلة تؤدى رسالتها نحو الأدب التونسى المعاصرة حتى انبثقت سنة 1955 مع تباشير فجر الاستقلال الوطنى مجلة « **الفكر** » لمؤسسها الاستاذ الكبير والأديب المفكر محمد مزالى .

هذه لمحة عجلى عن الصحافة الأدبية فى تونس وجدت لزاما علي أن استعرضها كخليفة لذلك المشروع القومى العظيم الذى اضطلع به أستاذنا

الكبير محمد مزالي وأسهم فيه الأستاذ الأديب البشير بن سلامة بجهده وإخلاصه ووطنيته وقلمه كرئيس تحرير للفكر .

لقد دخلت النهضة الادبية والفكرية التونسيةالمعاصرة مع ظهور مجلة الفكر مرحلة جديدة بكل ما تعنى هذه الكلمة ، فاضفت على هذه النهضة طابع الجدة ونفثت فيها روح المثابرة وأمدتها بقوة وحيوية وغذتها بدماء جديدة جرت فيجسدها وعروقها وشرايينها مجرى الماء العذب فى العود الأخضر ، فأخرجت تلك النهضة شطأها وأينعت وازدهرت واستوت على سوقها وآتت أكلها وأثمرت وأصبحت «الفكر» بحق عنوانا علىالنهضة الأدبية التونسية المعاصرة فى كل محفل وناد وعند كل أديب ومفكر ومثقف داخل البلاد وخارجها ، فالحقيقة التى لا سبيل الى إنكارها أو الغض منها أن مجلة الفكر فى مجال الصحافة الأدبية الجادة الهادفة الى التنوير والتثقيف تعتبر بحق وبكل المقاييس مجلة رائدة فى هذا المجال ولها اثر فى النهضة الادبية والفكرية المعاصرة فى تونس لا يدانيه أثر .

والحديث عن الفكر متعدد الجوانب متشعب النواحى ، فهى أشبه بالبلورة التى تشع بأضوائها المختلفة فى جميع الاتجاهات والمجالات ، وكل شعاع من هذه الأشعة يمثل جانبا من جوانبها المتعددة وناحية من نواحيها المختلفة

ولعل الأدباء والشعراء والكتاب الذين أسهموا فى مهرجان العيد الفضى للفكر سنة 1980 أن يكونوا قد غطوا بعض هذه الجوانب أو تعرضوا لبعض تلك النواحى ؛ فتحدثوا فيما تحدثوا عنه عن ظاهرة استمرار تلك المجلة وصدورها دون انقطاع طيلة ربع قرن من الزمان وتحدثوا عن أسباب هذا الاستمرار وتعليله ونضال المجلة طوال هذه الفترة ووقوفها بعزيمة وإصرار فى وجه جميع العقبات والصعاب التى واجهتها وثباتها بقدم راسخة أمام جميع التحديات التى صادفتها ومقاومتها لعوامل القهر والاحباط .

كذلك تحدث المتحدثون فى مهرجان الفكر عن رسالة المجلة فى خدمة الأدب وإسهاماتها فى نشر الوعى القومى والتعريف بالأدب والفكر التونسى المعاصر وعن انفتاحها وتفتحها على كل التيارات والاتجاهات والمذاهب الأدبية والفكرية والثقافية المعاصرة ورعايتها لكل المواهب الأصيلة والمحاولات الجادة الواعدة سواء فى ميدان الشعر والقصة أو الرواية أو المقال أو الدراسات النقدية ولاجتماعية والتاريخية .

وبطبيعة الحال لن أتحدث في هذا المقال فيما سبقني اليه المتحدثون والاكان الحديث معادا والكلام مكرورا . وإنما حديثي عن الفكر في هذه المرة بمناسبة مرور ثلاثين عاما على صدورها سيكون عن بعض الجوانب لهذه المجلة باعتبارها مجلة عربية رائدة في مجال الصحافة الأدبية في تونس .

لقد ظهرت الفكر أول ما ظهرت سنة 1955 كما سبق أن ذكرنا ، وبعبارة أخرى انبثق فجرها مع تباشير فجر الاستقلال الوطني بقيادة المجاهد الأول الحبيب بورقيبة . ظهرت بعد أن عاشت البلاد حقبة طويلة في ظلام الاستعمار بكل ما في هذا الظلام من ظلم واضطهاد وهيمنة واستعباد وسيطرة وقهر وتجبر وتقييد للحريات واستهانة بالحرمات واعتقالات وسجون ونفي ومصادرة للأموال والممتلكات ومحاولات لطمس روح العروبة والاسلام في الشعب التونسي .

ظهرت الفكر بعد مرحلة طويلة من النضال الوطني والكفاح القومي وبعد تضحيات بطولية جسيمة من أبناء الشعب التونسي ، وعاصرت كل الأحداث الكبرى التي واكبت عهد الاستقلال في الجمهورية التونسية الفتية وفي الوطن العربي الكبير من مشرقه إلى مغربه بل في العالم أجمع بتياراته ومذاهبه وإيديلوجياته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المختلفة والمتصارعة ، عاصرت المجلة كل الأحداث وعاشت في صميمها وانفعلت بها وبهموم العصر وقضاياه الفكرية الحديثة عربية كانت أو أجنبية .

إذن فقد كان وراء هذه المجلة قبل ظهورها رصيد كبير من النضال والصمود والتحدي والمشاكل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والقضايا الفكرية والثقافية والتربوية ، بقدر ما عاشت بعد صدورها في خضم الأحداث الكبرى وانفعلت بها وتفاعلت معها وشاركت فيها بالرأي والموقف وأسهمت فيها بالتوجيه والارشاد .

من هذا المنطلق ومن تلك الخلفية نستطيع أن نتبين بوضوح ثلاثة ملامح أساسية في مجلة الفكر كمجلة عربية رائدة في مجال الصحافة الأدبية والثقافية في تونس ، هذه الملامح هي في الحقيقة والواقع نتاج لهذه الخلفية وحصيلة لها وفي الوقت نفسه تفسر لنا دور الريادة الذي قامت به هذه المجلة وتوضح لنا دورها في النهضة الأدبية والفكرية المعاصرة في تونس . هذه الملامح أو تلك الركائز الاساسية هي الأصالة والمعاصرة

والتفتح ، وكل ملمح من هذه الملامح وكل ركيزة من هذه الركائز يمثل جانبا من جوانب الفكر ويعتبر صدى من أصداء ماضيها وحاضرها ومستقبلها إن شاء الله . وبعبارة أخرى يمثل حصيلة من محصلات الأمس الذى عاشته تونس واليوم الذى تعيشه والغد الذى تتطلع اليه .

فالأصالة رد على الماضى الاستعمارى الذى عاشته تونس منذ ليل الاحتلال حتى فجر الاستقلال .

والمعاصرة انفعال بالحياة المعيشة بكل مشاكلها وتياراتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية والثقافية والأدبية .

والتفتح تطلع للمستقبل وتبشير بكل جديد فى عالمنا المعاصر ودليل حيوية وعامل استمرار .

هذه الملامح أو تلك الركائز اجتمعت كلها فى مجلة الفكر ، وهى الوقت نفسه ملامح وركائز للنهضة الأدبية المعاصرة فى تونس التى تحمل الفكر لواءها وترفع مشاعلها .

فبالنسبة الى الملمح الأول وهو **الأصالة** ، فقد وجدت الفكر المناخ ملائما فى تونس الحرة المستقلة بعد أن حطمت البلاد قيودها وملكت زمام أمورها وقضت على عوامل القهر والاحباط والهيمنة التى تسلطت على مجلاتها وصحفها وكادت تشل حركتها الفكرية والثقافية . فالأصالة التى تمسكت بها مجلة الفكر تعنى فى المقام الأول التمسك بالعروبة الحق والروح الاسلامية الخالصة والحفاظ الواعى على التراث بكل ما فيه من عراقة وعبقرية .

ولا يتوهمن أحد أن الأصالة معناها رجوع إلى الوراء أو ارتداد إلى الخلف أو دعوة الى الجمود والتحجر والتمسك بالرسوم والأشكال وإنما الأصالة هى التجاوب مع النبض العربى والتحليق مع الروح الاسلامى والوفاء لمقدسات الوطن واستخراج كنوز التراث الاصيل وتجليته وتذوقه . كذلك لا يتوهمن أحد أن الأصالة معناها الانعزال عن الأمة العربية الاسلامية أو أنها تنطوى على معنى من معانى المحلية المتشددة أو القومية المتعصبة أو المقابلة بين الشخصية التونسية وبين العروبة الاسلامية وإنما الأصالة

التي تتمسك بها مجلة الفكر كمجلة عربية رائدة هي الاصالة التي تبرز الذاتية التونسية بقدر ما تمتزج بالروح العربية الاسلامية وتنفعل بها وتتفاعل معها .

ومن هنا نستطيع ان نقول : إن ملمح الاصالة في مجلة الفكر هو عودة طبيعية الى الروح العربية الاسلامية بكل نقائها وصفائها وعراقتها وأصالتها وقد كان لهذه الأصالة أصداؤها على صفحات مجلة الفكر ترددت في تلك الدراسات الأدبية والتاريخية الجادة كما ترددت فيما تناولته المجلة من قضايا فكرية وأدبية وثقافية وتعليمية من زاوية عربية ومنظور إسلامي .

وقد عملت تلك الأصالة على إبراز الشخصية التونسية في النتاج الادبي والفكري المعاصر بقدر ما عملت على ابراز الروح العربي والاسلامي في ذلك النتاج ، فاستوحى كتاب المجلة وشعراؤها في هذا النتاج ظروف المجتمع التونسي وتاريخه وثقافته ولغته وتراثه .

وبعد أن ظهرت الفكر وقطعت هذه الخطوات العديدة في طريق الحياة الأدبية والفكرية في تونس استطعنا بكل وضوح في الرؤية وبكل تذوق للفن ان نتعرف على الأدب التونسي وأن نقف على سمات هذا الأدب وخصائصه ومقوماته ، فعرفنا أنه أدب غني وعريق ووفي لماضيه وتراثه ، يحمل في ثناياه الكثير من العناصر الجمالية والمقومات الفنية ، وتعرفنا من خلال المجلة على أسماء تونسية مبدعة في الشعر والقصة والرواية والمقال والدراسات النقدية والاجتماعية والتاريخية ، وقبل هذا كله وبعد هذا كله وقفنا على الذاتية التونسية أو الشخصية التونسية المتميزة في هذا الأدب واستطعنا أن نتعرف على الروح التونسية الأصلية العريقة في النتاج الأدبي والفكري وأن نلمس المقومات والعناصر العربية والاسلامية التي يستند إليها هذا النتاج ، كل هذا عرفناه ولمسناه ووقفنا عليه بعد أن ظهرت مجلة الفكر منذ ثلاثين عاما ، وأصبح الأدب التونسي بفضل هذه المجلة بكل ذاتيته ومميزاته وخصائصه ومقوماته ومذاقه وألوانه معروفا في مشرق البلاد العربية ومغربها .

أما عن ملمح **المعاصرة** فان هذا الملمح يتمثل في معايشة الحاضر بكل قضاياه الفكرية والثقافية الحديثة سواء كانت عربية أو أجنبية ، وقد شاركت المجلة بالرأى واتخاذ الموقف وأسهمت بالتوجيه والارشاد في كل القضايا المعاصرة سواء كانت اجتماعية أو ثقافية أو اقتصادية أو تربوية أو

ادبية أو فنية أو فكرية ، وكانت بحق تصويرا صادقا لمسيرة ثلاثين عاما من تطور تونس فى ميدان الفكر والأدب والفن والثقافة والتعليم وصورة أمينة لروح الامة التونسية المتطلعة الى الأحسن والأكمل والاجمل . وقد تناولت المجلة على صفحاتها قضايا حيوية معاصرة شديدة الارتباط بالمثقف التونسى بخاصة والحياة العربية التونسية بعامة .

ومن هنا فان كثيرا من كتاب المجلة وشعرائها كانوا فى نتاجهم الأدبى والفكرى صادقين مع واقع أمتهم أوفياء لقضايا وطنهم لا يعيشون مع خيالاتهم فى أبراج عاجية ولا يتقوقعون مع أوهامهم فى محارات منغلقة وإنما ينزلون الى ميدان الواقع يعبرون عن آمال شعبهم وآلامه وتطلعات مواطنيهم وطموحاتهم . سلاحهم الكلمة الشريفة والرأى السديد والنقد البناء . سواء اتخذ هذا السلاح شكل قصة أو رواية أو أفرغ فى قصيدة أو مقال .

إن المعاصرة . كملمح من ملامح مجلة «الفكر» تعنى المشاركة الايجابية الفعالة فى الحاضر المعيش بكل قضاياه وهمومه ومشاكله ، إنها نوع من الالتزام فى الأدب ، ومن هنا فان المعاصرة شديدة الارتباط وثيقة الصلة بالملمح الثالث من الملامح الاساسية لمجلة الفكر وهو التفتح . ولعل هذا الملمح أن يكون من أهم ما يميز الفكر عن غيرها من المجلات الأدبية التى سبقت فى الظهور ، ولعله أيضا أن يكون من أسباب استمرار تلك المجلة وصمودها طوال نيف وربع قرن من الزمان .

واقصد بالتفتح هنا كل ما تعنى هذه الكلمة من معانى التقبل والاستقبال ورحابة الصدر والترحيب .

وقد اتخذ هذا التفتح عدة مظاهر وعدة اتجاهات .

أول هذه المظاهر وتلك الاتجاهات هو أن المجلة لم تضع نفسها فى سجن مذهبى ولم تتعصب لمدرسة أو تيار فكرى أو أدبى معين ولم تتعصب لجيل دون آخر ، وانما تفتحت وتقبلت ورحبت بكل ألوان الانتاج ، رائدها فى ذلك الصدق والأصالة والتذوق الأدبي والارتفاع فى الخلق والابداع والابتكار . فكانت الفكر منذ صدورها ملتقى للأقلام الجادة فى تونس ومن مختلف الأقطار العربية ، فالتقى فى ساحتها المفكرون والأدباء العرب ودرج فى رحابها جيل من الشيوخ والكهول والشباب ، وقد حدد الاستاذ محمد مزالى فى السنوات الأولى من عمرها رسالتها بأن تكون ملتقى لأسرة

الادباء والمفكرين ومنبرا لكل الآراء الصادقة والافكار النيرة ورائدة فى إثراء التراث الفكرى فى الوطن العربـــى .

فكانت المجلة منـذ تأسيسهـا ملتقـى المثقفين والمفكـرين والادبـاء والكتاب والشعراء على اختـلاف اهتمـاماتهم ونزعاتهم وتبايـن مشـاربهم ومذاهبهم وتعدد أساليبهم ومناهجهم وتفـاوت أعمارهم ، فلـم تكـن مجلـة شخص أو جماعة بعينها وانما كانـت منبرا لكـل الآراء الصادقـة والأفكـار البناءة ومجالا لكل المحاولات الأدبية الأصلية . مبدؤها التمسك بحرية الفكر والذود عن حرمة المفكر والأديب ، ورائدها السعـي وراء الشخصية الأدبية القومية وإبراز الذاتية التونسية والقاء الأضواء على الواقع التونسى وتعزيز مقومات الثقافة الوطنية والاسهام فى إثراء التراث الفكرى فى الوطن العربى الكبير ايمانا منها بأن النهضة الأدبية المنشـودة ثمرة لجميع جهـود الأدباء مهما كانت أساليبهم ومدارسهم وأعمارهم .

وبقدر ما كانت مجلة الفكـر ملتقى المفكرين والأدباء العرب بقـدر ما كانت مدرسة حرة مفتوحة تلتقى فيها كل التيارات والاتجاهات والمذاهب الأدبية . تتقبل التغيير والتنوع فى الأفكار والأساليب ضمـن إطـار الوفـاء للأصالة والوطـن وتشجيع الحوار الايجابى بين مختلف الأفكار والتيارات ، تقارع الحجة بالحجة والرأى بالرأى الآخر بعيدا عن الاسفاف والابتذال .

هذا التفتح أعطى لمجلـة « الفكـر » عند القراء طعما خاصا ومذاقـا متميزا بين المجلات الأدبية الأخرى فى العالم العربى . وهذا هو الذى جعلها تتبوأ مكانها بين المجلات الفكـرية والأدبيـة التى عرفهـا الوطن العربى فى العصر الحديث وهيأ لها لان تكون رائدة فى مجالات شتى وميادين مختلفـة ومنارة توجيه وشاهدة عصر ووثيقة تاريخية لحركة الفكر والأدب والثقافـة فى تونس ، لقد حرصت الفكر منذ أعدادها الأولى على فتح صدرها للشباب سواء فى مجال القصة أو الرواية أو الشعر أو المقال أو النقد .

ويرجع الفضل لمجلة الفكر فى اكتشاف وإبراز القصة النسائية بمـا نشرته وتنشره لأديبات تونسيات من أمثال ناجية ثامر وعروسية النالوتـى وفاطمة سليم وحياة بن الشيخ ونافلة ذهب وفاطمـة حيدى ونعيمـة الصيد وشفيقة الساحلى وشريفة العرباوى وغيرهن . كذلك نشرت المجلة محاولات يوسف رزوقه ووحيد الخضراوى فى كتابة المسرحية الجديدة كما اكتشفت

الكاتب القصصى البشير خريف ونشرت روايته إفلاس أو « حبك دربانى » تلك الرواية التى أحدثت ضجة بين أنصار الفصحى والعامية .

أما فى ميدان الشعر فلم تغلب المجلة جيلا من الشعراء على جيل آخر بل فتحت صدرها لكل المذاهب والمدارس الأدبية ولكل المواهب الأصلية الواعدة فظهرت على صفحاتها أسماء، ولمعت فى سمائها أقلام وبرزت فى آفاقها مواهب ما كان لها من سبيل الى الظهور لولا ما تميزت به هذه المجلة من رحابة صدر وتفتح وانفتاح . وقد تعايش على صفحاتها الشعر العمودى والشعر الحر وتعايش الشيوخ والكهول مع الشبان المعاصرين بألوانهم الجديدة ونزعاتهم المختلفة ومحاولاتهم المتنوعة فكانت الفكر بالنسبة للشعر التونسى أشبه بالحديقة فيها الأشجار العتيقة الشامخة الضاربة بأصولها وجذورها فى أعماق الأرض وفروعها وأغصانها فى عنان السماء ، وفيها الأعواد الخضراء الغضة الطرية ، وفيها العيون الفوارة المندفعة وفيها الطيور بمختلف الحانها وتنوع أنغامها وتباين ضروبها . وفيها الورود والرياحين والازهار بمختلف ألوانها وعطورها وأشذائها ، وفيها الثمار الناضجة وفيها الثمار الغضة بمختلف طعومها ومذاقها ، كل هذا تجمع فى خميلة الشعر على صفحات الفكر فنشرت مزيدا من الشعر الحر بريادة محمد العروسى المطوى ومحسن بن حميده ثم انضم إليهما كثير من الشعراء مثل نور الدين صمود وجعفر ماجد وأحمد اللغمانى ، كما نشرت المجلة لأصحاب الشعر العمودى من أمثال الهاشمى زين العابدين والشاذلى عطاء الله ومحمد مزهود ومحمد الناصر الصدام ومحمد الشعبونى وغيرهم .

كما فتحت الفكر بعد ذلك ذراعيها لجماعة من الشعراء المتحمسين للجديد والطريف من الشعر الحر غير العمودى . وتخرج منها جميع الشعراء الشبان المعاصرين بألوانهم الجديدة ونزعاتهم المختلفة ومحاولاتهم المتنوعة مثل الصادق شرف (أبو وجدان) ومحيي الدين خريف وعبد الرحمان الكبلوطي والطيب الرياحى وعبد الحميد خريف ومحمد عمار شعابنية وعبد القادر شروده ، كذلك يرجع للفكر الفضل فى نشر المحاولات الجديدة فى ميدان الشعر لكوكبة من الشعراء الشبان أمثال محمد أحمد القابسى ويوسف رزوقه ورضا بوخريص ومحمد لطفى اليوسفى وحميده الصولى وكمال قداوين وسوف عبيد ومحمد ميلاد ، كما حرصت الفكر على أن تحتضن الشاعرات التونسيات الموهوبات من أمثال زبيده بشير وفضيلة الشابى وعائشة الخضراوى وحياة بن الشيخ وفاطمة الدريدى ،

هكذا كانت الفكر سجلا للحركة الثقافية والفكرية والأدبية فى القطر التونسى وكانت ولا تزال مدرسة للأجيال برزت على صفحاتها أسماء لم تكن معروفة فى عالم الأدب هى الآن أسماء لامعة فى مجال الفكر والثقافة ونجوم شارقة فى سماء الشعر والقصة .

وهكذا كانت الفكر نافذة نطل منها على إنتاج تونس بل انتاج المغرب العربى كله ، وهكذا كانت منبرا تعرف المشارقة من خلاله وبواسطته على الأدب التونسى المعاصر ، هكذا كانت مشعلا فى طريق النهضة الأدبية فى تونس واصلت وتواصل مسيرتها لتؤدى رسالتها فى خدمة الأدب وتطويره ومد الجسور بين الاجيال المتعاقبة والتيارات الفكرية التى يزخر بها عصرنا الحديث .

فليس غريبا إذن أن تكون الفكر مجلة رائدة فى هذه المجالات الأدبية والثقافية والفكرية والفنية وسرجعا هاما لرصد النهضة الأدبية المعاصرة فى تونس .

إن النهضة الأدبية والثقافية التى تعيشها تونس فى هذه الأيام مدينة لمؤسس الفكر ومديرها الاستاذ الكبير محمد مزالى وصحبه الأبرار من هيئة التحرير وفى مقدمتهم الأستاذ الأديب البشير بن سلامة رئيس تحرير المجلة .

ولا يسعنى وأنا اختتم حديثي إلا أن أدعو من صميم قلبي لمجلتنا العزيزة مجلة الفكر بالدوام والاستمرار والازدهار لتواصل مسيرتها وتؤدى رسالتها فى خدمة الأدب والثقافة ، رافعة رايتها حاملة مشعلها على طريق النهضة الأدبية المعاصرة فى تونس ، كما أدعو لمديرها ومؤسسها الاستاذ الفاضل والأديب الكبير محمد مزالى ولجميع العاملين بها بمزيد من التوفيق والسداد .

رابح لطفي جمعه
(القاهرة)

العيد الثلاثون لمجلة "الفكر"

شعر : محمد بن صابر

ثلاثون عاما من جهاد مجدّدِ … واشعاع نور من ضمير مجنّدِ
يواكب تحرير البلاد وقد هدى … (بفكر) نبيل ثاقب متوقدِ
وأيُّ سلاح في النضال سوى الذي … به جاد (فكر) فهو أمضى مهنّدِ ؟
وأخشى الذي تخشاه أعداء أمتي … هو العلم لا رشاشة المتوعّدِ
بدا نوره شرقا وغربا مبددا … دياجير وهم في النّهى متلبّدِ
تهادى بحسن مائسا متخايلا … تجنّى على من رامه بتصيّدِ
هو البحر فيّاضا حوى في بطونه … نفائس درّ حلية من زبرجدِ
فان كان منثورا سباك روائعا … وان كان منظوما فانغام منشدِ
سما طربا بالسّامعين الى السّما … على نشوة تلهو بعقل معربدِ
فيا جنة تلقى النفوس مرامها … لديها وتبقى في النعيم المؤبّدِ
ألم تستمع في أيكها شجو صادح … بأعذب ألحان الخلود مغرّدِ؟
ورضوانها الأسنى (مزالي محمد) … يقوم عليها الدّهر بالامس والغدِ
يؤازره في أمرها (بنُ سلامة) … (بشيرٌ) به تزهو.و (صادقُ) موعدِ
فجاءت عروسا تستبيح وتستبي … قلوبا تناجيها بمحراب معبدِ
ترفرف في جو المعارف حرّة … باجنحة التحليق في كل مقصدِ
تجوب الاقاصي والاداني فلم تدع … من العلم فنّا غير نهج معبدِ

فمن درر في نثرها نظم عقدها   الى سحر شعر من عرائس خرّدِ
(مواقف) لا تنسى شآبيب مزنها   بأرض موات لم تجد ريح منجد
تراءى (حديث الفعل) بالافق بارقا   يغازل في الانواء لألاء فرقد
أمين على حصن التراث أصالة   رعاها الليالي ناعما بتسهّد
حفيظ على صرح الحضارة قائم   سقاها ازدهارا واقيا من تبدد
يخوض غمار الحق لم يلو صامدا   بموج رهيب قد تلاطم مزبدِ
يغالب في الانواء سلطان هولها   واعصار ريح بالزوابع مرعد
ويعرج منها بانتشار حقيقة   كحسناء خصّت في البها بتفرّد
فراحتها جادت براح عتيقة   وتهفو باعطاف وخد مورّد
وغانية بالحسن تغني حبيبها   وتعطيه من خير الجنى في تودّد
فيا أمتي غنى الشروق بمغرب   وغنّي طلوع (الفكر) فيه ومجّدي
ويالك في الاخلاق دوحة سؤدد   ومصدر انعام بآلاء مورد !
ومفخرة الاسلام تاج عروبة   كسوتهما من عزمك المتجدّد
ألا دم عزيزا كالثريا بأوجها   تباركها الدنيا بذكر مخلّدِ

محمد بن صابر

من مكتبة القصة التونسية

الدقلة في عراجينها	البشير خريف
المنبت	عبد المجيد عطيه
عائشه	البشير بن سلامه
الدوران في المنحى المعاكس	محمد الدرويش
الوظيفة الثانية لليد	احمد الفهيري
عذابات العشق الأخضر	يوسف الخناشي

الشعر المعترض على عروض النظم من خلال مجلة «الفكر»

بقلم : محمد مصمولي

لأن مجلة « الفكر » للاستاذ محمد مزالي ليست فقط علامة مضيئة بارزة في التاريخ العام لانجازات الاستقلال ، وانما هي أيضا محطة العشق الاولى لاختلاجة الحرف والكلمة بين جوانح العشرات من ملكات الابداع لجيل الستينات، ولانها الارتعاشة الاولى في الخاطر وفي اليد لدى العشرات من شباب الادب لجيل السبعينات ولجيل الثمانينات ، فان الموضوع الذي لم يوضع بعد بشكل موضوعي حاسم في دائرة الضوء — والذي أسمح لنفسي برفعه «إكليل غار» الى الاستاذ محمد مزالي بمناسبة الذكرى الثلاثين لتأسيس مجلته — هو موضوع (**الشعر المعترض على عروض النظم من خلال « الفكر »**) ، وذلك لا فقط لان هذه القضية تتعلق بقصيدة النثر التي اتفق شخصيا مع الـذين يعتبرونها « قصيدة المستقبل » ، وانما بالخصوص للكشف عن جانب مستقبلي من منهج مجلة « الفكر » في التأسيس الثقافي وفي احترام الرأي المغـاير .. وفي الرهان مع طلائع الادب والفكر على الخطاب الابداعي البديل ..

و « الشعر المعترض على عروض النظم » الذي كتبه في تونس بعض أبناء جيل الاستقلال واحتضنته مجلة الاستاذ محمد مزالي .. على هامش احتضانها للادب التجريبي ولحركة الطليعة الادبية التونسية .. ليس شيئا آخر.. سوى أنه محاولة في التأسيس الثقافي لخطاب ابداعي بديل خارج القالبية والجمود ، وخارج المفروغ منه ، والمتفق عليه ، من مقاييس الشعر والنثر ...

واذا كان الاحترام لقوانين لعبة عروض النظم في « ألفيـة ابن مـالك » لم يكف لتحويلها من نثر منظوم .. الى شعر .. برغم حفاظهـا على « **الـوزن** » و « **القافية** » .. وعلى « **الصدر** » و « **العجز** » فهذا يعني — في جملة الاشياء

التي يمكن ان يعنيها ـ أن الشعر شيء وعروض النظم شيء آخر ، وأن الترادف بينهما لا يجوز ..

ليس معنى هذا أن كل قصيدة موزونة مقفاة .. نثر منظوم بالضرورة ولكن معناه .. أنها ليست شعرا بالضرورة .. لمجرد احترامها لقوانين لعبة عروض النظم .. وانما هي قابلة لان تكون شعرا بعروض النظم أو بدونه ، كما هي قابلة لان تكون نثرا .. بعروض النظم أو بدونه أيضا ..

وما قيل في عدم كفاية عروض النظم على صعيد القصيدة العمودية .. لتحويل الشعر الى نثر .. يمكن أن يقال عن « الشعر الحر » أيضا .. وذلك لتوهم أصحابه أن ممارستهم « **لسياسة التقشف** » في التعامل مع عروض النظم .. ضرب من التحرر الكامل .. في حين أن هذه الحرية ـ كما لاحظ ذلك « عبد العزيز قاسم » (1) « **لها حدودها وقيودها** » ما دام « **الشعر الحر يكاد لايستعمل الاالبحور التي يعتمد بناؤها تفاعيل الرمل والرجز والكامل والمتدارك والهزج وعوائق الشعر العربي تكمن في تركيب البيت بقدر ما تكمن في التفعيلة ذاتها . اذ الاوتاد والاسباب التي تتركب منها التفعيلة تجعل منها غالبا يضيق عن كثير من الكلمات فيلجا الشاعر الى استعمال المترادفات والى تغيير الصيغ ، فاذا المخاطب يصبح غائبا ، والغائب مخاطبا .. والى غير ذلك من الالتواءات والتحيل** » .

واذا كان النثر المحشور في وحدة البيت أو في وحدة التفعيلة الخليلية كثيرا ما تحول الى كلام « **مصور في صورة الشعر وليس بشعر** » كما يقول حازم القرطاجني في « **منهاج البلغاء** » فهذا معناه أن المحدود الفاصل بين الخطاب النثري والخطاب الشعري .. لا تكمن في « عروض النظم » الذي لا يمثل صفة السنية مميزة لبنية النص الشعري .. وانما في شيء آخر .. هو على وجه التحديد .. اللغة ..

وعلى هذا الاساس من الطرح الجديد .. لبنية الخطاب الشعري المغاير ارتكزت تجربة الشعر المعترض على عروض النظم .. لا فقط على صعيد جيلنا الادبي الطليعي في الستينات انطلاقا من مجلة « الفكر » .. وانما أيضا على صعيد مجلة (شعر) قبلنا .. وأيضا على صعيد غيرنا من الرواد .. في

(1) « **الفكر** » (السنة 13 ـ العدد 4) جانفي 1968 .

سوريا وفى الادب المهجرى .. وحتى قبل ذلك .. انطلاقا من أمين الريحانى فى بداية هذا القرن ..

كيف نشأ هذا الخطاب الابداعى المغاير لمعمارية القصيدة العربية بشكلها العمودى وبشكلها « الحر » .. وما هى الاسس النظرية التى يقوم عليها .. لتبرير شرعية اعتراضه على عروض النظم ؟

الدكتورة سلمى خضراء الجيوسى (2) تقول : « **حاول بعض الادباء أن يدخلوا الشعر المنثور على الادب العربى منذ بداية هذا القرن . كان أولهم أمين الريحانى الذى بدأ يكتبه منذ أول القرن حتى أننا نرى جرجى زيدان يستعمل هذا المصطلح لاول مرة سنة 1905 فى وصفه لمحاولات « الريحانى » فى هذا المضمار . وقد أطلق مارون عبود (فى عام 1926) لقب « أبى الشعر المنثور » على الريحانى . تأثر الريحانى كما ذكر هو نفسه فى مقدمته لمجموعة شعره المنثور** « بوالت ويتمان » . غير أن الناقد لا **يستطيع أن يلمح أثرا ظاهرا مباشرا** لتجربة الريحانى على من جاء بعده من الادباء . **أما الذى ترك ميسمه الاكيد** على شعراء النظم والنثر فى جيله والجيل الذى تلاه فقد كان **جبران . لقد كان جبران يملك موهبة شعرية فذة وكان الابداع يتدفق منه فى تعابير رومانطيقية تدفعها قوة عاطفية كبيرة** » .

نستنتج من كلام الدكتورة الجيوسى أن حركة الاعتراض على عروض النظم ليست سابقة تاريخيا .. لحركة الشعر الحر فقط وانما هى أيضا .. متزامنة مع بداية القرن العشرين .. وما لا يمكن أن نجارى فيه الناقدة الفاضلة هو تفسيرها لميسم جبران على شعراء النظم والنثر .. « برومانطيقيته » ، وذلك لان الميسم الاكيد .. يعود الى شىء آخر .. هو **اللغة « الجبرانية »** المغايرة التى جعلت منه بحق ــ وأكثر بكثير من أمين الرّيحانى ــ الأب الحقيقى لا فقط .. للشعر الرافض للوزن .. وانما أيضا للحداثة العربية أو .. للحداثة فى الادب العربى المعاصر ..

ألم يقل « جبران » (3) : « **خلقت لغة جديدة داخل اللغة القديمة . لم ابتدع مفردات جديدة بالطبع بل تعابير جديدة واستعمالات جديدة لعناصر اللغة** » ؟

---

(2) مجلة « عالم الفكر » ــ المجلد الرابع ــ العدد الثانى ــ 1973 .

(3) توفيق صايغ ــ « أضواء جديدة على جبران » ــ منشورات الدار الشرقية للطباعة والنشر ..

ما معنى هذا ؟

معناه أن جبران بخلقه للغة جديدة داخل لغة قديمة ، أي بابتكاره لنسق جديد في الاداء الفني ، وباكتشافه لعلاقات ثرية وموحية بين الكلمات والجمل والمفردات والفقرات قد فتح آفاقا بكرا أمام شعراء العربية ، ومهد الطريق ــ بأكثر مما كان يتوقع ــ للمفاهيم الحديثة للشعر القائم ــ كما يقول محمد علي اليوسفي (4) ــ على **نوع من التشكيل اللغوى** » وعلى طريقة فى البناء ، وعلى أسلوب من أساليب « **تاسيس كينونة الاشياء عن طريق الكلام** » أو بتعبير آخر .. « **أن اللغة مكونة كما بينت الابحاث اللغوية الحديثة من (دال) هو الصوت و (مدلول) أى الفكرة أو المفهوم ، ومن (دلالة) هى عملية الاحالة التى تحدث ذهنيا بين (الدال) و (المدلول) . والبناء الشعرى ، اى عملية الخلق الفني لا تتم فى نطاق (الدوال) فحسب ، بل تنشأ أساسا من علاقات تحصل بين (المداليل) وتتسم بكونها تلغى العادة المتبعة فى تركيب الكلام ولا تتماشى مع التقليد فتكسر المنطق وتؤسس ، تبعا لذلك ، آفاقا متنوعة من التصورات والرؤى تنسف طمانينة التراكيب اللغوية اى نسق الكلمات وقواعد تركيب الكلام المتجاوز اخيرا دائرة المعقول** » .

على هذا الاساس يمكننا نحن أن نفسر الميسم الاكيد الذى كان لجبران على شعراء النظم والنثر .. وفشل أمين الريحانى فى أن يكون لـه نفس ذلك الميسم .

ولسنا أيضا مع القائلين بأن للشاعر « **والت ويتمان** » ناقة أو جملا .. فى بروز الشعر المعترض على عروض النظم ، وذلك بالرغم من اعتراف أمين الريحانى نفسه بتأثره « **بوالت ويتمان** » . ولعل الأصح ، ليس فقط فى تفسير بروز الشعر المعترض على عروض النظم .. وانما أيضا .. فى تفسير النفس اللغوى المهجرى الذى أنشأ لغة جبران ، هو ــ كما يقول الياس خوري (6) ــ أن « كل شيء » بدأ « **يهتز منذ أن جاء الغرب الانبريالى غازيا** .

---

(4) محمد علي اليوسفي ــ فى بنية الشعر العربي المعاصر ــ سراس للنشر ــ 1985 .

(5) نفس المرجع .

(6) « الآداب » ــ كانون الاول (ديسمبر) 1977 ــ ص 156 .

فلقد ترافق التدمير الذى أصاب بنية الانتاج المحلية ، مع الجيوش القادمة بهدف تقطيع المنطقة أفقيا ، بعد أن قطعها الرأسمال الزاحف عموديا . اما على مستوى الثقافة والفكر فقد قاد رد الفعل الى أطر تشبه الهذيان ، وكانت محاولة الصد التراجيدية التى عبر عنها فكر الافغانى ، هى مزيج من الذهول ومحاولة التركب فى سياق الانهيار . اما على الصعيد الادبى فهذه هى المرة الاولى التى ياتى فيها النموذج صاعقا من الخارج ، لم يتعرض الادب العربى فى تاريخه لهزة بمثل هذا العنف . لا يمكن مقارنة الظرف الجديد بمرحلة نمو الترجمات الفارسية والهندية ولا بانكسار العمود الشعرى وبروز المحدث مع أبى تمام وأبى فراس ، الذى يجدي ، هو أنه على المستوى الادبى ، يفقد النموذج القديم ، ودفعة واحدة ، كل نموذجيته وسحره » .

وفى سياق هذا الفقدان للنموذج القديم لسحره ولقداسته .. ترجرجت اللغة الكلاسيكية .. بصعوبة .. و « **الاعصار الذى تعرض له كل شىء فى الشرق لم يستطع أن يخترق تخوم اللغة . بل أخضعها لانحناءات متعددة** ».. وفى انحنائها ــ كما يلاحظ دائما الياس خوري . « **استطاعت أن تتجدد ليس فقط فى الشعر ، بل وانطلاقا من الشعر فى جميع مجالات الكتابة** » .. وهذا لم يحدث وفق خط تصاعدى مطرد .. تدريجيا .. وانما فى سياق مد وجزر .. فالشابى والبشروش وخريف فى تونس الثلاثينات .. لم يقوموا باكثر من محاولات محتشمة فى النثر الفني وفى الشعر المنثور ..

تقول الدكتورة سلمى خضراء الجيوسى (8) : « **لقد اطلق جبران تيارا من الغنائية الشعرية والخيال الشعرى الراقى عبر النثر ، محررا اللغة الشعرية التى استفادت من تجربته النثرية الى اقصى حد .. غير أنه بالرغم من أهمية العطاء الذى أعطاه جبران ، الا أن الشعر المنثور فى النصف الاول من هذا القرن لم يكن مقدرا له أن يلعب دورا مهما بعد وفاة جبران . فقد دخل الشعر الموزون نفسه فى مرحلة تجريب مهمة وكان ينزع نحو الوصول الى المعاصرة فى أسرع وقت ممكن ، فما أن انتهى الربع الاول من القرن حتى كان واضحا ان ثورة الشكل فى الشعر العربى ، فى هذه الفترة ، لن تكون بهجر المنظوم كليا بل بتغييره . غير أن التجارب فى الشعر المنثور استمرت ولكنها لم تلعب دورا جادا فى الحقل الادبى ولم تقلق بال حماة العرف الشعرى المأثور**

---

(7) نفس المرجع .

(8) « عالم الفكر » ــ المجلد الرابع ــ العدد الثانى ــ 1973 .

قبل الخمسينات . أما العداء السافر لهذا النوع من الادب ، فلم يبدأ الا بعد صدور مجموعات متطرفة فى محاولاتها أمثال (سريال) وهى مجموعة من القصائد السريالية المنثورة أصدرها « أورخان ميسر » و « علي ناصر » فى حلب سنة 1946 مع مقدمة « لميسر » من الممكن اعتبارها « مانيفستو » الشعر السريالي فى العربية . وقد حملت مقدمتها تحديا لشعراء الوزن عندما أعلنت أن الشعر الموزون عاجز عن نقل الافكار والتعابير الحديثة » .

ولكن وبعد عام واحد من « المانيفستو » الذى أشارت الى صدوره الدكتورة سلمى أعلنت العراق ، انطلاقا من نازك الملائكة والسياب والبياتي .. حرب معركة « الشعر الحر » ، ثم ، وبواسطة مجلة « الآداب » البيروتية ، ذات الانتشار العربى الواسع والتوجه القومى الوحدوي (فى حياة الزعيم جمال عبد الناصر) ، لم تستطع تجربة الشعر المعترض على عروض النظم .. مجاراة قصيدة التفعيلة التى انظم اليها نزار قباني وصلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطى حجازى والعشرات غيرهم من كتاب « الآداب » فى المشرق والمغرب .. من الخارطة العربية ..

وحتى مجلة « شعر » التى صدرت سنة 1957 وتواصلت الى 1964 ثم عادت الى الصدور فى 1967 وتواصلت الى 1969 .. فان طرحها الجديد لقضية الشعر المعترض على عروض النظم وتركيزها على الاسس الجمالية والتقنية لقصيدة النثر .. بواسطة مبدعين موهوبين من طراز أدونيس ويوسف الخال وأنسى الحاج ومحمد الماغوط وغيرهم .. لم يصمدا (أى ذلك الطرح وهذا التركيز) أمام حديث الثورة والالتزام اللذين رفعت لواءهما من الخليج الى المحيط مجلة الدكتور سهيل ادريس الذى عرف كيف يضمن جمهورا واسعا بمواكبته للاحداث القومية وبتعبير كتاب « الآداب » وشعرائها بقوة عن المشاعر العربية العامة ..

ولأن يوسف الخال صاحب مجلة (شعر) لم يكن ـ كما بينت ذلك الدكتورة سلمى ـ « **رجل أعمال** » فى ترويج مجلته بواسطة ركوب رأس الموجة فى الصراع السياسى ، وفى استغلال الظرف المتاح على نحو ما فعلته « الآداب » التى وظفت ثورة « الشعر الحر » وحركة القصة والرواية فى المد الناصري ، واستقطبت القارىء العربى فى كل مكان ، فان يوسف الخال

---

(9) المرجع عدد (6) .

ومجلته .. لم يحدثا حول الشعر المعترض على عروض النظم .. الدوي النقدي الذى كان متوقعا ..

أما .. بروز نفس الخطاب الشعرى البديل فى مجلة « الفكر » (لكن بشكل مغاير) ضمن حركة الطليعة الادبية التونسية فى أواسط الستينات فقد كان بمثابة الحريق فى هشيم النقد التقليدى بشكليه : السلفى المدافع عن التراث بشكل غريزى بدائى .. أو الانطباعى المحافظ الذى يتهجم على الشكل الادبى المغاير لا لشيء سوى لانه مخالف للفكر السائد .. وللمثال المعتاد ..

وبالرغم من أن مجلة « الفكر » ليست مثل مجلة « شعر » من حيث تخصصها فى شكل أدبى دون آخر ، وانما هى مجلة تعتمد منهجا ديمقراطيا شموليا مفتوحا لكل الآراء والرؤى ولكل التيارات والمدارس ، **فانها بتعاطفها مع حركة الشعر الرافض للوزن الخليلي ومع الطليعة الادبية فى القصة والنقد، قد أقامت الدليل لا فقط على مصداقية منهجها الديمقراطى والشمولى المؤمن باحترام الخطاب الادبى المغاير وبتعددية المدارس ، وانما أقامت الدليل أيضا على جدية رهان صاحبها الاستاذ المفكر محمد مزالي ورئيس تحريرها الاستاذ البشير بن سلامه مع جيل الاستقلال على المستقبل وعلى التأسيس الابداعى لأدب طامح الى أن يكون بطرافته التونسية رافدا من روافد الادب العربى الحديث ..**

ومما لا شك فيه ولا نقاش ــ على الاقل بالنسبة الى النقاد المؤمنين بالحداثة وبالتحديث ــ هو أن الشعر التونسى ، منذ الاستقلال الى نهاية سنوات السبعين ، لم يعرف حركة بالقوة ، وبالاندفاع ، مثل هذه التى ظهرت باحتشام منذ 1963 حتى أصبحت اليوم .. واقعا ملموسا يؤثر فى دراسة الشعر التونسى ، بمعرفته أو بجهله ، وهذه الشرعية التاريخية التى اكتسبتها هذه الحركة بعد صراعات حبلى بالردود المختلفة من مناصر متحمس فى الدفاع ومن رافض لها ، متبرم منها ، مهاجم لها .. فى كل فرصة سانحة أو غير سانحة ..

ومرد ذلك أن هذه الحركة تجاوزت حركة الشعر الحر لتطرح قوانين جديدة تتعدى البنية الايقاعية ولتشمل متتاليات النص ، وقوانين البلاغة القديمة .. أى أن هذه الحركة قد اختارت المغامرة طريقا للابداع ، والحرية ــ حرية الخلق ــ منطلقا لكل ممارسة شعرية ، واكتشاف المجهول ركيزة أساسية من ركائز مشروع التأسيس ..

من هنا فان هذه الحركة تضعنا أمام الاستنتاجات التالية :

ـ 1 ـ إن مختلف التجارب التى أفرزتها هذه الحركة قد رافقها عمل نقدي وتنظيرى قام به الممارسون لهذه التجارب أنفسهم وبالتالى فانها كانت تصدر عن خلفية ايديلوجية وفلسفة جمالية تريد ارسائها . والمطلوب لانصاف هذه الحركة هو دراسات جامعية لمعرفة مدى التطابق بين هذه المنطلقات وجسم النص الشعرى الجديد ..

ـ 2 ـ إن هذه التجارب ـ بحكم كونها ـ اتت فى تنافض مع نموذج (أو نماذج سابقة) ، جاءت معارضة لها ، ومحاولة لهدم أنماطها وقيمها .. فالمطلوب هو دراسات تتعلق بمعرفة مدى خلق هذه التجارب للغة شعرية خصوصية ومتميزة ذات قيم وأنماط واضحة .

ـ 3 ـ إن هذه التجارب وإن التقت في رفضها للبنية الايقاعية السائدة .. فقد جاءت تحت عناوين مختلفة : الشعر المنثور ، « فى غير العمودى والحر » ، القصيدة المضادة ، الخ ... والمطلوب هو دراسات تلقى الضوء على نقاط الالتقاء ونقاط الاختلاف بين هذه التسميات المختلفة لحركة شعرية .

ولئن كان القاسم المشترك بين كل هذه الاشكال من الشعر المعترض على عروض النظم يتمثل فى رفضها للوزن الخليلى فان هذا لا يعنى ـ كما يقول أنسي الحاج ـ أن الشعر المنثور والنثر الفني هما قصيدة النثر . فهما والنثر الشعرى الموقع ـ على وجه الحصر ـ عنصر أولي فى ما يسمى بقصيدة النثر الغنائية . ففى هذه لا غنى عن النثر الموقع .. الا أن قصيدة النثر .. ليست غنائية فحسب ، بل هناك قصيدة نثر تشبه الحكاية ، وقصائد نثر « عادية » بلا ايقاع كالذى نسمعه فى « نشيد الانشاد » (وهو نثر شعرى) أو فى قصائد شاعر كسان جون بيرس وهذه تستعيض عن التوقيع بالكيان الواحد المغلق ، الرؤيا التى تحمل ، أو عمق التجربة الفذة أى بالاشعاع الذى يرسل من جوانب الدائرة أو المربع الذى تستوى القصيدة ضمنه ، لا من كل جملة على حدة وكل عبارة على حدة أو من التقاء الكلمات الحلوة الساطعة ببعضها الآخر فقط (10) .

ولئن كانت قصيدة النثر كما يقول « أدونيس » (11) :

---

(10) مجلة (شعر) ـ عدد 14 ـ سنة 1960 .

(11) « الفكر » ـ ديسمبر 1971 .

« شاملة متمركزة كثيفة ذات إطار . هي عالم مغلق .. وكتلة مشعة بلا نهاية .. من الايماءات قادرة أن تهز كيانها من أعماقه ، فان شعر « فى غير العمودى والحر » - حسب الاستاذ البشير بن سلامه (12) - يتميز عن حركة مجلة « شعر » وعن الشعر المنثور بما يلي :

• **أولا** : ايمان أصحابه بأن اللغة العربية قادرة على أن تحتمل أكثر من لغة واحدة شعرية أى أن عبقرية العربية لا تكمن فى أوزانها بل فى نحوها فقط .

• **ثانيا** : ايمان رواده بأن « موسيقى الافكار » لا تكفى وأن الشعر يقتضى نظاما وهذا النظام كامن فيما يشحن به الشاعر الجملة الشعرية من موسيقى والحان نابعة من أرضية موسيقية هيكلية موجودة فى لغته اليومية وفى كنه شعبه . وهذا النظام من واجبه أن يظهر واضحا فى الجملة الشعرية .

• **ثالثا** : الانطلاق بالشعر العربى من متاهات اللفظ والقوالب الى صلب القضايا الخالدة » .

أما « القصيدة المضادة » التى ساهمت بها شخصيا فى صلب حركة الطليعة الادبية التونسية وانطلاقا من مجلة « الفكر » فهى بدورها تختلف عن النثر الفني وعن قصيدة النثر وكذلك عن الشعر المنثور وعن شعر « فى غير العمودى والحر » بكونها تفجيرا لقوالب الشعر ولقوالب النثر معا ، ومحاولة لتجاوز مفهوم الادب من أجل تأسيس مفهوم « الكتابة » (بالمعنى البارتى للكلمة) ..

مع كل هذه التجارب الجريئة فى سنوات الستين وفى بداية السبعينات لعبت « الفكر » دورا أساسيا فى احتضان التطلع الجديد بل إن رئيس تحرير مجلة « الفكر » بدافع ايمانه وايمان الاستاذ محمد مزالى بضرورة تجذير الادب التونسى فى بيئته ، قد تحمس لتجربة « فى غير العمودى والحر » ونظر لها مع أصحابها .. ولكن بعض هؤلاء اختلفوا مع مجلة « الفكر » بانزلاقهم فى الاستعاضة عن اللغة الفصحى باللهجة التونسية العامية وبالترادف مع

---

(12) انظر كتاب الاستاذ البشير بن سلامه ، بعنوان « اللغة العربية ومشاكل الكتابة » - الدار التونسية للنشر .

بعض الدعوات المشبوهة على نحو دعوة « سعيد عقل » فى لبنان ، الامر الذى أصبح متناقضا مع ايمان « الفكر » باللغة القومية ومع ايمان رئيس تحريرها بـ « التطعيم الايقاعي للفصحى » .. دون التخلي عنها أو استبدالها بلهجة من لهجاتهـا ..

ومما لا شك فيه هو أن تجربة الشعر الرافض للوزن داخـل « الفكـر » وخارجها ليست فقط شعر « فى غير العمودى والحر » الذى أشرنا الى تنكره لمنطلقاته ، وانما هو تيار كامل من التجريب والاضافة .. خاض معركة اثبات الوجود وكسب المعركة ومهد الطريق للمختار اللغماني ولسوف عبيد ولمحمد أحمد القاسمى ولعزوز الجمنى وللعشرات من ملكات الابـداع التى أصبـح أحباء الشعر فى الثمانينات يتتبعون انتاجهم بكل اهتمام ..

وهكذا يتضح أن مجلة الاستاذ محمد مزالى لم تـراهن فقط على تأسيس الادب التونسى بكل تياراته ومدارسه وبكل آرائه ورؤاه وانما راهنت أيضا ـ وبكثير من الحماس ـ على الكتابة المستقبلية باحتضانها للادب التجـريبى ولانتاج الطليعة الادبية التونسية صاحبة الشعر المعترض على عروض النظم.. الذى حاولنا رسم بعض ملامحه بشىء من الايجاز والسرعة ..

تونس فى 1985/8/30

محمـد مصمـولى

في "الفكر" .. والبدء قصيدة *

شعر: سمير الخياري

جاءتْ لتفجرَ صمتي
لترابطَ فوقَ تلالِ حنيني
آلهة كانت ..
راهبة كانت ..
شاعرة كانت ..
لا أدري !
لكني قد كنتُ رأيتُ بعينيها
قاربَ صيدٍ ..
وإضاءةَ عيدٍ ..
وحشائشَ بحرٍ ..
وقدومَ ربيعْ
وسنابكَ فجرٍ
تلطمُ قلبَ الليلْ
* * *
كنتُ رأيتُ عيونَ المنهوكينَ
بريقا
يوغلُ في الفجرِ
فتحيا الدّنيا .. تتجدّدْ
كنتُ رأيتُ بعينيها الصّحوَ ولادهْ
كنتُ رأيتُ الشّمسَ تضيءُ
على الباب العالي
وعلى غيران القسفاط
كنتُ رأيتُ الأرضَ
تدفّق منها كلّ جديد .. ورأيتْ
خلفَ المنهوكين بلادا أخرى
أرضا أخرى ..
لا تُنْبِتُ شوكا
ومبانيَ أخرى
لا أسفلَ فيها
لا أعلى
كنتُ رأيتُ بعينيها
زمنا آخرْ

لا يأتي .. قد يأتي !
– يأتي .
– يأتي .
– يأتي .
خاطبني منْ في عينيها
فجرُ صمتي
هل وحيٌ هذا ؟
أم هذا تنزيل آخرْ ؟
أمْ ... ؟

* * *

قالت : « دَعْكَ
فهذا الحلمُ اجتاحَ عيوني
والواقعُ يبدأ من حلمٍ ..
لا تنس !
الواقع يبدأ من حلم
فاحلم إن كنت حبيبي
واسْعَدْ بدقائقَ صمتٍ
تبحرُ فيها همسة ناي
أملا في الأرض جديدا
تُبحر فيها نفحةَ حبّ
فإذا بالدّنيا
بين يديك قصيدَهْ

* * *

فاحلم إن كنت حبيبي
فالحلم قصيدهْ
والشعر هو الحلم الأخضرْ
فلتحلمْ
كي يصبح كونُكَ أخضرَ أخضرْ
ويكلّلَ دربُك طيبا ونشيدًا »

* * *

وأجبتُ حياتي ..
من في عينيها فُجِّرَ صمتي :
« شاعرةٌ أنتِ !
مفكِّرةٌ أنتِ »

* * *

فتوارت في حلم الفجر
ونهضت لأبدأَ في " الفكْرِ "
والبدءُ قصيدَهْ

سمير الغياري

محمد مزالي مؤسس مجلة "الفكر"

بقلم: حسيني سيد لبيب
(القاهرة)

ان فكر محمد مزالي يتوزع الى اهتمامات عديدة ، وجوانب مختلفة من الكتابات في الادب والتاريخ والفلسفة والتربية والسياسة . وفي تنوع الموضوعات نلمس العامل المشترك الذي يوحد بينها ، ويؤطر شخصية محمد مزالي ، هو ايمانه بالمثل والقيم الروحية ، وجهده المتواصل نحو بناء الانسان، ومحاربته الايديلوجيات التي تصيب الفكر الانساني بالعقم والجمود ، ومناداته بحوار الثقافات من أجل الاسهام البناء لكل الثقافات ، أيا كان تباينها واختلافها ، فكل الثقافات تساهم وتشارك في التحضر والتمدين ، وفي اثراء واغناء الفكر الانساني .

وبحكم الوظائف التربوية والرياضية التي تقلدها ، كان اهتمامه بالجانب التربوي والرياضي . ولم يقتصر هذا الاهتمام على الكتابة فقط ، وانما تعداه الى ممارسته الرياضة . وتكون احدى هواياته . ورأى في الجانب التربوي والرياضي ركيزة هامة في تكوين أجيال المستقبل ، والبناء السليم للشباب .

ومحمد مزالي ، الذي تقلد مناصب حكومية مختلفة كان آخرها اختياره وزيرا أول بتونس عام 1980 ، ركز في كتاباته على تاريخ تونس وكفاح شعبها من أجل الحصول على الاستقلال . وقد تأثر مزالي بشخصية الزعيم الحبيب بورقيبه ونضاله وايمانه بالمواطنة الصالحة ، والنزعة الاستقلالية ، وشب على هذا الايمان ، وغذاه بالدعوة الى الديمقراطية وحرية الفكر ، كأفضل طريق للنهوض بالوطن . ان مرحلة ما بعد الاستقلال ، فرضت تبعات ثقال لازالة ما علق في بنية المجتمع التونسي من حكم البايات الفاسد ، ونير الاستعمار الفرنسي الذي جثم على تونس ثلاثة أرباع قرن . وفي كتاباته ، برز ايمانه بروح الشعب وقدراته في صنع غد أفضل ، ووضح ترسمه خطى الزعيم المناضل الرئيس الحبيب بورقيبه ، ومبادىء الحزب الذي أخذ على عاتقه تخليص

البلاد من كل تبعية للاستعمار ، كما دعا في كتاباته الى وحدة المغرب العربي الكبير .

وابرز عمل لمحمد مزالي هو اقدامه على اصدار مجلة (الفكر) في أكتوبر 1955 . ولو لم يقدم على شيء سوى اصدار هذه المجلة ، لكفاه ذلك فخارا .

صدرت (الفكر) في فترة حاسمة من تاريخ تونس ، التي نالت استقلالها عام 1956 ، وتولى الشعب أموره بنفسه ، بفضل كفاح زعمائه ونضال أبطاله. وقد سبق صدور هذه المجلة الرائدة ، مجلة (العالم الادبي) التي استمرت عدة سنوات بعد الحرب العالمية الاولى . كذلك صدرت مجلة (المباحث) بعد الحرب العالمية الثانية . وتعتبر مجلة (الفكر) امتدادا لهاتين المجلتين اللتين كانتا لهما الفضل في ترسيخ القيم والمبادىء والوعي بقضايا الوطن وشؤون الادب والفكر . وقد تصدت المجلتان للاستعمار الفرنسي ، وناهضته بشتى الطرق ، مما كان له أعمق الاثر في ظهور مفكرين واعين للاخطار المحدقة بهم . وكان اصدار (الفكر) في مرحلة استقلال تونس علامة مميزة على الطريق لتاصيل الفكر الحر ، وتعميق المفاهيم وتوعية المواطن في شتى مجالات الحياة . وصدرت (الفكر) وقد وضعت على عاتقها مبدأ حرية الاديب والمفكر ، حرية غير منقوصة ، تجعله قادرا على الابداع ، كذلك قضايا الفكر وشؤونه ، لا بد لها من مناخ حر لا يحد من حرية الاديب .

يقول البشير بن سلامه عن مجلة (الفكر) وصاحبها : « ولكن مجلة (الفكر) باختيار من مؤسسها آثرت أن تخوض أخطر المسالك، وأن تغامر في أعظم ملحمة اقتحمها الانسان وهي ايجاد توازن بين ما يتوق اليه الفكر من تجريد وبين ما يفرضه الواقع من ملابسات ، بين بناء فكري يكتفي بذاته ويحاول الانسياق الى القواعد التي سنها وبين الانغماس في صلب المشاغل اليومية ، بين نشدان الحرية والتوق اليها والعزوف عن زائف الاعراض وبين الارتباط أشد الارتباط بجوهر الحياة وخصب الوجود » (1) .

مجلة (الفكر) معلم بارز من معالم الحركة الثقافية والادبية في تونس ، وتعد امتدادا للمجلات الادبية التي صدرت قبلها . وترجع أهميتها الى أنها صدرت في ظل ظروف استقلال تونس ، وأهمية مرحلة ما بعد الاستقلال .

---

(1) كتاب (من وحي الفكر) ــ ص 9 .

ومن منبر المجلة ، بدأت حملة التنوير وتبصير الشعب بقضاياه الملحة ، منها انهاء أية تبعية لعصور الاحتلال ، والدعوة الى تونسة البلاد ، أى ارجاع الهوية الحقيقية ، وازالة ما علق من رواسب وآثار الاستعمار الثقافى . كما ترجع أهمية المجلة الى أنها مجلة غير حكومية ، صدرت بمجهود فردى ، واستمرت توالى الصدور دون انقطاع ، بمعدل عشرة أعداد كل سنة . وقد آل صاحبها أن يدع باب النشر مفتوحا للناشئة جنبا لى جنب مع الاقلام الراسخة ، كما حرص على حرية الاديب ، ايمانا بأن الاديب مسؤول عن كل كلمة يكتبها . تلك الحرية عملت على تأصيل الفكر ، واستمرار المجلة وانتشارها . وفى هذا يقول : « لو لم أتسامح فى (الفكر) ولم أعانق كل الاتجاهات رغم اختلافى معها أحيانا لما عمرت (الفكر) تسعا وعشرين سنة » (2) .

فى بدء صدور (الفكر) ، أراد لها صاحبها أن تكون مجلة صادقة لتونس والمغرب العربى الكبير . شجعه على ذلك مرحلة الكفاح من أجل التحرر من ربقة المستعمر ، لهذا تقوقعت المجلة ابان صدورها داخل حدود دول المغرب ، وحصرت اهتمامها فى قضايا وشؤون هذه المنطقة ، ولم تسع المجلة لاكتساب قراء من المشرق العربى ، لهذا لم تنتشر انتشارا واسعا أو تمتد الى كل الوطن العربى ، فلم يعرفها من أدباء ومفكرى المشرق العربى سوى قلة من المهتمين بمد جسور الحوار الفكرى بين البلدان العربية . لكن مزالى تدارك هذا الوضع ، ونما احساس بالتلاحم والتآزر بين البلدان العربية كافة ، مشرقها ومغربها . ولعل تحرر بلدان المغرب العربى من وطأة ورواسب الاستعمار ، واستعادتها مكانتها اللائقة كدول مستقلة تدير شؤونها بأيدى أبنائها ، كان عاملا مشجعا للتطلع الى دول المشرق ، ونمو الاحساس بالانتماء العربى ، الذى قوى تياره الجارف فى عقد الستينات على صعيد الوطن العربى . ولم نعد نقرأ عن اهتمام (الفكر) بالمغرب العربى فحسب ، وانما اتسع نطاق اهتمامها فضمت أسماء كتاب من المشرق العربى ، وتطلعت الى الانتشار على الساحة العربية ، مثل (رسالة) الزيات و (أديب) ألبير أديب .

ان مجلة (الفكر) التى تواصل الصدور منذ عام 1955 حتى الآن دون انقطاع لهى ظاهرة وعي ونضج فى المناخ الادبى . وصفها رشيد الذوادى بأنها

---

(2) مجلة (الفكر) ـ نوفمبر 1983 ـ ص 8 .

« أحسن بطاقة تعريف للثقافة القومية والعمـود الفقـرى للادب التـونسى الحـديث » (3) .

وتطور المجلة يشبه نمو الكائن الحى ، الذى كلما تقدمت به السن نمت مداركه وتطورت عقليته . فـ (الفكر) مجلة أدبية تتطور تطـورا طبيعيـا ، حريصة على الصدور مهما كانت المتاعب والمصاعب ، حرصها على نبل الرسالة التى كلفت صاحبها الكثير من المشاق . فالمجلة « شقت طريقها واشتد عودها وتركزت فى السنوات الاولى من عمرها وصاحبها لم يكن وزيرا بل أستـاذا أخذ من أوقات فراغه القليلة ما مكنه من التحرير والمراسلة والاشراف على الطبع والتوزيع وجمع الاشتراكات بفضل المجهودات التى بذلها » (4) .

ومن يتابع افتتاحيات مزالى لمجلة (الفكر) ، التى جمعها فى كتابه القيم (من وحي الفكر) ، يجد اهتماماته توزعت وتنوعت . كتب عن تونس ونضال أبنائها واحتفالاتها بالمناسبات الوطنية وأعياد النصر والجـلاء . وكتب عن وحدة المغرب العربى ، وأبرز أهمية التضامن مع الشعب الجـزائرى ، وهى المقالات التى نشرها بين عامى 1956 و 1962 . وأثار العديد من القضايا التى تشغله حول الحرية والادب التونسى وشؤون الثقافة والادب . كما تطرق الى شؤون التربية والتعليم . والملاحظ فى افتتاحيات مـزالى ، أنها اطـلالة على سياسة الدولة أحيانا ، وبيان أنشطتها فى المجـالات السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية . كما حرص فى افتتاحيـاته على تسجيـل اللقـاءات والمؤتمرات وأعمال اللجان . من هنا تبرز أهمية كتاباته فى توضيح المفاهيم ، وفى أنها خلاصة مركزة لآراء وأفكار مزالى ، الذى عمل جاهدا من أجل نهضة بلاده ورقيها ، وانفتاحها على العالم بوعى وبصيـرة ، وحـرصه على الجـانب التربوى والتثقيفىّ ، الى جانب رعايته للادباء بصرف النظر عـن اتجاهاتهم ومدارسهم ، طالما هم بعيدون عن الايديلوجيات التى تؤثر بالسلب على نواحى الابـداع .

كما تدور أغلب كتابات مزالى «حول مسائل التعليم وشؤون الثقافة وأحوال الناس وأساليب تفكيرهم ونماذج حياتهم وفيما يتوقون اليه ويحرصون عليه

(3) مجلة (الفكر) ـ يناير 1984 ـ ص 101 .
(4) محمد مزالى : مجلة (الفكر) ـ نوفمبر 1983 ـ ص 10 .

من عزة وكرامة وحرمة وحرية وكل ما به يشرف الانسان ويبلغ تمام انسانيته » (5) .

ويتحدث البشير بن سلامه عن التوازن الذى حققه مزالى فى افتتاحياته لمجلة (الفكر) . وأرجع ذلك الى أنه رجل رياضى فرضت عليه الروح الرياضية أن يلتزم بالمساحة المخصصة ، وهى صفحة واحدة ، مهما كانت غزارة الفكرة أو تشعب الموضوع . كما تحدث عن هذا التوازن من زاوية أخرى ، حيث قابل بين دوره السياسى وما تفرضه السياسة من التزام بقيود صارمة وبين ايمانه بحرية المفكر والاديب ، ودفاعه عن هذه الحرية (6) . يقول مزالى عن هذه الافتتاحيات : « انها مقالات واكبت طموحاتنا وتطلعاتنا وعبرت عن آمالنا وأحلامنا وجهادنا فى سبيل النهوض بأمتنا والدفاع عن مقوماتها الحضارية والثقافية » (7) .

يقول البشير بن سلامه : « إن محمد مزالى يختطف من الزمن فترة يوجد فيها ذلك التوازن أو تلك الحال الصوفية أو حالا شعرية خاصة ، لا تقل عن القصيدة متانة فى الشكل . وايقاعا فى الجملة وموسيقى اللفظ مع وضوح الفكرة وتعدد الاغراض (8) .

وهو الى جانب اصداره مجلة (الفكر) ، ساهم بمؤلفات قيمة أثرت الفكر والادب بما طرحته من قضايا ومواقف ، منها : (الديمقراطية) و (مواقف) و (دراسات) و (وجهات نظر) و (فى دروب الفكر) .

حسني سيد لبيب

ـ القاهرة ـ

---

(5) من وحي الفكر ـ ص 210 .
(6) من وحي الفكر ـ اقرأ مقدمة البشير بن سلامه ـ ص 12 .
(7) من وحي الفكر ـ ص 3 .
(8) من وحي الفكر ـ ص 10 ، 11 .

التوجه الحضاري بين محمد مزالي والبشير بن سلامة من خلال افتتاحية مجلة « الفكر »

بقلم : د. الهادي بن حمودة الغزي

ليس من الغلو فى شىء التقرير بأن مجلة « الفكر » التونسية تجربة رائدة فى الفكر العربى الحديث باعتبارها أولى ثمار الاستقلال ، يقترن صدورها زمنيا بمرحلة جديدة لحياة شعب صنع حريته بالدماء . والفترة التى ظهرت فيها هى بحق فترة حاسمة لبلاد المغرب العربى الكبير ، وشائكة بالنسبة للمشرب العربى بسبب تلك الهزات الانقلابية العنيفة والثورات الاستقلالية ، والمتأمل فى خارطة أحداث المغرب والمشرق فى ذلك الوقت ، يدرك حقا ، معنى الفترة الحاسمة التى أشرنا اليها . ومما يزيد طرافة ميلاد « الفكر » التونسية هو أنها لم تكن وليدة انبتات كبعض الدوريات التى عرفنا ، ولا هى مشروع فكر تطفلى نسى أصحابه وجودهم المغترب لينتصبوا دعاة حكمة وأطباء جراحة للمجتمع بل كان من الدافع لوجودها فكرا ، أساسه الواقعية الاجتماعية بمختلف أبعادها ، وطبيعة التطلع الى الامام . وهى تونسية الميلاد ، عربية التفكير ، انسانية المرامى ، تنشد التجديد فى التأصيل والأصالة فى التفتح ، اعتقادا من باعثها ، أن الاخلاص للفكر فى أشمل قيمه ، وأسمى معانيه خير ضمان لبلوغ الهدف (!) وبالمعطيات تلك تهيكل مسارها فى دوائر هى تونس أولا والمغرب العربى ثانيا ، والعرب والاسلام ثالثا ، ثم افريقيا والانسان حيثما كان وهى الدائرة الكبرى التى تحيط بكل الدوائر .

و « الفكر » بهذا التحديد موقفية وموقفيتها مدروسة لان تلك الدوائر حلقات يلحم بعضها بعضا . وليس من الاجحاف فى شىء أن تكون نقطة البدء

(*) هذه الدراسة تكمل الدراسة التى أعدت بمناسبة مرور عشرين عاما على صدورها ونشرتها « الفكر » تحت عنوان « مجتمع الفكر » .

بى ولكنها لا تقف عند حدي . وهذا ما كان يعوز التفكير العربى الحديث مما جعل المعادلة فى مجتمعاتنا مغلوطة وأحيانا مقلوبة قلبا لان المنطق السليم أن تعرف نفسك واذا حققت لنفسك مرحلة كهذه أمكن لك أن تعرف وتعـرف لانك قطعت شوطا فى المنهج الفكرى السليم الذى لا شك سيمدك بعناصر فكرية سليمة تتوفق بها الى المنهجية العلمية المنشـودة للبنـاء والتحقيـق الحضـارى .

ومن الطبيعى أن تنصب « الفكر » والحالة هذه على توضيح الاهداف فى المجتمع التونسى الانتقالى بما فيه ، وبما يتطلب من عمليات الفرز والتخليص ثم التحفيز نحو مرحلة التكون الحضارى باعتباره بداية القسمـات الحقيقية للحصول على الهوية المنشودة التى تلغى أثناء دورانها المتنامى ، الفراغ المذهبى والنحل المهلكة ، استنادا الى المثل التى لا يتيسر لها وجود الا بالفكر والفكر وحده . وهذا هو المساغ المستمد منه شرعية الوجود والنضال ، والتوفـق الى فتح منافذ لم تلبث أن أصبحت مضامير مهمة وميادين شاسعة فى رحاب البحث العلمى بمفاهيمه الفكرية المختلفة ، التطورية ، ومفهوم الحـرية فى أبعادها المتنوعة وبخاصة فى الجانب القومى والاجتماعى ، وشعار وحدة المغرب العربى على أرضية من الأصالة والتفتح وقطاع التـربية والتعليم ، وقضيـة الشباب والثقافة والالتزام فى الادب ثم جدية التخطيط الاقتصادى وجدوى ارتباط كل ذلك بعضه ببعض فى هيكلية واحدة .

وفى الوقت الذى كان الفكر العربى وتفكير أربابه عموما فكرا مستوردا للاصول والمناهج نجد التفكير الادبـى والمـذهبى منصبا على تلقى تيـارات الشرق والغرب يعرف بها ويفسرها وقد يتبناها أو فى أحسن الظروف يقف دون واجهاتها كأصحاب الاشهار الساهرين على خدمة تلك الواجهات ، نرى « الفكر » مجمعا أو قل مضمارا للفكر والفن . ولكن أى فكر ؟ وأى فن ؟

ان الفكر الذى نعنيه هو الفكر الذى يستمد وجوده « الماهى » من الواقع الايجابى المعيش، حسا ومعنى، وينشط فى اطار من المعطيات البيئية والظرفية الحضارية بحيث لا يقدم للقارىء المتلقى الا ما خلص بحثا ونقدا ، ولا يقـوم بعملية الريادة ، لا بغاية التوريد ولا التصدير ولا بدافع الانبهار أو الذوبان ، لانه لو حصل هذا لكان الفكر فى مستوى البضاعات بينما الوظيفة العلميـة انما هى الكشف عما تجنه المحيطات الاخرى والتنقية المحصة فان وجد ما به

حاجة أو ضرورة كان مقبسا ، تكمل صوغه الاضافة الحضارية التى تصبح عملية بنيوية من أجل نهضة صحيحة المسار ، ومادة من المواد فى التركيبة الحضارية المنشودة . ومن هنا يتبين لنا كيف قامت « الفكر » بما نسميه بمرحلة البذر الانمائى والتلقيم والتطعيم التفاعلى وقد استغرق من عمرها قرابة العشرين عاما قامت « الفكر » فيها بمهمة مرحلية فى الاسماع والتبليغ والذود ثم الترشيد والتبشير بمضامين جديدة لحمتها الأصالة (2) والتفتح . وكم من دورية عربية طلبتها فوقعت دونها ، وصارعت عتو الزمن العربى المأزوم هزيمة ، فانطوت به أو تناهت مضغوطة حشوا ، منهوكة بالانبهار المذهبى .

أما الفن المعنى فى « الفكر » فهو الذى لم يتخذ له شعارا انفصاميا فى العنوان ، وتلك ايماءة ايمانية ذكية من مؤسس هذه الدورية ، ففى الوقت الذى جعل كثير من المفكرين «الدوريين » عن وعى أو عن غير وعى ، فاصلة وحدا بين الفن والفكر فان مجلة « الفكر » بالايحاء المضمونى أقرت بأن الفكر هو عنصر كل عمل وبالتالى فان الفنون الجميلة ومنها الادب بما تعنيه هذه الكلمة ، عنصره الاساس انما هو الفكر باعتباره القطب الذى تدور عليه المعارف ويدور عليها وبالتالى فلا بد من القول بناء على ما تقدم ، بأن « الفكر » معناه تعانق الفكر العلمى بالفكر الفنى وتمازج كل بكل . ومعنى هذا أن الفن الحق ومنه الادب لن يكون فنا الا اذا جاء على ضوء اشراط التفكير العلمى الخلاق بعيدا عن زي الايديلوجيات والمصطلحات التقليعية للمذاهب المطروحة فى سوق الترويج . ومن هنا السر فى وضوحية ما تطرحه « الفكر » اذ تقرأ فى يسر وتفهم فى يسر ، وتسلس لها القياد فى يسر أيضا ونصل معها الى الحلول المثلى . ان دعوات الفكر تصدر دائما عن غير تمذهب مسبق لالتزام ايديلوجي مخطط له ، وانما هى دعوة فى الاصلاح تتخذ من الواقع أرضية ، ومن الاداة ما يفرضه العقل السليم وطنية وقومية .

— يتبع —

د. الهادي حموده الغزي

---

(2) الفكر — جانفى 1976 .

بين أسباب البقاء.. وأسرار الخلود

بقلم: توفيق بن عامر

« الفكر » عندنا اليوم – هي احدى المبتكرات في دنيا الكتابة . وهي معلم ثقافي عتيد وبدعة في تاريخ المنشورات . فلقد أتت على نشاتها ثلاثة عقود من الزمان اضحت بعدها بناء شامخا في عالم الثقافة لم يزده كر السنين الا بسوقا وعراقة وجدة ونضارة . فكأنما هي تلك « الكلمة الطيبة » ومثلها كمثل شجرة طيبة « أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها » وفي بحر ثلاثين سنة مضت نشأت حول تلك الكلمة كلمات سطعت حينا وأفل نجمها حينا آخر ولم تسطع أن تصاول الدهر او تطاول الحدثان . وصمدت « الكلمة الطيبة » لأن الزبد يذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض .

وهنا – ونحن في مقام الاحتفال بهذا الانجاز الرائع – يحق لنا أن نتساءل كيف يفي المرء بحق « الفكر » في عيدها الثلاثين ؟ سؤال مثقل بالمعاني يطرحه على ضميره كل مثقف تونسي وهو يشعر في حيرة بأنه غير قادر على أن يجد له جوابا شافيا . فما تلقاه عنها عبر تلك الحقب الطويلة من بليغ الرسالات قليل في جانبه التغني بالمآثر أو أداء التحيات . وحسب ذلك المثقف ان يذكر انه سواء أقرأ حروفا من كلماتها أو خط سطورا على صفحاتها مدين لها بلبنة في صرح تكوينه أى بقطعة من مهجته ولون من ألوان شخصيته . ولئن كان يدين بأن عليه أن يقوم لمعلمه اجلالا وتبجيلا لأنه كاد أن يكون رسولا فما ظنه بمدرسة ضمت أصنافا من المعلمين كانوا وما يزالون خير رسل وهداة لأبناء هذا الجيل .

ومن البديهي التسليم بخصال الابداع في كل مبتكر ومعجز اذ هي بخرقها للمألوف وتخطيها للعادي من الأمور وتجاوزها للمتعارف تضحى عزيزة المنال وما كان هذا شأنه عز تأويله . الا انه مع ذلك – يدعونا الى الاعتبار وتدبر ما وراء

من خفي الاسباب والاسرار والتفكر في العوامل التي هيأت لـه البقاء وبوأته مراتب الخلود . ونحن وان كان يؤودنا الاستقصاء في هذه الاسطر لمؤدون جزءا من الواجب المتخلد بذمتنا تعبيرا عن الوفاء وحثا للهمم على الاقتداء .

ففي هذا النصف الثاني من القرن العشرين وخلال هذا العهد الزاهر بالحرية والسيادة لا يكاد يجد الباحث في الادب التونسي الحديث خيرا من هذه الموسوعة التي احتضنت القصة والرواية وآوت عرائس الشعر ورفعت منابر للنقد وأحيت غابر التراث واخرجت كل ذلك اخراجا يستسيغه المثقف المعاصر ويحفزه على مزيد البذل وموفور العطاء وهي بعمرها هذا المبارك والخصب قد اتيح لها الشمول والتقصي للظواهر الفنية والادبية في نشوئها وتطورها واكتمالها وربما تقاصها وزوالها أيضا . وقد تأتى لها كذلك ان تواكب الاقلام الفتية والمتمكنة وان تفرز منها النخبة التي حذقت الصناعة وتبوأت مكانتها في موكب الفكر والفن . واذا نظر المرء في تلك الاعداد الثلاثمائة وأجال بصره في صفحاتها الغر شعر بانه يتصفح قصة حياة ثقافية بماضيها وحاضرها وآتيها وبان واقع الادب والفكر في بلادنا وكذلك مصيره ليس كما توهمه *الهائمون بما عند الغير المدينون بالتبعية والكافرون بنعيم الذات* . فانك لتقف في العدد الواحد على ما لا تقف عليه في كتاب لانه حصاد اصناف من البذور وحصيلة جهود ينوء بها كاهل الفرد مهما قبض له من السداد .

وانه لسر من اسرار البقاء والخلود ان تجمع المواقف في بوتقة من التسامح وحرية الفكر وتلتقي القرائح في ارادة واحدة نابذة للشعارات مناوئة للرجعية والتعصب وحاملة لراية الجودة واصالة الراي . هكذا عرفت « الفكر » كيف تؤلف بين قلوب جميع المثقفين التونسيين بمختلف مشاربهم ونزعاتهم وكيف تحملهم على التخاطب والتناجي بلغة متناسقة الايقاع فكانت صلة الوصل بين الباحثين الجامعيين ورجال الادب والفكر والفن في الساحة الثقافية وصاغت من لحمتهم رابطة فكرية واضحة السمات .

اجل ان « الفكر » مدرسة عريقة الاركان متينة البنيان انبثقت من اسرة ثقافية متلاحمة المقاصد آمن افرادها بان المعرفة هي العروة الوثقى التي تعتصم بها الامم الناهضة وهي السبيل المعبدة الى مدارج الرقي . وآمنوا ايضا ــ ولشد ما آمنوا ــ بان الانسان بروحه وعقله هو اسمى القيم في الوجود وانه في هذا الكون المبدأ والغاية فراهنوا عليه وهبوا يبحثون فيه عن جوهر الخالق

والابداع وعن الاكسير الذى يغير وجه الارض ويزرع الامل والطموح فى دروب الحياة . تلك مواثيق بينهم عقدوها وكتبوا بنودها بمداد الوفاء وزانوا جبينها الوضاح باكليل من يواقيت مثل ناصعة صيغ بعضها من التضحية ووحدة الكلمة وصيغ سائرها من الدأب والمثابرة . ثم راحوا حينا من الدهر يوقدون الشموع ويفتحون البصائر ويصقلون الضمائر حتى رنت الى مجرتهم افواج من خيرة شباب الجيل تدفقت منهم المهج نحو الامثل وشدت ابصارهم الى الافق ثقة بالمستقبل فشمروا لبناء تونس الغد .

ولقد مضوا قدما فى تشييد ذلك البناء واقاموه على اساس من الجد والتجرد من الاهواء وخاضوا من التجارب ما دل على التفتح وتلاقح الآراء وما اتسم بطابع الابتكار والتجديد . وشرحوا كيف تضحى الاصالة تحقيقا وتجسيما بعد ان كانت مفاهيم لا تفقه ومنى لا تدرك ثم لم يغفلوا فى أية مناسبة أتيحت لهم عن ربط الوشائج الروحية مع اخوة فى المغرب او المشرق أحلوهم من انفسهم مقاما سنيا . كما حرصوا على الاخذ باطراف ما يدور فى خلد العائلة الفكرية العالمية ونهلوا من روافده دون اغتراب ولا استلاب . وتوالت الاحقاب وهم يسيرون على الدرب بخطى الاتزان والثبات ويشيدون البناء بعزم وتصميم يدعمهم فى مسيرتهم ما التزموا به من نقد ذاتي ورؤية اصلاحية وما يحفزهم من نبل الهدف وسمو الغاية .

تلكم قطرات من وابل « الفكر » وومضات من بوارقها سوف تزداد مع الايام تألقا واشعاعا لأنها ظلت ولا تزال القدوة المثلى تحمل فى ثناياها ما قدر لها من أسباب وأسرار الخلود .

توفيق بن عامر

تحية وفاء الى مجلة "الفكر" في عيدها الثلاثين

بقلم : محمد الصادق دمق

مر حين من الدهر على تونس كانت فيه الحركة الادبية والثقافية شبه نكرة ، حتى ظهرت مجلة « الفكر » فجلت المعدن وأزالت الصدأ وأيقظت الهمم وفسحت المجال أمام العزائم الصادقة لتثري التراث البشرى بالتيار التونسى الذى يحمل فى طياته أصالة وتفتحا ويثبت ما للذات التونسية من قدرة على الخلق والابداع فى كل المجالات التى تفيد الانسان وتمنحه القدرة على تسلق درجات عليا فى ميدان التحضر والتمدن .

ظهرت مجلة « الفكر » منذ ثلاثين سنة ، فى عهد لم يكن أغلب التونسيين يتصورون أن القدرة الابداعية التونسية فى وسعها أن تنتج انتاجا تونسيا يستطيع أن يوازى أو يقف على قدم المساواة أمام ما يبدعه الشرق والغرب ، فكانت برهان التحدى ، وعنوان القدرة والصمود أمام كل محاولات الاحباط وغرس عقد النقص والشعور بالدون ، ، لانها أنجبت الجديد وآثرت أن تحمل شعار التونسة ضمن الاطار العربى الاسلامى على أن تكون أبواق ترديد لما هو معروف فى الغرب أو الشرق ، إنها بالتالى مرآة ينعكس عليها الفيض المنبثق من الواقع التونسى بعد التفاعل معه والغوص الى أعماق مكنوناته حتى يكون نبع الالهام ومصدر الخيال ومرصد الحقيقة ومجهر الخفايا والخبايا .

إن مجلة « الفكر » ، وهى تحتفل بعيدها الثلاثين تحتفل فى الحقيقة بانتصارها للمذهب الفكرى الانسانى لانها واكبت أفراح الشعوب المحبة للسلام حين استقلال بلدانها وتخلصها من الهيمنة الاجنبية ، وعززت قوى النضالات فى مواجهتها لقوى الغطرسة والتسلط ، ومكنت المفكرين والادباء من أداء رسالتهم الانسانية وهم متشبثون بالقيم العليا والمثل السامية رائدهم تعزيز جانب الكلمة الحرة البناءة التى تسمو بالانسان الى أعلى عليين حيث السمو الاخلاقى ونبل العلاقات بين الانسان وأخيه الانسان فى توقه الى الحرية والعدالة والمساواة لتحقيق المجتمع الفاضل الذى هو مطمح الشرفاء المؤمنين بحتمية انتصار الخير على الشر فى كل الصور والاحوال .

إن مجلة « الفكـر » فى احتفالها بمرور ثلاثة عقود من حياتها تثبت انها بافساح المجال أمام كل المبدعين مهما كانت اتجاهاتهم الفكرية قادرة على أن تجعل أسرة الفكر فى تزايد متواصل مع الحفاظ دوما على أرقى المستويات الابداعية والنقدية دون الانحياز الى اتجاه دون آخر أو مـدرسة أدبيـة دون غيرها ، وانما كان المجال وما يزال مفتوحا أمام كل الطاقات الخلاقة فى ميادين الفكر والادب والفن وكل مظاهر الثقافة .

إن عدم الزام الادباء والمفكرين من انتهاج منهج معين فى الكتابة مكنهم من أن يجدوا فى مجلة « الفكر » مجالا فسيحا لانتاجهم سواء كانوا ملتزمين أو غير ملتزمين أو كانوا رومنسيين أو رمـزيين أو واقعيين أو سرياليين أو اجتماعيين أو نفسيين أو غير ذلك ... يتصافح انتاجهم فى مجلة « الفكـر » ما دام محافظا على مستواه الرفيع وما دام لا يتعرض للذات الانسانية بالثلب والتجني والتعدي على مقدساتها .

ومنطقى أن يكون لكل زهرة غارس ، ولكل شمعة مضيئة موقد ، ولكـل لحن مؤنس مصدر ، فان صاحب الفضل فى تأسيس هذه المجلة الغـراء التى هى للاقلام نصير وللمبدعين الخلاقين مجال فسيح هو الاستاذ محمد مزالى الذى آمن بقدرة الانسان التـونسي على أن يكـون فى الصفـوف الامـامية للمثقفين المنتجين المثبتين للذات التونسية .

ثم ان طبيعة الاعمال الفكرية تستوجب أن يكون مع الرائد الاول رواد يكونون للصفوف الامامية مدعمين وللعزائم شاحذين ، وفى طليعة هـؤلاء الحاملين لواء القلم الاستاذ البشير بن سلامه الذى هو رفيق الدرب للاستاذ محمد مزالى انتاجا ورعاية واستقطابا للكفاءات والقدرات الخلاقة .

وما كان لهذه النهضة الفكرية لتتم لولا نسمات الحرية التى هبت على تونس بفضل منقذها من دياجير التخلف المجـاهد الاكبـر فخـامة الرئيس الحبيب بـورقيبه .

فهنيئا لنا جميعا بهذا الاحتفال الفكرى الذى يبعث فى الارواح انتعاشا، وفى النفوس ثقة ، ويزيدنا ترابطا وتآزرا .

وخير وسيلة نضمن بها استمرار أعياد هذه المجلـة الغـراء فى عشرياتها المتتالية المدد الفكرى المتواصل النابع من ذاتيتنا والمعبر عن آمالنا وطموحاتنا والنابع من أرضنا وسمائنا والمتفتح على التيارات الفكـرية الانسـانية التى تجعلنا فى حوار متواصل مع الحضارات العالمية تبادلا للخبـرات واستفـادة بالتجارب الرائدة القادرة على ضمان رفعة الفكر وسموه فى أعلى مستوياته .

محمـد الصـادق دمـق

نثر الجمان في عقود الزمان

بقلم : محمد كمون

أن يصدر الانسان مجلة فأمر ممكن نسبيا ، أما أن يضمن لها الاستمرار مع النجاح المطرد فذلك دلالة على الصمود والثبات والعصامية والايمان بقدرة الفكر على الفيض المتواصل الذى لا يعرف فتورا ولا نضوبا .

والاحتفال بمرور ثلاثين سنة من حياة مجلة « الفكـر » مدعاة للاعتزاز والافتخار بمدى قدرة المثقفين التونسيين على الانتاج الفكرى والادبى الرفيع الذى له مقومات الخلق الانسانى الخالد بسلامة اتجاهه ونبل أهدافه وطرافة محتواه ومعالجته لواقع له شخصيته المميزة وسماته الخاصة به .

وميزة الاستمرار هذه من الجوانب التى يجب ابرازها مع الاعتـزاز بهـا وبذل الجهد المتواصل للحفاظ عليها والشد عليها بالنواجذ حتى تبقى مجلة « الفكـر » كما عهدناها لسان الادباء والشعراء والمفكرين يودعونها عصارة أفكارهم وفيض قرائحهم فتكون خير رسول يبلغ انتـاجهم ويفتح المجـال لتبادل الخبرات والنقد النزيه البناء .

وفى غمرة الاحتفال بمرور ثلاثين سنة من حياة مجلـة « الفكـر » يلـذ للانسان أن يستعرض فى عجالة أهم المجلات التى سبقتها ولكن لم يكتب لها الدوام والاستمرار وبذلك تبقى مجلة « الفكـر » درة فى جبين الازمـان ، وجمانا فى عقود الزمان . يبهر ضياؤه الدائم العيون ويخلب الابصار ببريقه النابع من أعماق الفكر ومراكز اشعاعه فمن المجلات التى صدرت قبل مجلة « الفكـر » ، مجلة « السعـادة العظمى » ومجلة خير الدين التى بعثها للوجود محمد الجعايبى صاحب جريدة « الصـواب » سنة ست وتسعمائة وألف .

ومجلة « البدر » ومجلة « الجامعة الزيتونية » التى أشرف عليها الشيخ مناشو ومجلة « المباحث » وما الى ذلك من المجلات التى لم يكتب لها الاستمرار والديمومة نظرا للظروف السياسية والاجتماعية التى كانت عليها تونس قبل الاستقلال .

وهذا الاستمرار لصدور مجلة « الفكر » مكنها من تقديم غذاء روحى للاجيال المتوالية فيه دسامة وتنوع وعمق للمساهمة فى إرهاف الحس وغرس المثل السامية فى الارواح حتى تتشبع بالخير والجمال فى أبهى الصور وأحلى المظاهر .

إن قيمة الشعوب تقاس بما تقدمه للانسانية من زاد حضارى يدل على رفعة ذوقها وسمو انتاجها الفكرى والفني حتى تجد فيه الارواح التواقة الى تعشق الفن والجمال ما يشفى الغليل ويزودها بشحنات القدرة على مزيد البذل والعطاء فى خط تقدمي خلاق .

إن مجلة « الفكر » التى نحتفل بالثلاثين من عمرها المديد تساهم فى تقريب الرؤي وتبادل الخبرات والتجارب بين المثقفين العرب لانها تمكنت أن تكون واسعة الانتشار فى الداخل والخارج بفضل ما ينشر فيها من انتاج فيه من الدسامة ما يجعله حبيبا الى الارواح مستساغا فى النفوس .

فهى بوابة الفكر التونسى على الصعيد القومى والعالمى وهى مجلة الادباء والعلماء الذين يعشقون الكلمة الحرة البناءة الموضوعية التى تبني وتعمر وتؤنس وتنشر الخير والنماء .

إن فضل مجلة « الفكر » على الاجيال العربية منذ سنة خمس وخمسين وتسعمائة وألف تجعل الاقلام تنساب معتزة باستمرار صدورها وانتشارها وبالمستوى الفني لمحتوياتها وبسمو مقاصدها وأهدافها فهى المتفتحة على كل التيارات الادبية والفكرية ما دامت فى خدمة الانسان تصقل مواهبه وتنمي قدراته وترفع من شأنه وتجعله الى السلام أميل والى الخير أحب .

فالى المزيد من إيقاد الشموع والى المزيد من توسيع دائرة المساهمين فى الابداع والانتاج حتى يتحقق الهدف من رسالة هذه المجلة التى هدف باعثها الى الوجود أن تكون لسان صدق ومنبر صراحة وعكاظية ابداع وميدان ابتكار وحلبة تنافس شريف .

محمد كمون

● **تـونس تحتفـل بمجلـة « الفكـر » :**

تحت سامي إشراف المجاهد الأكبر الرئيس الحبيب بورقيبه تحتفل الأسرة الثقافية التونسية بمجلة « الفكر » بمناسبة مرور ثلاثين سنة على تأسيسها في أكتوبر 1985 من لدن الاستاذ محمد مزالى .

واللجنة الثقافية القومية هي التي ستقوم بتنظيم هذه التظاهرة الثقافية التي ستتركز على محورين اثنين :

① **المحور الأول** : مجلس أدبي مع الاستاذ محمد مزالى يوم 1985/10/4 :

وينتظم هذا المجلس بمركز الفن الحي بالبلفدير تحت عنوان « **الأصالة والمعاصرة** » ويتفرع الى أربعة مواضيع يتحاور فيها الاستاذ محمد مزالى مع نخبة من الاساتذة :

ـ الموضوع الأول : **دور الثقافة في البناء الحضاري** ويناقش هذا الموضوع الأستاذان جاك بارك وأحمد خالد .

ـ الموضوع الثاني : **الأدب ومسؤولية الكاتب** ويناقش هذا الموضوع الأستاذان د. عيسى الناعوري وعامر غديره .

ـ الموضوع الثالث : **الشباب وتواصل الأجيال** ويناقش هذا الموضوع الأستاذان عبد الله شريط وعبد العزيز قاسم .

ـ الموضوع الرابع : **«الفكر» بين الأصالة والمعاصرة** ويناقش هذا الموضوع الأستاذ أبو يعرب المرزوقي .

والملاحظ أن الدكتور محمد الطالبي رئيس اللجنة الثقافية القومية هو الذي سيترأس هذا المجلس الادبي بحضور الاستاذ محمد مزالى الوزير الاول والمدير المؤسس لمجلة « الفكر » .

② **المحور الثاني** : مهرجان « الفكر » يوم 7 أكتوبر 1985 :

تنعقد جلسات الاحتفال في قصر المؤتمرات بشارع محمد الخامس وتكون الجلسة الافتتاحية بحضور الاستاذ محمد مزالى يوم 85/10/7 ويتناول الكلمة في هذه الجلسة كل من الاساتذة : البشير بن سلامه وزير الشؤون الثقافية و د. محمد الطالبي و د. محيي الدين صابر الأمين العام للالكسو وناصر الدين الأسد ومحمد مزالى ثم تلقى بعض القصائد .

الجلسة الثانية : يوم 85/10/8 وموضوعها : الشعر التونسي من خلال مجلة « الفكر » يقدمه الاستاذ عبد العزيز قاسم ويعقب ذلك نقاش وقصائد .

الجلسة الثالثة : يوم 85/10/9 وموضوعها : الاتجاهات الفكرية في مجلة « الفكر » يقدمها الاستاذ أبو يعرب المرزوقي ويعقب ذلك نقاش وقصائد .

الجلسة الرابعة والختامية : يوم 85/10/10 وموضوعها : النقد في مجلة « الفكر » يقدمه الاستاذ الحبيب الشاوش ويختتم المهرجان الاستاذ البشير بن سلامه وزير الشؤون الثقافية .